جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

الأَفعال الكلامية في مُستَدرك نهج البلاغة للشيخ هادي كاشف الغطاء

رسالة تقدّمت بها الطالبة

منارس طالب كاظم

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة المثنى وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها / اللغة.

إشراف

الأستاذ الدكتور

عايد جدّوع حنّون

١٤٣٩هـ

٢٠١٨ م

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدّمــة	١-٥
التمهيـد :(التّداولية، والأفعال الكلامية، ومستدرك النهج) قراءة معرفية / ابستمولوجية في النظرية والنّصِ المدروس	٦- ٢٦
اولاً : التداولية نشأتها ومجالاتها	٧
ثانياً : الافعال الكلامية	١٣
ثالثاً : مستدرك نهج البلاغة للشيخ هادي كاشف الغطاء	٢٤
الفصل الأول : الأفعال الكلامية المباشرة	٢٧ ـ ٧١
توطئة	٢٨
المبحث الأول: الأَفعال الإخبارية	٢٩ ـ ٣٦
المبحث الثاني: الأَفعال التوجيهية	٣٧ ـ ٥٢
المبحث الثالث: الأَفعال الإلزامية	٥٣ ـ ٥٩
المبحث الرابع: الأَفعال التعبيرية	٦٠ ـ ٦٥
المبحث الخامس: الأَفعال الإعلانية	٦٦ ـ ٧١
الفصل الثانيّ: الأَفعال الكلامية غير المباشرة	٧٢ ـ ٩١
توطئة	٧٣-٧٦
المبحث الأول: الأَفعال الكلامية غير المباشرة بأسلوب الخبر	٧٧ ـ ٨١
الخبر المتضمن معنى الأمر	٧٨
الخبر المتضمن معنى النهي	٧٨
الخبر المتضمن معنى الدعاء	٧٩
الخبر المتضمن معنى التصبير	٨٠
المبحث الثاني: الأَفعال الكلامية غير المباشرة بأسلوب الإنشاء	٨٢ ـ ٩١
الأمر المتضمن معنى الدعاء	٨٢
ـ الأمر المتضمن معنى التهديد	٨٣
ـ النهي المتضمن معنى الموعظة.	٨٤
ـ الاستفهـــــــام	٨٦
الفصل الثالث: الفعل الكلامي الإجمالي(النصي)	٩٢ – ١٢٩

المبحث الأول: الفعل الإجمالي المفهوم والتأصيل	٩٣-١٠١
مفهوم الفعل الاجمالي النصي	٩٣
تأصيل الفعل الكلامي الإجمالي	٩٧
المبحث الثاني : محددات الفعل الكلامي الإجمالي	١٠٢ - ١١٤
أولاً: السياق	١٠٢
١-ذكر الموضوع الإجمالي في النصّ	١٠٣
السياق السياسي	١٠٤
السياق الاجتماعي	١٠٥
٢- اضمار الموضوع الإجمالي في النصّ	١٠٦
ثانياً: هيمنة الفعل الإجمالي في النصّ	١٠٨
ثالثاً: ذكر الهدف من النصّ	١١٢
المبحث الثالث: تمثلات الفعل الكلامي الإجمالي	١١٥ - ١٣١
أولاً: فعل كلامي إجمالي يدل على التوجيه للطاعة	١١٥
ثانياً: فعل كلامي إجمالي يدل على الوعيد	١١٨
ثالثاً: فعل كلامي إجمالي يدل على الترغيب	١٢٢
رابعاً: فعل كلامي إجمالي يدل على التعبير	١٢٧
خامساً: فعل كلامي إجمالي يدل على الإعلان	١٢٨
الخاتمة	١٣٢-١٣٥
المصادر والمراجع	١٣٦-١٥٢
ملخص باللغة الانجليزية	A ـ .D

التّمهيد :

(التّداولية، والأفعال الكلامية، ومستدرك النّهج) قراءة معرفية / ابستمولوجية في النّظرية والنّصّ المدروس

الفصل الأَول : الأَفعال الكلامية المُباشرة .

المبحث الأَول : الأَفعال الإخباريّة .

المبحث الثّاني : الأَفعالُ التوجيهيّة .

المبحث الثّالث : الأَفعال الإلزاميّة .

المبحث الرابع : الأَفعال التعبيريّة .

المبحث الخامس : الأَفعال الإعلانيّة .

توطئة :

يتَّخذُ الدارسون في حديثهم عن الأَفعال الكلامية المباشرة تعريف جون سيرل الذي نصَّ على أَنَّها الأَفعال التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم, فيكون معنى ما ينطقه مطابقاً مطابقةً حرفية لوضعه اللغوي[١]، فالمطابقة في معاني الكلمات التي تتكون منها الجملة وقواعد التأليف التي تنتظمُ بها الكلمات في الجملة, بها يستطيع السامع أن يصل إلى مراد المتكلم عندما يكون مُدركاً لهذين العنصرين معاً[٢], ولما كان القصد هو الإنجاز المراد تحقيقه من الفعل الكلامي فقد انقسمت قصدية القوة الإنجازية على محورين اثنين في الخطاب هما:((قوة إنجازية أُصول تنعكس في بنية الخطاب صرفاً أَو تركيباً, وقوة إنجازية يحكمها السياق وحده))[٣], ولا تحمل هذه القوة صفة الإنجاز المباشر إلاّ بموافقتها لقصدية المتكلم ومطابقتها لها[٤], فالفعل الكلامي المباشر هو ما ينجزه المتكلم بنطقه ملفوظاً معيناً بصورة مباشرة تنعكس على بنية المنطوق بدلالته الحرفية, وقد أُستُدعِيَ حضور الأفعال الكلامية المباشرة في صورتها التركيبية في كثير من خطابات الإمام علي (عليه السلام), وسيكون هذا المبحث معنياً بتطبيقات الأفعال المباشرة على وفق الأصناف الإنجازية الخمسة .

---

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٨٠

(٢) يُنظر: التداولية بين النظرية والتطبيق:٣٩٤.

(٣) الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط:٧٠.

(٤) ينظر: التداولية بين النظرية والتطبيق:٣٩٧.

المبحث الأَول: الأفعال الإخبارية:

تُعرف هذه الأفعال بأنّها((الأَفعال التي تصف وقائع وأحداث في العالم الخارجي..., والغرض الإنجازي لهذا النوع من الأَفعال هو نقل الواقع نقلاً أَميناً, فإذا تحققت الأمانة في النقل, فقد تحقق شرط الإخلاص, وإذا تحقق الإخلاص أُنجِزَت الأفعالُ إنجازاً ناجحاً))[٥], ويأخذ الإخبار دوره التداولي بحسب ما يرى المتكلم من مدى التأثير الذي يؤديه توظيف الخبر في السياق الإخباري, إذ يُعدُّ الخبر((أَحد المكونات الأساسية لعملية التواصل الكلاميّ))[٦], زيادة على عناصر عملية التخاطب, المُرسِل, والمتلقي والخطاب, فضلاً عن العوامل غير اللغوية التي يستحضرها المرسل عندما يريد تأسيس خطابه, إذ يستحضر ثقافة المتلقي, وعواطفه, وميوله, وكلَّ ما من شأَنه أَن يحقق انسجاماً بين طرفي عملية التخاطب؛ ليكون التواصل ناجحاً, ويتحقق الغرض القصدي منه[٧], فلا يتوقف دور المتكلم عند هذا الحد, بل يتعدى ذلك إلى التأثير في المتلقي, وهو الجزء الأَهم في نجاح التواصل, فقد يعمد المتكلم إلى تمثيل الفكر وتجسيده؛ ليكون معروفاً ومدركاً عند المتلقي[٨], ولعلَّ تمثلات هذا الصنف تنطبق بكثرة في خطابات الإمام علي (عليه السلام), فما ينجزه من الأَفعال الإخبارية يُوصفُ بجمل تطابق الوقائع والأَحداث التي وقعت في العالم الخارجي, فانمازت بصدق القضية المُعَبر عنها, ومنها ما يمكن تسميته **(الإخبار بالحكاية)**, أَو قراءة الحاضر في ضوء الماضي, وَيُنظَر إِلى الإخبار بالحكاية على أَنَّه عمل يتناول قصة معينة, تخضع لصالح فعلٍ كلامي مباشر, يعمد المتكلم به إلى إيراد لفظه بحسب ما يحمله من حقائق [٩], ويمكن الوقوف على قصدية الخطاب الإخباري بقراءة قول الإمام علي (عليه السلام):((**بسم الله الرحمن الرحيم مِنْ عَبدِ اللهِ عَلي أَمير المؤمنين إِلى شيعةٍ من المؤمنين..., سَلامٌ عَليكُم, وَاللهُ هو السَّلام المُؤمِّنُ أَولياءَهُ مِن العَذابِ المُهين, الحاكِمُ عَلَيهم بعَدلِه, بَعَثَ محمّداً صلى الله عليه و آله, وَ أَنتم مَعاشِرَ العَرَب عَلى شَرّ حال، يَغذو أَحدَكُم كَلبَه، وَ يَقتُلُ وِلدَه، وَ يُغِيرُ على غَيرِهِ, فَيرجِعُ وَ قَد أُغِيرَ عَلَيه، تأكلون العَلهَزَ وَ الهَبيد(*)، وَ المَيتةَ وَ الدَم، مُنيخونَ عَلى أَحجارٍ خَشنٍ، وَأَوثانٍ مُضِلة, تَأكلونَ الطعامَ الجَشِب، وَ تَشرَبونَ الماءَ الآجن، تَسافِكونَ دِماءكُم وَ**

---

(٥) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:١٠٣.

(٦) تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية:١٠٨.

(٧) ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، د. سامية الدريدي: ٦٧.

(٨) ينظر :تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية:١٠٨.

(٩) ينظر: خطاب الحكاية بحث في المنهج،جيرار جينيت ، ترجمة محمد معتصم وآخرون:٢٥٠.

(*) العلهز: طعامٌ كانوا يتَّخذونه من الدم ووبرِ البعير في سني المجاعة: الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهريّ، تح: أحمد عبد الغفور عطار(علهز):٨٨٧/٣, الهبيد: الْحَنْظَلُ يُكْسَرُ ويستخرجُ حَبُّهُ ويُنْقَع لِتَذْهَبَ مَرارته ويُتّخذ مِنْهُ طَبِيخٌ يُؤْكَلُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ: لسان العرب:ابن منظور(هبد):٤٣١/٣.

يَسبي بَعضُكم بَعضاً بي تر □ □ تن تى تي □ □ □ □ □ □ □ □ □ ّ [آل عمران: ١٠٣], **فَمَضى نَبيُّ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) وَقَد بلَّغَ ما أُرسِلَ به, وترك كتاب الله، وَ أَهلَ بَيتِهِ إِمامينِ لا يَختَلِفان، وَ أَخَوينِ لا يَتخاذَلان، وَ مُجتَمعينِ لا يَتَفرّقان، وَ لَقَد قَبضَ الله محمداً(صلى الله عليه وآله وسلم) وَ لأنّا أَولى الناسِ بِهِ مِنّي بقميصي هذا))**[١٠].

يشرّع (عليه السلام) في خطابه عندما سأَله نفرٌ من المسلمين[*] عن أَحقيته بالخلافة, فتظهر قصديته بنقله فكرة أَرادَ تجسيدها لدى المتلقي, إذ تمثل رده (عليه السلام) بخطاب عام لسائليه، ويشمل كل الناس, فابتدأَ خطابه بالتعريف بنفسه بقوله :(من عبد الله), وتكمن قوة هذا الملفوظ بما تحمله العبودية من دلالة تخضع للإمتثال بأَوامر الله سبحانه وتعالى والإنتهاء عما نهى عنه, وقد ذكر (عليه السلام) لقب (أَمير المؤمنين) للتذكير بالمنزلة التي منحها له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم), وبعد هذا التعريف خاطب هؤلاء الجمع مستهلاً خطابه بالتحية, بقوله: (سلام عليكم) لما لها من أَثرٍ في نفس المتلقي, بجعله مستقبلاً للقول الذي يلي التحية, فاستعمل في خطابه أُسلوباً ذا شحنة تُحفِّز المتلقي على التفاعل مع الكلام اللاحق, وقد فسّر السلام لصاحب السلام الحقيقي(والله هو السلام) إذ يجعل أَولياءه في حالٍ من الأَمن, ولا يمكن الإحتراز من العذاب المهين إلاّ به جلَّ وعلا, فالنجاة حاصلة وثابتة لأَوليائه بقدر تمسكهم بالله, والعذاب المهين واقعٌ وثابت لغير المتمسّك به, وهذه قواعد الحكم الإلهي التي اتصفت بعدله(الحاكم عليهم بعدله), وقوله: (وأَنتم معاشر العرب على شرّ حال) ملفوظ إنجازي تكمن قوته بتذكيرهم فيما كانوا عليه قبل بعثة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فكان دينهم في الجاهلية خليطاً من عبادة الأَصنام, والصابئة, وعبادة الكواكب والشياطين, وهذا ما أَكسبهم لعادات بعيدة عن القيم والمبادئ الإنسانية والأَخلاقية المتمثلة بقتل أَولادهم, وأكل المحرمات, فجاء الإسلام ليخرجهم من الظلمات إلى النور.

وتظهر هيمنة الأَفعال الإخبارية بشكل متوالٍ متمثلة في قوله:(يغدو, يُغير, يرجع) فضلاً عن تكرار صيغة تفعلون(تشربون, تأكلون، تسفكون)؛ لتؤثر في المتلقي بتأكيد المعنى في ذهنه, وقد أَشار د. مسعود صحراويّ إِلى الفرق بين الخبر المؤكد والخبر غير المؤكد الذي ((يتمثل بمعايير سيرل في درجة الشدة والغرض المتضمن في القول التي يزيد بها التوكيد عن الخبر العادي))[١١],

---

(١٠) مستدرك نهج البلاغة :٢٠٠-٢٠١.

(*) دخل نفر من شيعة أمير المؤمنين(عليه السلام) وهم حجر بن عدي، وعمر بن الحمق، وعبد الله بن وهب الراسبيّ, وسأَلوه عن أحقيته بالخلافة بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فأجابهم بهذا الخطاب: ينظر: الإمامة والسياسة : ابن قتيبة الدينوريّ، تح: علي شيري: ١/١٧٤ .

(١١) التداولية عند العلماء العرب: ٢٠٨.

وقد عَدَلَ (عليه السلام) عن صيغ الجمع التي مثلتها صيغة (تفعلون)(*), فضلاً عمّا للعدول الزمني– الإخبار عن الماضي بالحاضر– من دلالة اقتضت بقاء هذه العادات زمناً بعد آخر؛ لأنَّ الفعلية مثلت إنجازية الحدوث والتجدد, فالجانب الزمني في استعمال المضارع يجمع– أحياناً – بين الماضي والحاضر والمستقبل فـ((يأخذ جزءاً من الماضي وجزءاً من الحاضر وجزءاً من المستقبل))(١٢), فجاءت الأَفعال في مخاطبة العرب بشكل تراتبي تصاعدي رابطاً بين الأَحداث بأداتي (الواو, والفاء), إذ لم تقتصر وظيفتهما على الجمع بين الحُجج والبراهين فحسب, بل عملتا على تقوية الحُجج بعضها ببعض محققة الغرض المقصود(١٣), فالإمام (عليه السلام) قد جمع بين حالتين للعرب:

الأُولى: مثلتها العادات الجاهلية, والثانية مثلتها المبادئ الإسلامية وأَشار(عليه السلام) إلى هاتين الحالتين بآيٍ من الذكر الحكيم, إذ عبَّرت الفاء في قوله تعالى:ُّ بي تر ّ نقطة تحول العرب من الجهل والظلام إلى فيض من النعم الإلهية, ثم تعود الآية إلى الربط (بالواو)؛ لتعطي النتيجة الثانية المتمثلة بالنعم الأُخروية:ُّ تي ّ, وقوله:(فمضى نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد بلَّغَ ما أُرسِلَ به) ملفوظ تقريري تكمن قوته في إلقاء الحُجة عليهم بتبليغ رسالته(صلى الله عليه وآله وسلم), وقد أكمل تبليغه بما أُرسل به, بتركه(كتاب الله، و أهل بيته إمامين لا يختلفان، وأخوين لا يتخاذلان، ومجتمعين لا يتفرّقان), إذ تكمن قوة هذه الملفوظات بحقيقة التلازم بين كتاب الله وأهل بيت النبي(صلى الله عليه وآله وسلم), فهي تدلُّ على اجتماع القرآن الكريم مع آل البيت (عليهم السلام) وقوله:(و لقد قبض الله محمداً(صلى الله عليه وآله وسلم) و لأنّا أولى الناس به منّي بقميصي هذا) ملفوظ إنجازي مؤكد بأداتي التوكيد (اللام, وقد), وقد أَفاد توكيد الجملة السابقة؛ ليثبت حقيقة بأَنَّه أَولى الناس بالخلافة بعد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم), فقد أوضحت تداوليّة أَفعال الكلام الإطار الإخباري الذي ينَّم عن حقيقة وجود رواسب الجاهلية في نفوس العرب وهو أمرٌ جعلهم يعرضون بالخلافة عنه, ليتخذوا غيره خليفة .

ومن الأَحداث الإخبارية التي وردت على سبيل التذكير ما حدث بعد واقعة النهروان إذ قام (عليه السلام) بإنزال معسكره النُخَيلةَ, وطلب منهم أن يلزموا معسكرهم, ولا يُكثِروا زيارة بيوتاتهم, ونسائهم وأبنائهم؛ لئلا يأخذهم الوجد, والشغف؛ فيتهاونون عن القتال وعليهم بالصبر, لكنَّهم لم

(*) قال ابن هشام الأنصاريّ:((أَنهم يعبّرون عَن الْمَاضِي والآتي كَمَا يعبّرون عَن الشَّيْء الْحَاضِر قصدا لإحضاره فِي الذِّهْن حَتَّى كَأَنَّهُ مشَاهد حَالَة الْإِخْبَار)) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاريّ، تح: مازن المبارك و محمد على حمد الله: ٩٠٥/١.

(١٢) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: رجاء عيد:١١٧.

(١٣) ينظر: تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف أُنموذجاً، حياة دحمان (رسالة ماجستير) :١٨٤.

يأخذوا بأوامره , فتسللت طائفة إلى الكوفة, ولم يخرجوا منها, ودخلت طائفة أُخرى مصر, ومَن بقي معه لم يصبر على الحرب[١٤], فقال :(عليه السلام) ((**حتى إذا أظللتم على النُخيلَةِ, أَمرتكم أن تلزموا معسكركم, ولا تُكثروا زيارة أَبياتكم, ونسائكم, فإنَّ أَصحابَ الحربِ مُصابروها, وَأهلُ التَشميرِ فِيها, والذين لا يَتَوجَّدونَ مِنْ سَهَرِ لَيلِهم, وَلا ظِماءِ هَواجرِهم, وَلا فُقدانِ أَولادهم وَ نِساءهم**))[١٥].

ومن الأَفعال الإخبارية **الإخبار بالوصف**, والوصف من الاستراتيجيات الخطابية التوضيحية التي تميط اللثام عن كنه الموصوفات[١٦], وقد أَشار ابن فارس إلى ذلك بقوله:((والصِّفَة: الأمَارة اللاَّزِمةُ للشّيء))[١٧], وتحدّث ابن يعيش(ت٦٤٣هـ) عن دلالتها, إذ قال:((الغرض من الصفة الإيضاح والبيانُ بذكرِ حالٍ ثابتةٍ للموصوف يعرفُه المخاطبُ له))[١٨], وتتأتى قصدية الصفة تبعاً لقصدية المتكلم, فتكون: للتخصيص, أَو التوضيح , أو الذَّم, أو التأكيد, وتكمن قصدية التخصيص في تقليل الاشتراك الحاصل في النكرات, وذلك أَنَّ (رجل) في قولك (جاءني رجل) محتمل لكل فرد من أفراد هذا النوع فإن قلت: (جاءني رجلٌ صالحٌ) قللت الاشتراك والاحتمال, خلافاً للتوضيح الذي يأتي في الاشتراك الحاصل في المعارف[١٩].

ومن ذلك قول الإمام علي(عليه السلام),- وقد قام إليه رجل كأَنَّه من متهودة اليمن فقال له: يا أَمير المؤمنين صف لنا خالقك, وانعته لنا كأَنَّا نراه, وننظر إِليه - فسبح الإمامُ (عليه السلام) ربّهُ وعظَّمه, وقال بعد الحمد:((**لَيسَ بِشَبَحٍ فَيُرى، وَلابِجِسمٍ فَيَتجزّى, وَ لا بِذي غايَةٍ فَيُتناهى، وَ لا بِمُحدِثٍ فَيُبصَر، وَ لا بِمُستَتِرٍ فَيُكشَف، وَ لا بِذي حُجُبٍ فَيُحوى**))[٢٠].

تتفاوت الجمل في استعمالاتها نظراً للظروف المقامية التي تفرض على المتكلم التقييد بها ويظهر ذلك في تلفظه, بملفوظات تواصلية ليُنجزَ فعلاً معيناً داخل سياق محدد[٢١] وقد كان جواب الإمام(عليه السلام) بملفوظات إنجازية تناسب المقام, فالسائل عندما طلب من الإمام أنْ

---

(١٤) ينظر: تاريخ الطبريّ تاريخ الرسل والملوك, وصلة تاريخ الطبريّ، محمد بن جرير الطبري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم: ٥/٨٩-٩٠.

(١٥) مستدرك نهج البلاغة:٢٠١.

(١٦) ينظر: الاستراتيجيات الخطابية في شعر ابن هانئ الأَندلسيّ المغربيّ مقاربة تداولية: بلاخيط تركية (رسالة ماجستير): ١٠٩ -١١٠.

(١٧) مقاييس اللغة،أحمد بن فارِس، تح: عبد السلام محمد هارون (وصف):٦/٨٧.

(١٨) شرح المفصل ، يعيش بن علي بن يعيش، تح: إميل بديع يعقوب:٢/٢٤٢.

(١٩) ينظر: شرح الرضي على الكافية: تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر: ٢/٢٨٧.

(٢٠) مستدرك نهج البلاغة : ٤٧.

(٢١) ينظر: التداولية بين النظرية والتطبيق:٣٥٦.

يصفَ الله سبحانه وتعالى, قال له:(صف لنا خالقك), فكان جوابه (عليه السلام) على النحو الآتي:

أ- بدأَ جوابه بأُسلوب النفي المتمثل بقوله (ليس...)؛ ليُنجز خبراً .

ب- اقتران خبر ليس بحرف الجر (الباء) الزائد؛ ليُؤكد الخبر الذي أَراد إثباته عند المتلقي.

ج- تكراره أُسلوب النفي بجمل منفية يؤكد بعضها الآخر, فضلاً عن تكراره (الباء) الزائد للتوكيد؛ لتقوية الملفوظات الإنجازية.

د- أعطى الربط بين الملفوظات نتائج تتمثل بجمل فعلية منفية (فيرى, فيتجزى, فيتناهى فيبصر, فيكشف, فيحوى), وبذلك ينفي عنه المحدودية, والجزئية, والتجسيم.

هـ- استعماله صيغة اسم الفاعل (بمحدث, ومستتر), فهو مُنَزَّهٌ عن صفات المخلوقين فهو مُحدِث الخلق, وليس مُحدَثاً فيقع عليه الحدث, ولا تدركه الأَبصار, فهذه الصيغ من الوسائل اللغوية التي تزيد المنطوق قوة, فاستعان بها (عليه السلام) في وصفه الخالق, وقد أَدت عوامل التقوية دوراً مهماً في إِيصال المعنى إِلى ذهن المتلقي الذي كان يسأل وكأَنَّه مُنكر لوجود الخالق, فأوضحت هذه الأَفعال بأَنَّه كما وصف نفسه جلَّ شأنه :ُّ □ □ □□ ّ .

وجاء في خطابٍ له (عليه السلام) في **وصف المؤمن** بعدما سأله أَحد الموالين ويدعى هُمام بن خيثم قائلاً له:((صف لنا صفة المؤمن كأَنَّنا ننظر إليه))[٢٢], وكان همام عالماً بأَنَّه (عليه السلام) قادر على وصف الشيء كأَنَّه مُشاهَدٌ فقال(عليه السلام):((**قَوّال فَعّال، عالمٌ حازِم، وَصولٌ في غَيرِ عُنف، بَذولٌ في غَيرِ سَرَف، لا بِخَتّالٍ وَلا بِغدارٍ, لا يَقتَفي أَثراً، وَلا يَخافُ بَشَراً، عَونٌ للضَعيفِ، غَوثٌ لِلهيفِ لا يَهتِكُ سِتراً، وَلا يَكشِفُ سِرّاً, كَثيرُ البَلوى قَليل الشَكوى، إِنْ رأى خَيراً ذَكَرَهُ، وَإِنْ عايَنَ شَرّاً سَتَرَه، يَستُرُ العَيبَ، وَيَحفَظُ الغَيب**))[٢٣].

ذكر الإمام(عليه السلام) صفات المؤمن بمجموعة من الملفوظات الوصفية, قاصداً بها إيضاح الموصوف بالكشف عن هويته, وتجلى ذلك في قوله: (قوّال فعّال) أَشار إلى الملاءمة بين القول والفعل, باستعماله صيغة المبالغة(فعّال) التي تدل على التلازم المستمر, بين القول والفعل؛ لئلا يدخل في قوله تعالى:ُّ □ □ □ □ نى ني □ ير □ □ ين □ □ □ □ □ □ □ ّ [الصف:٢-٣], ولفظا (عالم حازم) اسما فاعل, و تكمن القوة الإنجازية لاسم الفاعل بصيغته الدالة على الحدوث والاستمرارية, وملازمة الصفة للموصوف, وبهاتين الصيغتين وصف الإمام(عليه السلام) المؤمن, وجعله يمتلك العلمية والحَزم, إذ تعد دلالة اسم الفاعل حُجة في الخطاب, وقد أَشار إلى ذلك عبد الهادي الشهريّ, قائلاً: إِنَّ((اسم الفاعل من نماذج الوصف التي يدرجها المرسل في

---

(٢٢) أُصول الكافي: محمد بن يعقوب الكلينيّ: ٥٧٩.

(٢٣) مستدرك نهج البلاغة: ١٠٥.

خطابه بوصفها حجة؛ ليسوغ لنفسه إصدار الحكم الذي يريد؛ لتبني عليه النتيجة التي يرومها))[٢٤], وفي قوله (عليه السلام):(وصولٌ في غير عنف) فعل كلامي اكتسب قوته من صيغة (فعول) بلحاظ الكيفية [٢٥], أي كيفية وصول المؤمن إلى مبتغاه, كما قال (عليه السلام):(بذول في غير سرف) ملفوظ تقريري وصفي يعمل قاعدة اقتصادية تتمثل بالإنفاق مع مراعاة الاعتدال, قال تعالى:ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗﭘ[الأنعام:١٤١], و قوله:(لا بختال و لا بغدار) ملفوظ إنجازي تكمن قوته في نفي الخديعة والغدر عن المؤمن, ومعنى ختّال أَنَّه((يَخدَعُ أَهلَ الدُّنيَا بِعَمَلِ الصُّلَحَاءِ؛ لِيَعتَقِدُوا فِيهِ وَيَنَالَ مِنهُم مَالًا أَو جَاهًا, مِن خَتَلَ الذِّئبُ الصَّيدَ خَدَعَهُ وَخَفِيَ لَهُ))[٢٦], والغدر((نَقْضُ العَهْد وتَرْك الوفاءِ به))[٢٧], ثم ذكر الإمام(عليه السلام) صفات أُخرى تمثلت بالصيغ الفعلية, نحو قوله:(لايقتفي أَثراً, ولايخاف بشراً), و(لا يهتك ستراً, ولا يكشف سراً) و(يستر العيب، ويحفظ الغيب), وهذه الصيغ تؤكد بعضها الآخر فتزيد من قوة التأثير في المتلقي, والمبالغة في وصف المؤمن, وتظهر قوة هذه الملفوظات الفعلية في حالة التجدد والتغيير بمناسبة المقام, أَي إنَّه يبدو في حالة متجددة بتجدد الزمن, وهذا التجدد يُقابَل بِصفات مُلازمة مؤكدة بعضها للبعض الآخر, نحو قوله:(عونٌ للضعيف، غوثٌ للَّهيف، كثيرُ البلوى، قليل الشكوى), وقوله:(إن رأى خيراً ذكره، وإن عاين شراً ستره), ملفوظ إنجازي تكمن قوته في جملتي الشرط وجوابه, تُمثِّلُ قاعدة اجتماعية على المؤمن التحلي بها, وهي ذكر محاسن الناس, وستر مساوئهم, فأعطت هذه الصفات نتائج تمجد القيم الإسلامية, ومن الملاحظ أَنَّ هذه الملفوظات تحمل جرساً , يجعلها أَكثر تأثيراً في المتلقي, فلم يقتصر الإمام(عليه السلام) على توظيف المعنى المعجمي فحسب, بل اضطلع الخطاب بالأَساليب البديعية كالسجع, الذي استُعمِل للتنويع بين متواليات التراكيب, فتتابع التراكيب في الوصف يقتضي تنويعاً في الإيقاع[٢٨], ومن الأَساليب الأُخرى التي وردت في الخطاب (الطباق) كقوله:(كثيرx قليل, خيرx شر) فضلاً عن استعماله الجناس, كجناس التصحيف (العيبx الغيب) والجناس الناقص (ستراًx سراً) فكان الجمع بين المحسنات البديعية جزءاً من جماليات النص, من حيث جرس الألفاظ ودقة المعنى, فلم يقتصر أثر المحسنات عند الإطار الخارجي الشكلي, بل نلحظ توافقاً وانسجاماً في الموسيقى الداخلية

(٢٤) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٤٨٨.

(٢٥) ينظر: لغة القرآن الكريم دراسة لسانية للمشتقات في الربع الأول، بلقاسم بالعرج: ١٨٩.

(٢٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري: ١٢١/٧.

(٢٧) مقاييس اللغة (غدر):٣٣٢/٤.

(٢٨) ينظر: أَساليب البديع في نهج البلاغة دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية،خالد كاظم حميدي (أُطروحة دكتوراه): ٤٩-٥٠.

للفظ والجملة, وهذا ما يزيد من قوة التأثير الحجاجي, لا على سبيل زخرفة الخطاب فحسب, بل ليأخذ التأثير في المتلقي مداه الأَبعد[٢٩], فيحقق الرغبة عنده في مراجعة نفسه بوصفه مؤمناً, ورغبته في أَن يكون متصفاً بهذه الصفات وتظهر قصدية الفعل الكلامي في النص بما له من وقْعٍ في المتلقي.

ومن الأَفعال الإخبارية أيضاً ***الإخبار بالتنبؤ***, قال عليه السلام:((**يظهر في آخر الزمان واقتراب الساعة, وهو شر الأَزمنة نسوة كاشفاتٌ عارياتٌ، متبرّجاتٌ, خارجاتٌ من الدين، داخلاتٌ في الفِتن، مائلاتٌ إلى الشهوات، مسرعات إلى اللذات، مستحلاّتٌ للمحرمات، في جهنّم خالدات**))[٣٠].

ويمكن النظر إلى هذا النوع من التنبؤ من جهتين:

الأُولى: أَنَّه متحقق, أَو أن يكون متحققاً, ويُستدل على ذلك بواقع الحال الذي تشهده الحياة؛ إذ نجد أَنَّ هذه الصفات المذكورة تنطبق على أكثر النساء, وهذه القرينة واقعية لكنَّها لا تكفي لحمل الخطاب على تحقيق الإنجازية .

والثّانية: أَنَّه غير متحقق ويتضح ذلك بالقرائن الآتية :

أ- أَنَّ الواقع المُستَدل عليه في الجهة الأُولى يمكن أن يستمر إلى مستقبل أبعد, وهذا ما يُضعِفُ أن يكون متحققاً.

ب- وردت في الخطاب إشاريات زمانية نحو قوله (آخر الزمان واقتراب الساعة) فلا يمكن الجزم بوقوع هذه الأحداث, إذ لا يمكن القول بتحديد وقتها, فهذا من علم الغيب وتكمن قوة هذه الملفوظات بوصف أخلاق النساء المذمومة التي تظهر في آخر الزمان, واقتراب الساعة, فقوله (كاشفات) إشارة إلى كشف ما لا يحل لهن كشفه, وقد أَكدّ هذا الملفوظ بقوله (عاريات), فالعاريات أَعم من الكاشفات, فضلاً عن ذكره صفات أُخرى تؤكد انحراف هؤلاءِ النسوة, فقوله:(خارجاتٌ من الدين، داخلاتٌ في الفِتن), إذ لا توجد لديهنَ قيود دينية ولا أخلاقية, ولا إنسانية, وهذا ما جعل الإمام (عليه السلام) يعطي نتيجة حتمية بخلودهن في جهنم, بقوله:(في جهنّم خالدات) .

---

(٢٩) ينظر: الطباق في العربية ، رحيم جمعة الخزرجيّ، هدى عبد الحميد السامرائيّ، الجامعة المستنصرية كلية التربية الأساسية، مجلة كلية التربية الأساسية ،ع ٧٦: لسنة٢٠١٢ :١٨.

(٣٠) مستدرك نهج البلاغة:٣٣٠.

المبحث الثاني: الأَفعالُ التوجيهية:

ويسمّيها بعضُ الباحثين الأَفعال الطلبية؛ لأَنَّها تشمل الأَفعال الكلامية الدالة على الطلب[٣١], والغرض منها ((حمل المخاطب بدرجات مختلفة على أداء عمل معين, أَما اتجاه المطابقة فيكون من العالم إلى القول, أي أَنَّ العالم ينبغي أَن يكون مطابقاً للقول أو يطلب مطابقته للقول))[٣٢], فعندما يقول المعلم لأَحد طلابه:(شارك في المهرجان), فقد جعل كلامه مطابقاً للعالم المُشار إليه فيما بعد, منجزاً وظيفة إبلاغية تواصلية, ويتمثّل شرط الإخلاص في الأفعال التوجيهية بالإرادة, أَو الرغبة الصادقة [٣٣].

الخطاب التوجيهي:

يكون الخطاب الموجّه مؤسساً بحسب إرادة المتكلم, فيتغيّر من متكلم إلى آخر بالنظر إلى الهدف الذي يُراد تحقيقه, وهو خطاب خاضع للتطور الزمني المستقبلي, إذ يُطلبُ فيه تحقيق فعل معين فيما بعد[٣٤],((فالخطاب ذو الاستراتيجية التوجيهية يُعدُّ ضغطاً وتدخلاً, ولو بدرجات متفاوتة على المرسل إليه وتوجيهه لفعل مستقبلي معين))[٣٥]؛ لأَنَّ قاعدة العمل والأَثر هي المسؤولة عن الإيعازات والاستدعاءات الصادرة[٣٦], ويرى سيرل أَنَّ ((التوجيهات من طراز الأوامر والطلبات لا يمكن أَن تكون صادقة أَو كاذبة ولكن يمكن أَنْ تطاع أَو تهمل))[٣٧], وقد كان فعلا الأمر والنهي الأكثر حضوراً فيها، فهما من الاستراتيجيات التصريحية (المباشرة) التي يتمتع بها أصحاب النفوذ, والإمام (عليه السلام) صاحب سلطة, وهو الخليفة المرشد, إذ غلبَ استعماله (عليه السلام) في هذا الصنف هذان الأُسلوبان بمعناهما الحقيقيان, محققاً أفعالاً كلامية منجزة حرفياً، ولم تغب

---

(٣١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٠٥, و التداولية بين النظرية والتطبيق:٣٨٤.

(٣٢) الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية:٥٠٦.

(٣٣) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٥٠.

(٣٤) ينظر: تحليل الخطاب، باتريك شارودو, دونيك منغو، ترجمة عبد القادر المهيريّ, حمادي صمود :١٨٢.

(٣٥) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :٣٢٢.

(٣٦) ينظر: القصدية الإنجازية في مضمون الخطاب النحوي في كتاب سيبويه، هيثم محمد مصطفى، مجلة أبحاث التربية الأَساسية ، م/١١ ع:٣ ، لسنة ٢٠١٢ :٢٣٠.

(٣٧) العقل واللغة والمجتمع: جون سيرل، ترجمة سعيد الغانمي:٢١٨.

الأساليب الأخرى بصورتها المباشرة في خطاباته(عليه السلام) في هذه الدراسة ، لكنها جاءت بدرجة أقل ، كالاستفهام بصورته المباشرة ، والدعاء بلفظه الصريح .

ـ إنجازية فعلي الأَمر والنهي:

الأمر بمعناه الحقيقي((خطاب يصاحبه إنجاز استعلائي يحاول فيه المتكلم فرض إرادته على المُخاطب))[٣٨], وقد أدرج أوستن أفعال الأمر الصادرة عن صاحب السلطة ضمن أَفعال التنفيذ, في حين عدَّها سيرل من أَفعال التوجيه التي يحدث بها المتلقي تغييراً في سلوكه؛ لأنَّ قصدية أفعال الأَمر هي توجيه المتلقي لإحداث سلوك معين[٣٩], ويكون ((الطلب من النهي بمنزلته من الأمر يجري على لفظه كما يجري على لفظ الأَمر))[٤٠]. وأن صدور فعلي الأمر والنهي ممّن هو أعلى مرتبة من المأمور فيه دلالة الوجوب؛ بحملهما على صورتهما الحقيقية المباشرة، وإلاّ فإنّهما يفيدان الطلب فحسب.[٤١], وقد ربط ابن السراج(٣١٦هـ) بينهما بقوله :((ألا ترى أنَّكَ إذا قلت: قُمْ إنّما تأمره بأن يكون منه قيام فإذا نهيت فقلت: لا تَقم فقد أردت منه نفي ذلكَ))[٤٢].

ومن استعمالات فعل الأمر بصورته المباشرة ما كتبه إلى والي مصر محمد بن أبي بكر, وهو يحثه على الأَخذ بالأوامر العسكرية حين يواجه العدو:((**فَحصِّنْ قَرِيَتَك واضمم إليكَ شِيعَتَكَ، واندب إلى القومِ كِنانةَ بن بِشْر(*), المَعروفِ بالنَصيحَة وَالنَجدة وَالبَأس، فإنَّي نادِبٌ إليكَ الناسَ عَلى الصَّعبِ وَالذَلول, فاصبِر لِعَدوِكَ, وَامشِ عَلى بَصيرَتِك، وَقاتِلهُم عَلى نِيتكَ، وَإنْ كانَ فِئتكَ أَقلَّ الفِئتينِ**))[٤٣].

---

(٣٨) الأَبعاد التداولية في المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية للشاطبي، أحمد حسين حيال: (أُطروحة دكتوراه) : ١١٧.

(٣٩) ينظر: الأَبعاد الحجاجية في شعر محمد العيد آل خليفة، وافية بو لفعة: (رسالة ماجستير) :١٧٥.

(٤٠) المقتضب، أبو العباس المبرد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة: ١٣٣/٢.

(٤١) ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي، تح: نعيم زرزور: ٣٢٠، ونظرية المعنى في الدراسات النحوية ، د. كريم حسين ناصح الخالدي: ٣٩٦، و في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي: ١١٤.

(٤٢) الأصول في النحو: أبو بكر محمد المعروف بابن السراج، تح: عبد الحسين الفتلي:١٥٧/٢.

(*) هو كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي, أحد رؤوس المصريين, وكان من أنصار الإمام علي(عليه السلام) وأوليائه, صاحب بأس وتجربة. ينظر: تاريخ الطبريّ :١٠٢/٥, والوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى:٢٧٩/٢٤.

(٤٣) مستدرك نهج البلاغة:١٦٧-١٦٨.

يتوالى الفعل الكلامي بصيغة الأمر الصريحة بقوله(عليه السلام):(فحصن, واضمم واندب, فاصبر, وامشِ, وقاتل), فتحققت إنجازية هذه الأفعال بدلالة صيغة الأمر الصريحة(افعل)(*) المتمثلة في توجيه المتلقي للقيام بها, إذ هيمن على الخطاب الموجه تكرار هذه الصيغة تأكيداً له على الأخذ بها, وتكمن قوة هذه الملفوظات في إعطاء تعليمات فنية للقتال, بطرق تُمَكِّن المتلقي من مواجهة خصمه, ومن المُسَلَّم به أَنَّ اتِّباع هذه الاستراتيجية لا يتصور حدوثها إلاّ إذا كان المتكلم قادراً على ممارسة سلطته ونفوذه(٤٤). ولمّا كان الإمام (عليه السلام) صاحب سلطة ونفوذ كبيرين تضمن جوابه بإلزام محمد بن أَبي بكر بأفعال توجيهية أَمرية, جاءت بصورة تراتبية متكررة, وذلك عندما بعث محمدُ بن أبي بكر كتاباً إلى الإمام(عليه السلام) يخبره عن نزول ابن العاص بأداني مصر في جيش ضخم, فاستنجده بالرجال والأموال(٤٥), فجاءت طبيعة الملفوظات الإنجازية بقواعد عسكرية, مصحوبة بعنصري الربط(الواو, والفاء) اللذين أسهما في تحقيق إرادة إنجاز الأفعال الكلامية, فضلاً عن دورهما في تبيين مدى إصرار المتكلم على التنفيذ(٤٦), فقوله:(فحصن قريتك، واضمم إليك شيعتك) قاعدة عسكرية تكمن قوتها في وجوب أخذ الحيطة والحذر من العدو, بتعزيز المكان بالجند, وضم جماعته بتوحيد صفوفهم, وجعلهم إلى جانبه (واندب إلى القومِ كِنانةَ بن بِشْر المعروف بالنصيحة والنجدة والبأس...) قاعدة أُخرى تكمن قوتها في تكليف كنانة بن بشر بالمعونة, (فاصبر لعدوك وامشِ على بصيرتك) ملفوظ إنجازي تكمن قوته في تصبير محمد بن أبي بكر على عدوه وتكليفه بالسير على عقيدته, ومشاركته القتال بقوته المستمدة من إيمانه بالله سبحانه وتعالى .

فتمثل إنجاز فعل الأمر بمعناه الحقيقي؛ إذ كانت الأَوامر الصادرة من الآمر إلى المأمور متحققة في ركني العلو والإلزام, بأخذ التعليمات العسكرية.

ومن مظاهر حسن سياسته عليه السلام قوله عندما كتب إلى عماله: ((**أدقوا أقلامكم وَقاربوا بَينَ سطورِكُم، وَاحذفوا مِن فضولِكُم، واقصدوا قَصدَ المَعاني، وَإياكُم والاكثار؛ فإنَّ أَموالَ المُسلمين لا تَحتَملُ الاضرار**))(٤٧).

(*) ما عدا قوله (عليه السلام) : فحصن وقاتل ، فقد جاءتا على صيغتي : فعِّل و وفاعل .

(٤٤) ينظر: اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاويّ:١٢٣.

(٤٥) ينظر: تاريخ الطبري :١/٥١٠.

(٤٦) ينظر: في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي:١٣٠.

(٤٧) مستدرك نهج البلاغة: ١٥٩.

تظهر إنجازية هذا القول في استعمال فعل الأمر, إذ وجّه تعليماته (عليه السلام) نحو قاعدة اقتصادية, فقوله : (أدقوا أقلامكم وَقاربوا بَينَ سطورِكُم) ملفوظات إنجازية جاءت بلفظ الأمر الصريح, (افعلوا) إذ أَمر (عليه السلام) بالقصد في طوامير الأَوراق, ودقة الأقلام[٤٨]، فإنَّ بري القلم يجعل الكلمات أَصغر, وتقارب السطور تحد من هدر الأوراق, فتمثلت أَوامره في حسن المنهج القويم, في المحافظة على بيت مال المسلمين؛ لأنَّها وديعة إلهية سيحاسب المسؤول عنها يوم القيامة, ناهيك عن الاقصاد في وقت الكاتب والقارئ؛ لأنَّ الاستطراد في أثناء الكتابة قد يحول دون ايصال المتلقي إلى الهدف المنشود[٤٩]؛ فوجب أن تكون الألفاظ على قدر المعاني من دون زيادة, وهذا ما تمثل في قوله (عليه السلام) :(وَاحذفوا مِن فضولِكُم، واقصدوا قَصدَ المَعاني).

وتكثر في خطاباته إنجازية فعل الأَمر بصورته المباشرة الصريحة, لممارسته السلطة التي تعد مؤشراً على كفاءة المتكلم في اختياره استراتيجية خطابه, المتجسدة في تلك الكفاءة[٥٠], ومنها ما ورد في خطبته[٥١]. ـ وقد اتفق الغدير والجمعة معاً ـ:((**فإذا تلاقيتم فتَصافَحوا بالتَسليم, وَتهانوا النعمة في هذا اليوم, وَليُبلِّغ الحاضر الغائب, والشاهد البائن, وليعد الغَنيُّ الفَقير**))[٥٢].

أَنجز (عليه السلام) فعل الأمر بصيغتي الأمر (افعل, ولام الأمر+ الفعل المضارع), وقد عُدَّت هاتان الصيغتان لبَّ الأمر والأصل في استعماله[٥٣], إذ كان الخطاب الداعية إلى بيان أهمية يوم الغدير, وفضله على الإسلام والمسلمين كافة, فتمثلت الملفوظات الإنجازية مجتمعة ما بين الأمر بـ(افعلوا) و(لام الأمر+ الفعل المضارع) لتطلب الموقف التداولي, فالمتلقي الناس كافة, ومن المُسلَّم به أنَّهم على ضربين متلقي عيني (حاضر)، وهذا ما استعمل له صيغة (افعلوا), ومتلقي ذهني غير حاضر, والذي اقتصر استعماله– في هذا الخطاب– بـ(لام الأمر), قال ابن سيده(ت ٤٥٨هـ) : ((ولامُ الْأَمر موضوعةٌ ليُتوصَّل بهَا إِلَى الْأَمر من الْفِعْل ... وَهِي تَنْقَسِم إِلَى ضربيْن: ضَرْبٌ يُجاء بهَا فِيهِ من غير اضْطِرار إِلَيْهَا وَذَلِكَ إِذا أمرتَ الحاضرَ كَقَوْلِك لِتَضْرِبْ وضَرْبٌ يجاء بهَا فِيهِ اضطراراً وَذَلِكَ إِذا كَانَ بينَك وَبَين مأمورك وَسيط وَلم يكُ هُوَ حَاضراً))[٥٤], ففرض

---

(٤٨) ينظر: نفسه، هامش :٣: ١٥٩.

(٤٩) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ: ٥٩/١٢–٦٠ .

(٥٠) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٢٣٥.

(٥١) ينظر: مستدرك نهج البلاغة: ١١٥.

(٥٢) نفسه : ١٢٠.

(٥٣) ينظر: المعتمد في أصول الفقه، محمد بن علي المعتزلي، تح: خليل الميس:٤٩/١، ومفتاح العلوم:٣١٨، و استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:٣٤٣.

(٥٤) المخصص ، أبو الحسن علي بن سيده المرسي، تح:خليل إبراهيم جفال:٢٣٠/٤.

الخطاب ضرورة تبليغ أَوامره (عليه السلام) للناس كافة, بجعل هذا اليوم عيداً للمسلمين, وما يترتب على ذلك اليوم من إجراءات المصافحة والتهنئة, وقد دلّت على ضرورتها(إذا الشرطية) الواقعة في بداية الخطاب.

وقد أصدر (عليه السلام) فعلاً توجيهياً تمثل بأمر تحريك عسكره, عندما أَنكر عليه الخوارج وأَيس منهم[٥٥], بعد قضية التحكيم, فمضى بالناس ونزل بالنُخيلة, فقام وحمد الله وأَثنى عليه, ثم بدأَ خطابه بتحريضهم إلى الجهاد, إلاّ من كان على شفا هلكة, ولم يتداركه الله بنعمه[٥٦], فقال: **((فَاتَّقوا اللَّهَ, وَقاتِلوا مَن حَادَّ اللَّهَ, وَحاوَلَ أَنْ يُطفِئَ نُورَ اللَّهِ, قاتِلوا الخاطِئينَ, الضَّالين، الَّذِينَ لَيسوا بِقُراءٍ للقرآنِ، وَلا فُقَهاءَ فِي الدين، وَلا عُلَماءَ فِي التأويل، وَلا بأهلٍ لِهذا الأَمر))**[٥٧].

فتمثل توجيهه(عليه السلام) بفعلي الأَمر بالتقوى, والأَمر بالقتال؛ ليدفع الناسَ إلى جهادٍ فيه قربى إلى الله, فتظهر مزيّة التوجيهيات بمحاولة دفع المتلقي إلى فعل شيء ما, وتحاول التوجيهيات أَيضاً أَن تجعلَ العالمَ يطابق الكلمات؛ لرغبة المتكلم في تحقيق وضع في المستقبل[٥٨], ويلحظ أَنَّ الإمام (عليه السلام) قد جعل توجيهه بفعل القتال معطوفاً على فعل التقوى؛ لما ترتّب على تقوى الناس من محاربة المرتدين عن دين الله, إذ تركوا حكم القرآن وراء ظهورهم, ولم يعملوا به, بل أَحيوا ما أَمات القرآن, واتبع كلٌ واحد منهم هواه[٥٩].

وتمثل التوجيه أَيضاً بالطلب في قوله (عليه السلام): **((اِسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاضِح, وَ اِمْتَاحُوا مِنْ عَيْنٍ صَافِيةٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ اَلْكَدَرِ))**[٦٠].

فاستعمل (عليه السلام) التوجيه بالطلب, وبصيغة الأَمر في توجيه الناس, أَي يهتدوا بكتاب الله, وآثار النبوة[٦١], وجاءت صيغة الأَمر مزيدة بالهمزة والسين والتاء؛ لمعنى السؤال أَو الطَلب , فقوله:(اسْتَصْبِحُوا) أَي اتخذوا من كتاب الله وآثار نبوته طريقاً واضحاً كوضوح الصباح, الذي يُزيل

---

(٥٥) كان المترقب من الخوارج عندما دعاهم الإمام علي (عليه السلام) إلى قتال معاوية أن يستجيبوا له, لأنهم كانوا يقولون له: ((تب من خطيئتك، وارجع عن قضيتك، واخرج بنا إِلَى عدونا نقاتلهم حَتَّى نلقى ربنا)) لكنهم لما دعاهم (عليه السلام) إلى ذلك أَبوا عليه منكرين, ينظر: تاريخ الطبري: ٧٢/٥.

(٥٦) ينظر: نفسه : ٧٨/٥.

(٥٧) مستدرك نهج البلاغة: ٩٠.

(٥٨) ينظر: الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، مؤيد عبيد آل صوينت:٤٦-٤٧.

(٥٩) ينظر: تاريخ الطبري: ٧٧/٥.

(٦٠) مستدرك نهج البلاغة: ١٣٣.

(٦١) ينظر: نفسه: ١٣٣.

الظُلمة, وقوله : (اِمْتَاحُوا[*] مِنْ عَيْنٍ صَافِيةٍ) معطوف على ما قبله, وجه به المتلقي إلى الاستقاء من عين صافية فجعل لهذا الاستقاء صفة الصفاء, فضلاً عن توكيد هذه الصفة بـ(قد) وصيغة (فعّل) التي أَفادت المبالغة والتكثير[٦٢], يُقال ((رَوَّقتُ الشَّراب صَفَّيته))[٦٣] .

وأساليب الأَمر تشترك في تحقيق غرض الأمر, لكنّها تتفاوت في القوة, فالطلب بلفظ مادة (أمر) الاشتقاقي والمعجمي له دلالة على أنَّ المتكلم يتكئ على موقعه السلطوي أكثر من الطلب بغيره من الأساليب, ناهيك عما يؤكده للمتلقي من أنَّ قصده هو الأمر تحديداً[٦٤] , وقد ورد استعمال مادة (أمر) الاشتقاقية كثيراً في خطابات الإمام(عليه السلام) منها (أمرتكم[٦٥], وأمرته[٦٦], وآمرك[٦٧]...), ويلحظ أنَّ استعمال الأمر معجمياً له دلالة واضحة على المعنى الإنجازي الحرفي؛ لأنَّ هذه الملفوظات لا تحتمل احتمالات غير المعنى المباشر, وقد تمثل استعمال الزمن المضارع من الفعل (أَمر) في خطابه (عليه السلام) وهو يحث الناس على تقوى الله سبحانه وتعالى, واغتنام الفرص للعبادة في الأيام الفانية: ((**آمرُكم بالرَفضِ لهذه الدُنيا التاركة لَكُم, وإن لم تكونوا تُحبونَ تركها, وَالمُبليةِ لأَجسادكم, وإن أَحببتُم تجديدها**))[٦٨].

تكمن قوة هذه الملفوظات في وجوب عمل الصالحات المتمثلة بطاعة الله سبحانه وتعالى, و قد نبّه على خطر إيثار الدنيا الفانية على الآخرة, وهي الحياة الأبدية, ويتضح أنَّ الإمام (عليه السلام) قد أنجز فعل الأَمر بلفظه, وتمثل ذلك بقوله (آمركم) وقد أعطت هذه اللفظة دلالة على تمتعه بالموقع السلطوي, فضلاً عن أهمية ما أمر به رعيته؛ لأنَّ الخطاب تضمن ملفوظات دَلَّت على وجوب الترك لمتاع الحياة الدنيا والتهيؤ لساعة الموت, إذ أسهم زمن الفعل المضارع في قوله: (آمركم) الدال على الحال والاستقبال في تيسير تأويل القول وفهمه, و أنَّه عبّر عن صدق القضية المتمثلة بحقيقة الدنيا المنقضية, ومثل هذه الحقيقة اقتران اسم الفاعل بـ(ال) للدلالة على الثبوت في قوله: (اَلدُّنْيَا اَلتَّارِكَةِ لَكُمْ, وَ اَلْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَادِكُمْ) شئتم أَم أَبيتم, فالنظر إلى أَزمنة الأَفعال لها دلالة إنجازية في إظهار المعنى, وقد أَشار إلى هذه الحقيقة كل من آن روبول، وجاك موشلار

(*) الماتح:((المستسقي ... مَتَح الدَّلْوَ يَمْتَحُها مَتْحاً إذا جَذَبَهَا مُسْتَقِيًا بِهَا))، لسان العرب (متح):٢/٥٨٨.

(٦٢) ينظر: صيغة فعل في القرآن الكريم دراسة صرفية دلالية، أَحلام ماهر محمد حميد: ٤٣.

(٦٣) مقاييس اللغة (روق): ٢/٤٦٢.

(٦٤) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:٣٤٥

(٦٥) ينظر: مستدرك نهج البلاغة: ٩٧,١٧٨, ٢٠٥.

(٦٦) ينظر: نفسه: ١٦٤, ١٦٥, ١٧٢.

(٦٧) ينظر: نفسه: ١٧١.

(٦٨) نفسه:١٤١.

بقولهما:((وأزمنة الأفعال لا تصف أَحداثاً, فتلك هي وظيفة الأَفعال, إنها تُيَسِّرُ تأويل الأَقوال التي تظهر فيها ويمكنها بهذا المعنى... أَن تساهم في شرطية صدق القضايا التي تعبر عنها الأَقوال..., إذ تمكن من معرفة ما إذا كان الحدث الموصوف منقضياً, أَو غير منقض, أَو بصدد الوقوع, أَو ماضياً))[٦٩].

ومن الأَفعال المُنجزة بفعل التوجيه والطلب ما جاء في خطابه (عليه السلام) باسم الفعل: ((**عَلَيكُم كِتابَ اللهِ فإنَّهُ الحَبلُ المَتين وَالنُورُ المُبين, والصراط النَّافعُ,وَالرَأي الناقِع,وَالعِصمَةُ للمُتَمسك والنجاةُ للمُتَعَلّق لايُعوجُ فَيقَوَّم, وَلا يَزيغُ فَيَتَشَعَّب, وَلا يَخلَقُ عَلى كَثرةِ التِرداد, مَنْ قَالَ بِهِ صَدَق, وَمَن عَمَلَ بِهِ لَحَق**))[٧٠].

خاطب (عليه السلام) رعيته مستعملاً اسم الفعل:(عليكم كتاب الله) أي الزموا كتاب الله, بوصفه فعلاً يتكئُ على المعرفة اللغوية عند المتلقي, فيعتمد المتكلم ((في استعمال الأَفعال على كفاءة المرسل إليه اللغوية والتداولية في التأويل المناسب وفهم قصده من الخطاب))[٧١], وعمد(عليه السلام) إلى إلحاق هذا الفعل بملفوظات إنجازية, بَيَّنَ فيها فضائل القرآن الكريم, مؤكداً ذلك بأداة التوكيد (إنَّ), واقترانها بالفاء التعليلية.

ويظهر اهتمامه (عليه السلام) بالتوجيه باسم الفعل ايضاً نحو التمسك بالقرآن والعمل به, والتدبر فيه فوجب تطبيقه في مجالات الحياة كافة, وهذا ما جاء في خطابه لابنه محمد ابن الحنفية (عليه السلام) في إحدى وصاياه :((**عَلَيكَ بِقراءةِ القُرآنِ, والعَملِ بِما فِيهِ، وَلزُومِ فَرائِضِه وَشَرائِعهِ, وَحَلالِهِ وَحَرامِهِ, وَأَمرِهِ وَنَهيهِ، وَالتَّهَجدِ بِهِ, وَتِلاوَتِهِ في لَيلِكَ وَنَهارِك**))[٧٢] .

وفعل النهي بصورته المباشرة, فقد كان له تمثلات في خطابات الإمام (عليه السلام) في مواضع كثيرة, منها ما جاء في خطبة له كان يقولها لجيشه في كلِّ موطن يلقى فيه العدو: ((**لا تُقاتلوا القوم حتى يَبدَؤوكم, فأَنّتم بِحمدِ اللهِ عَلى حُجَّةٍ, وَ تَركُكم إيّاهُم حَتّى يَبدؤوكم حُجَّةٌ أُخرى لَكُم فَإذا قاتَلتموهم فَهَزَمتُموهم, فَلا تَقتُلوا مُدْبِراً, وَ لا تُجْهِزوا عَلى جَريحِ, وَ لا تَكشِفوا عَورَةً, وَ لا تُمَثِّلوا بِقَتيل, فإذا وَصَلتُم إلى رِحالِ القَومِ, فَلا تَهتِكوا سِتراً, وَ لا تَدخلوا داراً, و لا تَأخُذوا**

---

(٦٩) التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ١٧٤, وينظر: حاشية الصبان على شرح الاشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان:٤٣٨/٣.

(٧٠) مستدرك نهج البلاغة: ٨٧.

(٧١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:٣٤٨.

(٧٢) مستدرك نهج البلاغة: ٢٠٣.

مالاً, إلاّ ما وَجَدتُم في مُعَسكَرِهِم، وَ لا تُهيجوا امرأةً بأذى، وَ إنْ شَتَمْنَ أَعراضَكُم و سَبَبْنَ أُمراءكُم وَ صُلَحاءَكُم, فَإنَّهُنَّ ضِعافُ القوى وَ الأَنفُس))[٧٣].

أَنجز الإمام (عليه السلام) جملة من الملفوظات في آداب الجهاد, بأُسلوب النهي فقوله:(لا تُقاتِلوا القَومَ حَتّى يَبدَؤوكم) ملفوظ إنجازي, تكمن قوته في نهي أصحابه عن الابتداء بالقتال, وفي التنزيل الحكيم, قال تعالى:ﱡ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ [البقرة: ١٩٠] أَي لا يُحب المتجاوزين الذين يتعدون حدود الله, فالإسلام لا يُقاتل إلاّ الذين يبدؤون القتال ويتجاوزون حدوده وشرائعه[٧٤], ثم علل (عليه السلام) النهي عن البدء بالقتال بقوله: (فأَنّتم بِحمدِ اللهِ عَلى حُجَّةٍ), وبينة من أَمركم بأَنَّكم أَصحاب دين,(وَ تَركُكم إِيّاهُم حَتّى يَبدؤوكم حُجَّةٌ أُخرى لَكُم) على المعتدين, وقد استعمل (عليه السلام) العامل (حتى) بقوله (حتى يبدؤوكم) مرتين بتكرار اللفظ نفسه؛ لتوكيد الملفوظ, ومساعدة حتى في إنجاز الفعل الكلامي ((فالعامل حتى في الملفوظ يساعد على تقوية إيقان المتقبل بالنتيجة, بل إِنَّ العامل قبل ذلك يرسم صورة المسلك الذي ينبغي عليه أَن يقطعه للوصول إلى النتيجة وهو في أثناء ذلك كله يقوي النتيجة التي يروم الملفوظ إيصالها))[٧٥], ثم يذكر الإمام (عليه السلام) جملة من الملفوظات الإنجازية, التي نهى فيها عسكره، وحذره عن ترك أَمور عندما يهزموا العدو, وينالوا منه, هي:

-(فَلا تَقتُلوا مُدْبِراً) قد وَلَّى عن القتال, إذ ليس من صفات المسلم الغدر.

-(وَ لا تُجْهِزوا عَلى جَريحٍ) فعل كلامي إنجازي تكمن قوته في نهي وتحذير عسكره عن الإسراع إلى الجرحى لقتلهم .

-(وَ لا تَكشِفوا عَورَةً) تكمن قوة هذا الملفوظ بالتعبير عن لغة الجسد المتمثلة بستر العورة لأَنَّ العري لا يتناسب مع الفطرة الإنسانية, فهو مذموم, وفيه مهانة للبشرية[٧٦].

-(و لا تُمَثِّلوا بِقَتيل) معطوف آخر حذر فيه الإمام علي (عليه السلام) عسكره من التنكيل والتعذيب للقتيل, وفي رواية له(عليه السلام) إنَّه قال:((سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور))[٧٧].

-(فَلا تَهتِكوا سِتراً) قاعدة أُخرى تكمن قوتها الإنجازية في التحذير من هتك الستر.

---

(٧٣) مستدرك نهج البلاغة: ٩٠.

(٧٤) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب : ١٥٨١/٣.

(٧٥) العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عز الدين الناجح: ١٣٤.

(٧٦) ينظر: أَلفاظ اللباس في القرآن الكريم دراسة لغوية معجمية، بشير سعيد سهر المنصوري، مجلة آداب البصرة:ع٤٧ :لسنة ٢٠٠٨ :٧٧-٧٨.

(٧٧) الكامل في التاريخ، عز الدين ابن الأثير، تح: عمر عبد السلام تدمري:٢/ ٧٤٠.

-(وَ لا تَدخلوا داراً، و لا تَأخُذوا مالاً, إلاّ ما وَجَدتُم في مُعَسكَرِهِم) ملفوظ إنجازي مقيد بالعامل الحجاجي, وهو القصر بالنفي والاستثناء(ولا...ولا... إلاّ) وذلك لتأكيد قوة الملفوظ؛ لأنَّ القصر بـ(النفي+ الاستثناء) حُجة تؤدي إلى قصدية المتكلم التي يُريد إيصالها إلى المتلقي, للتسليم بها(٧٨).

-(وَلا تُهيجوا امرأةً بأذى، وَ إنْ شَتَمْنَ أَعراضَكُم و سَببْنَ أُمراءكُم وَ صُلَحاءَكُم) عطف آخر يُضمُ إلى جانب المعطوفات, وقد علل الإمام علي (عليه السلام) التحذير من الأَذى للنساء بقوله:(إنَّهُنَّ ضِعافُ القوى وَ الأَنفُس) عن مقاومة الرجال، ولاسيما في مواقف الحرب. فجاءت هذه الملفوظات الإنجازية كلّها في صيغة النهي, وقد بَيَّنَ فيها الإمام (عليه السلام) قواعد آداب القتال, التي حثَّ عليها الدين الإسلامي.

ومن الإنجاز بالنهي بصورته المباشرة الحرفية قوله (عليه السلام):((**إنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتعالى أَخفى أَربَعةً في أَربَعة: رِضاه في طاعَتِهِ, وَسخطه في مَعصِيَته, وَ إجابته في دَعوَتِه, وَ وَلِيّهُ في عِبادِهِ, فَلا تَستَصغِرَنَّ شَيئاً مِن طاعَتِه، فَربَّما وافَقَ رِضاهُ, وَلا شَيئاً مِن مَعصِيَتِهِ, فَربَّما وافَقَ سَخطه, وَلا شَيئاً مِنْ دُعائِهِ, فَربَّما وافَقَ إجابَته, وَلاعَبداً مَن عَبيدِ اللهِ, فَربَّما يَكونُ وَليهُ وَأَنتَ لا تَعلَم**))(٧٩).

تمثلت قصدية الإمام (عليه السلام) بوجوب ترك فعل الاستصغار, و صُبَّت صياغة النهي بملفوظ إنجازي توجيهي صريح(لا تستصغرنَّ), ورافق هذا الفعل زيادة نون التوكيد الثقيلة, التي أَضفت للنهي دلالة تداولية في أَنَّ النهي المؤكد أكثر تأثيراً من النهي المجرد من التوكيد, ويلحظ أنَّه (عليه السلام) قَدَّمَ خطابه بدرجات متفاوتة من القوة, إذ استعمل عناصر تقوية المنطوق الإنجازي في عبارات, واستعمل عنصر تضعيف المنطوق في عبارة أُخرى في الخطاب نفسه, فقوله: (إنَّ الله تباركَ وتعالى أَخفى أربعة في أربعة...) ملفوظ إنجازي إخباري مباشر مُؤكد بأَداة التوكيد (إنَّ) تكمن قوته في تقديم قواعد عامة صِيغَت بأُسلوب التعداد, وَقد أُخفِي بعضها في بعض, وَلَعلَّ هذا الخفاء مُتأتٍ من الحكمة الإلهية؛ ليجعل العباد في اهتمام وحرص شديدين, بتركهم فعل الاستصغار والتهاون عن هذه الحقائق, وقد سبقت الإشارة إلى توكيد هذا الفعل بنون التوكيد الثقيلة, فضلاً عن عنصر التكرار, نحو تكرار(لا الناهية, وشيئاً, وربما) في حين أَنَّ تكرار الملفوظ الأَخير (ربما) أَعطى دلالة التضعيف القوة في النتائج المترتبة على من يقوم بالفعل, وهذا ما أَسماه التداوليون بالإضعاف الإيجابي التأثير(٨٠), ولا شكَّ في أَنَّ هذه الأَدوات مرتبطة بقصديته (عليه السلام) فالإمام- كما هو معروف- بليغ البيان، وفصيح الكلام، وذو كفاءة ووعي وإدراك لا

---

(٧٨) ينظر: تجليات الحجاج في القرآن الكريم صورة يوسف أُنموذجاً:١٩٩.

(٧٩) مستدرك نهج البلاغة: ٢٥٣.

(٨٠) ينظر: النص والخطاب والاتصال:٣٠٥.

مراء فيه، فهو لم يستعمل الغلظة والشدة في توجيهه, فكانت العِبرة بكيفية تداول المنطوقات؛ لأَنّ ((الكيفية التي يُقال بها الشيء تُعد جزءاً مما يُقال))[٨١], فالمقام مقام منع, وقد اقتضى هذا المقام تقوية الملفوظ الإنجازي من جهة؛ للدلالة على أهمية هذه الملفوظات وتوكيدها, بيد أَنَّه (عليه السلام) أَضعف القوة الإنجازية من جهة أُخرى؛ لانعطاف قلوب المتلقين وتقبلهم الدعوة بترك الفعل والكفِّ عنه, فأعطت دلالة (ربما) –في ضوء سياقها– رفقاً ولیناً ، وهو أمرٌ جعل من فاعلية الأداء يُحدِث أَثراً له وقعه على المتلقي, وقد تمثل فعل الترك بقوله:(فلا تستصغرنَّ شيئاً من طاعته، فربّما وافق رضاه) ملفوظ إنجازي مباشر تكمن قوته في وجوب ترك فعل الاستصغار المتمثل بالطاعة؛ لئلا تكون النتيجة خسران رضا الله سبحانه وتعالى, (ولا شيئاً من معصيته فربّما وافق سخطه) تتمثل قوة هذا الملفوظ في وجوب ترك استصغار المعصية؛ لئلا يورث سخطه عزَّ وجلَّ, وجاء على نية تقدير المحذوف (تستصغرن), والحذف كثير ما يرد في المواقف التداولية المصحوبة بالعناصر السياقية التي تساعد على تمام الفهم, ولا يؤثر الحذف على دلالة الإنجاز المباشر, بل يزيد من قوته الإنجازية , ويؤكد ذلك قول الجرجانيّ ((إذا أنتَ مررت بموضع الحذف منها، ثم فليت النفسَ عما تَجدُ، وأَلْطفْتَ النظَرَ فيما تُحِسُّ به, ثُمَّ تَكلَّف أَن تَرُدَّ ما حذَفَ الشاعرُ وأن تُخرجَه إلى لفظِك، وتُوقِعَه في سمعكَ، ... وأنْ رُبَّ حَذْفٍ هو قِلادَةُ الجِيد، وقاعدةُ التَّجويد))[٨٢] .

(ولا شيئاً من دعائه فربّما وافق إجابته) ملفوظ آخر على نية تقدير المحذوف تكمن قوته في تحديد قاعدة غاية في الأهمية وهي أنَّ الكمال لله سبحانه وتعالى, فالبشرية جمعاء تحتاج إليه؛ لذا وجب على العبد التوجه إليه بالدعاء في كلِّ صغيرة وكبيرة.

(ولا عبداً من عبيد الله, فربما يكون ولياً وأنت لا تعلم) فعل إنجازي مباشر على نية تقدير المحذوف أيضاً, تكمن قوته في التكليف بترك استصغار عبدٍ من عباده, فربما كان له حظٌّ عنده سبحانه وتعالى, وأشار في نهاية خطابه إلى أنَّ علم الإنسان حصولي وليس علماً حضورياً, وتمثل ذلك بقوله:(وأنت لا تعلم) وفي هذا دلالة على إثبات حقيقة محدودية علم الإنسان, فالله سبحانه وتعالى هو العليم الخبير, رقيب على عباده في أدق الأَشياء وأصغرها, كما أَنَّه رقيب عليهم في أعظم الأمور وأكبرها.

---

(٨١) نفسه: ٣٠٢.

(٨٢) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تح : محمود محمد شاكر :١٥١.

ومن الأَفعال التوجيهية ما كتبه إلى عبد الله بن عباس أَيام ولايته على البصرة[٨٣] ((**فَلا يَكُنْ حَظُكَ في وِلايَتِكَ مالاً تَستفيدهُ, ولا غيضاً تَشفيه, ولكن إماتة باطلٍ وإحياء حقٍ**))[٨٤].في هذه الجمل المنجزة من الإمام(عليه السلام), وجه ابن عباس بفعل الترك, بأن لا يتخّذ منصبه طريقاً سهلاً لجمع المال, ولا يتكئ عليه؛ لتحقيق حاجته الذاتية نحو الأَخذ بالثأر, بل يتبلور دور الزعامة على إماتة باطل, وإحياء حق, وهذا ما يُصلح حال الأُمة؛ لأنهما الحجر الأَساس في إقامة السياسة الراشدة.

وما أَكثر المواضع التي أَنجز فيها الإمام (عليه السلام) أَفعالاً, فيختصر بها دستوراً كاملاً, ومنها ما نهى عنه المتلقي أَن يعمل خيراً قصداً للتظاهر والسمعة فيوهم أَنَّه مؤمن, كما نهى عن ترك عمل الخير حياءً, إذ لا حياءَ في فعل الخير: فهو القائل ((**لا تَعمَلْ الخَيرَ رِياءً, وَلا تَتركهُ حياءً**))[٨٥].

ـ إنجازية فعل الاستفهام :

من استعمالات الإمام (عليه السلام) للأفعال المباشرة أُسلوب الاستفهام, ومنه ما خاطب به طائفة من الذين أَنكروا بيعته, وجحدوا حقه عندما وَلّاهُ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)الخلافة, وقد عُرِفَت هذه الخطبة بخطبة يوم الغدير[٨٦], إذ قال فيها: ((**أَ فتدرون الاستكبارَ ما هوَ ؟ هوَ تَركُ الطاعَةِ لِمَن أُمِروا بِطاعَتِه, وَالتَّرفُعَ على من نُدِبوا إلى مُتابَعَتِه, والقرآنُ يَنطِقُ مِن هذا عضن كَثيرٍ,... أَتَدرون ما سَبيلُ اللهِ, وَمَن سَبيلُهُ, ومَن صراط اللهِ, وَمَن طَريقه؟ أَنا صِراطُ اللهِ الذي لَم يَسْلِكْهُ هَوى, وأَنا سَبيلهُ الذي نَصَّبَني بَعد نَبيهِ(صلى الله عليه وآله وسلم)**))[٨٧] .

بدأَ (عليه السلام) خطابه بسؤال توجيهي عام مستعملاً أَداتي الاستفهام(الهمزة, وما) (أَ فتدرون الاستكبارَ ما هوَ ؟), موجهاً سؤاله إلى المتلقي عن ماهية الاستكبار، ويُراد بالاستكبار: الامتناع عن قبول الحق, معاندةً وتكبراً, واستكبر : أَي رأى الخضوع للشيء كبيراً مستعظماً[٨٨],

---

(٨٣) ينظر: موسوعة عبد الله بن عباس حبر الأُمة وترجمان القرآن، السيد محمد مهدي السيد حسن الموسويّ الخُرسان، اعداد مركز الأبحاث العقائدية: ٤٨/٤.

(٨٤) مستدرك نهج البلاغة: ٢٠٦.

(٨٥) مستدرك نهج البلاغة : ٢٧٨.

(٨٦) ينظر: مصباح المتهجد : أبو جعفر الطوسيّ، صحّحَه وأشرف على طباعته فضيلة الشيخ حسين الأعلمي:٧٥٢.

(٨٧) مستدرك نهج البلاغة: ١١٩.

(٨٨) ينظر: المعجم الوسيط (كبر) :٧٧٢.

وهذا ما أَنجزه (عليه السلام) في خطابه, إذ جعل ترك الطاعة لمن أُمِرَ بطاعته, والترفع على من نُدِبَ إلى متابعته هو معنى الاستكبار, وقد أَشار القرآن الكريم إلى جنس المتكبرين في موارد كثيرة, ولعل أَولهم هو إبليس, قال تعالى:ﱡ بخ بم به تج تح ﱠ [البقرة:٣٤], وبعدما أَنجز (عليه السلام) توظيف هذا المفهوم العام انتقل إلى أسئلة أَكثر خصوصية؛ ليربط بين مُجريات الأَحداث, جاعلاً إنكار الاعتراف بوصية الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ضرباً من ضروب الاستكبار, وتمثل هذا الانتقال بأسئلة متدرجة: (أَتَدرون ما سَبيلُ اللهِ, وَمَن سَبيلُهُ, ومَن صراط اللهِ, وَمَن طَريقه؟ أَنا صِراطُ اللهِ الذي لَم يَسْلِكْهُ هَوى...) ويلحظ أَنَّه (عليه السلام) استعمل استراتيجية تحديد نوع الاجابة, التي ساق الأَسئلة لأَجلها من دون أَن ينتظر جواباً من المتلقي, وأَطلق د. حسن محمد وجيه على هذا النوع من الاستعمال بالأسئلة المُغلقة, إذ يستهدف فيها المُتكلم نوع الاجابة التي يريدها من دون أَن ينتظر تطوع الطرف الآخر بالإدلاء بها[٨٩], وقد عدَّ الشهريّ هذا النوع من الاستفهام من أَهم الأَدوات اللغوية الاستراتيجية الموجهة إلى المتلقي[٩٠].

ومن هنا يتضح أَنَّ هذا النوع من التدرج الاستفهامي قد أَدى وظيفة اتصالية مُنجزة بصورة مباشرة حرفية, ناهيك عن دوره في أَداء الإقناع والتأثير على المُتلقي .

ـ إنجازية فعل الدعاء :

مثّل فعل الدعاء المباشر حضوراً مُقلاً قياساً بالدعاء غير المباشر؛ لتضمين أَساليب الطلب معنى الدعاء على سبيل التضرع والتوسل, من الأَدنى إلى الأَعلى, فتخرج تلك الأَساليب من معناها الحقيقي إلى معانٍ ضمنية, كما سيتضح هذا لاحقاً في المبحث الثاني .

ومن مجيء الدعاء بمعناه الحقيقي الحرفي قوله (عليه السلام): **((طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ اَلنَّاسِ, وَ طُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَ اِشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ, وَ بَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ وَ كانَ اَلنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ))**[٩١] .

فقوله :(طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ اَلنَّاسِ) ملفوظ إنجازي أَرادَ به (عليه السلام) الدعاء لمن انشغل بعيبه متجاوزاً عُيوبَ غيره, فما دام المرء يجهل عن ذنوبه ومعاصيه التي وُضِعت له في سجل أَعماله، عليه أَن لا يَنشَغِلَ بمساوئ غيره وعُيوبهم, ((وَ طُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَ اِشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ...) ملفوظ إنجازي جاء على نية تكميل الملفوظ الأَول فمن انشغل بعيبه عن عيوب غيره لزم بيته, وأنس بمجالسة ربه, مُنشغلاً بطاعته, مستغفراً عما صدر منه من خطايا, إذ

---

[٨٩] ينظر: مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي: د: حسن محمد وجيه: ١٦٥.

[٩٠] ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٣٥٢.

[٩١] مستدرك نهج البلاغة: ٢٧٩ .

اختص (عليه السلام) بدعائه يطلب الطاعات التي تقرب العبد من ربه مستعملاً فعل الدعاء(طُوبى) واختُلِفَ في معناه, فقيل هو اسم شجرة في الجنة, وقيل بل هي إشارة إلى كل مستطاب في الجنة؛ من بقاء من دون فناء, وعز من دون ذُل, وغنى من دون فقر[٩٢], فأنجز (عليه السلام) بفعل جامع للخير كله لمن عمل الصالحات تقرباً إلى الله تعالى .

ـ إنجازية فعل الرجاء:

يُراد بالرجاء: الترقب والتوقع, وهو من الممكنات ومن أبرز أدواته (لعلَّ) التي أَجمع البصريون على أَنَّها تفيد معنى الترجي في المحبوب, والإشفاق في المكروه[٩٣], ومن أدوات الترجي ايضاً (عسى وحرى, وأخلولق[٩٤]). وقد ورد أُسلوب الترجي في كلام الإمام (عليه السلام) في إحدى حكمه, إذ قال:((**إنَّما الدَّهرُ ثَلاثةُ أَيام, أَنتَ فِيما بَينَهُن: أَمس مَضى بِما فِيهِ, فَلا يَرجِع أَبداً, فَإنْ كُنتَ عَمِلَتَ فيهِ خَيراً لَمْ تَحزن لِذَهابِه, وَفَرحتَ مما استَقبلَته مِنه, وَإنْ كُنتَ فَرَّطتَ فِيه, فَحَسرَتك شَديدةٌ لِذهابِه وَتفريطك فِيهِ إنَّكَ مِن غَدٍ في غُرةٍ, لاتَدري لَعَلكَ لاتَبلغه, وَإنْ بَلَغتَهُ لَعَلَّ حَظكَ فِيهِ التَفريط, مِثلُ حَظكِ في الأَمس, وَإنَّما هو يَومُكَ الذي أَصبَحتَ فِيه**))[٩٥], فقوله(عليه السلام): (إنّكَ مِن غدٍ في غُرةٍ لا تدري لَعَلَّكَ لا تبلغه) ملفوظ إنجازي فيه حثٌّ على محاسبة المرء نفسه، وقد نزّل فيه الإمام (عليه السلام) المرسل إليه منزلة المخاطَب المباشر باستعماله ضمير(الكاف)؛ لينتج خطاباً له وقعه على المتلقي الذهني والحضوري, وقوله(وإنْ بلغته لعلَّ حظك فيه التفريط, مثل حظك في الأَمس) ملفوظ إنجازي جاء على تقدير بلوغ المستقبل[٩٦] متضمناً خطابه جملة الشرط والجزاء, وقد تضمن الخطاب توجيه المتلقي بالتفكير واعادة النظر فيما أَضاعه من عمل الحسنات, وهذا ما يدعو إلى العمل في اليوم الذي أَصبح فيه مدركاً لما فرَّطَ فيه, وتلافياً لما هو آت, وتنبيهاً من الغفلة[٩٧], فكان هذا المفهوم نتاجاً لتقسيم الإمام (عليه السلام) للدهر, وبقوله:(إنَّما الدهر ثلاثة أَيام أَنتَ فيما بينهن...) فقد قيد فيه الدهر بأيامٍ ثلاثة, بأداة الحصر (إنَّما) مشيراً إلى

---

(٩٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين الفيروز آبادي، تح: محمد علي النجار: ٥٣٢/٣.

٩٣() ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي:٣١٥/١.

(٩٤) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: د.قيس إسماعيل الأوسي: ٥٥٧ .

(٩٥) مستدرك نهج البلاغة: ٣١٦.

(٩٦) ينظر: شرح أصول الكافي: مولى محمد صالح المازندراني: تح: أبو الحسن الشعراني، وضبطه وصححه: علي عاشور: ٢٠٣/١٠.

(٩٧) ينظر: نفسه:٢٠٣/١٠.

المخاطب بوقوعه بينهن, وهي أمس الدابر الذي يشتمل كلَّ يومٍ مضى, وغداً أراد به المستقبل, واليوم الذي يصبح فيه المرء، وما بين هذه التقسيمات جعل الخير والفرح رهين العمل الصالح, وذلك بقوله:(فإنَّ كُنتَ عملتَ فيه خيراً لم تحزن لذهابه, وفرحت مما استقبلته منه) في حين جعل الحسرة رهينة التفريط والغفلة، إذ قال:(وإن كنت فرَّطتَ فيه فحسرتك شديدة لذهابه وتفريطك فيه), ناعتاً إياها بالشدة.

ونلحظ استعمالية الملفوظ بالترجي في هذا الخطاب أعطى قصدية إنجازية, أوجبت التنبيه على الغفلة, والحث على العمل الصالح, وتدارك ما قد فات قبل مجيء يوم الحساب الذي تُعرض فيه صحائف الأعمال على بارئها.

المبحث الثالث: الأَفعال الإلزامية:

وهي أَفعال إنجازية تهدف إلى تحقيق غرض معين, يتمثل بإلزام المتكلم نفسه إنجاز فعل كلامي للمتلقي في المستقبل, واتجاه المطابقة في هذه الأَفعال من العالم إلى الكلمات وشرط الإخلاص هو القصد, فيكون المتكلم عازماً على الوفاء بما ألزم به نفسه.

ومن مصاديق هذه الأفعال: الوعد, والوعيد, والعهد, وألفاظ العقود, نحو قولك: بعتُ اشتريت, ويلحظ أَنَّ الإلزاميات والتوجيهيات تلتقي في اتجاه المطابقة, إذ كلاهما يكون اتجاه مطابقتهما من العالم إلى الكلمات, بيد أنَّ وجود هذا القاسم المشترك لا يُسوِّغ عدهما ضمن قسم واحد؛ لسببين:

أَحدهما: إنَّ المرجع في الإلزاميات هو المتكلم أما في التوجيهات فهو المخاطب.

والثّاني: إنَّ المتكلم في الإلزاميات لا يحاول التأثير في المتلقي, وفي التوجيهيات يحاول التأثير فيه[٩٨] .

وقال بول ريكور: إنَّ ((أُوستن أَول من لاحظ أَنّ الأَقوال الأَدائية performatives مثل المواعيد– تتضمن إلتزاماً معيناً من جانب المتكلم الذي يفعل ما يقول عند قوله, فبقوله: أَعدُ بذلك,

---

(٩٨) ينظر: التداولية بين النظرية والتطبيق:٣٨٥-٣٨٦, والحجاج في الدرس اللغوي الغربي، بوزناشة نور الدين :مجلة العلوم الانسانية ،ع/٤٤ ، لسنة ٢٠١٠ : ١٥.

وهو في الواقع (يَعِدُ), أَي يجعل نفسه مُلزماً بفعل ما يقول إِنَّه يفعله))[٩٩]، فيتضح أَنَّ هدف الأَفعال الإلزامية هو جعل المتكلم ينخرط في أَفعال متصلة مُؤسسة على القصدية, هي شرط الحقيقة على إنجازية الفعل الكلامي, ويكون التزام المتكلم بها بدرجات متفاوتة[١٠٠], وتسمى هذه الأَفعال عند بعض الباحثين التعهدات, أَو الوعديات؛ لأَنَّ المتكلم فيها يتعهد بإلزام نفسه بالقيام بإنجازية هذا الفعل, نحو قوله, أعدك, وأُعاهدك وغيرهما.

ومن خطابات الإمام علي(عليه السلام) الإلزامية **الإلزام بفعل العقد بالقسم،** وتقتضي معرفة الأَفعال الإلزامية المعبر عنها (العقد بالقسم), فالعقد تعليق القسم بالمقسم عليه, نحو قولك: (والله لأقولنَّ الحقَّ ما حييت), فإنَّك بذلك عقدت اليمين بقول الحق [١٠١], أما القسم فهو أُسلوب غايته تأكيد المعنى, وله أَلفاظ تدلُّ عليه يستعملها المتكلم عندما يريد تقوية ملفوظاته.

ولتداولية أُسلوب العقد بالقسم نصيب وافر في خطابات الإمام علي (عليه السلام), ومن ذلك ما خاطب به الناس عندما تخلف عن بيعته سعد بن أَبي وقاص, ومحمد بن مسلمة، وحسان بن ثابت, وأُسامة بن زيد[١٠٢]:((**أُرِيدُكُمْ للهِ وَ تُرِيدُونَنِي لأَنْفُسِكُمْ, وَايْمُ اللهِ لأَنصَحنّ للخَصمِ, ولأَنصِفَنَّ للمظلوم، وقد بلغني عن سعد, وابن مسلَمة, وأُسامة, وحسان, أُمورٌ كَرِهتُها, وَالحَقُّ بَيني وَبينهم**))[١٠٣].

تمثّل قوله(عليه السلام) بملفوظ انجازي أَلزَمَ فيه الإمام نفسه بفعل شيء في المستقبل فجاء الالتزام بأُسلوب العقد بالقَسم, تأكيداً لدعوته وتنبيهاً على صدق قوله, إذ عقد القسم (وأَيمُ الله) بالمقسم عليه(لأَنصَحنّ للخَصمِ) و(لأَنصِفَنَّ للمظلوم)[*], ويكمن الملفوظ الإنجازي بعقد اليمين في

---

(٩٩) نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي:٤٠-٤١.

١٠٠() ينظر: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي:٢١٦-٢١٨.

(١٠١) ينظر: الفروق اللغوية :أبو هلال العسكريّ، تح: محمد إبراهيم سليم:٥٧.

١٠٢() ينظر: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد أَبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، تح:مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث:٢٤٣/١.

(١٠٣) مستدرك نهج البلاغة :١٤٨.

(*) والأصل في قوله(وأَيمُ الله) أيمن الله وهو لفظ متأصل في القسم, فلا يستعمل لغيره, وقد اختلف في أَصلِ اشتقاقه فقيل هو من اليمن والبركة, وقيل هو جمع يمين, وقد تصرفوا في تخفيفه لكثرة استعماله, فمنهم من حذف نونه كما في قوله

الجملتين الواقعتين في جواب القسم, والمتمثلة بالنصح للخصم والإنصاف للمظلوم, فقد أَلزم الإمام(عليه السلام) نفسه بتحقيق وظائف العدل بحكم رعيته وتولي أُمورهم, فاستعمال القسم يعطي قوة لـ((مقصد المتكلم في العهد والالتزام الذي أَخذ على نفسه))[١٠٤], ولا يخفى ما أعطته المؤشرات التوكيدية الواقعة في جواب القسم (اللام ونون التوكيد الثقيلة) من قوة ساعدت على تقوية المنطوق الإنجازي, فقد أَكدّ الإمام (عليه السلام) هذا المعنى بتداولية عقد اليمين, بما أَلزَم به نفسه بالعمل المتمثل بالسير على نهج الحقّ, والعدل, والنصح للخصم, والإنصاف للمظلوم, وهذا ما يؤكد مسؤوليته الكبرى تجاه رعيته .

ومن الأفعال الإلزامية **الإلزام بفِعلي الوَعد، والوَعيد**, وقد فرّق أَبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ) بين الوَعدِ وَالوَعيد فـ((الوعيد: في الشر خاصة والوعد: يصلح بالتقييد للخير والشر، غير أَنَّهُ إذا أُطلق اختص بالخير، وَكذلك إذا أُبهِمَ التقييد كقولك: وعدته بأَشياء؛ لأَنَّه بمنزلة المطلق))[١٠٥], ويفسر الوعد بما يعتقد الواعد من أَنَّ المتلقي يتطلع إلى هذا الوعد ويتعلق به, فَيُعرَفُ بتقبل المتلقي له أَو ضعف قبوله, إذ يُلاحَظ الفعل الإنجازي من اندفاع المتلقي نحوه, أَو نفوره منه؛ لأَنَّه يتعلق بالجانب النفسي للمتلقي [١٠٦].

وقد أَشار الأُصوليون إلى الوعد والوعيد وعدوهما من الإخبار, ولكنهما يختلفان من جهة أَنَّ الوعد يتضمن إيصال النفع ودفع الضرر في المستقبل, والوعيد بخلافه, إذ يتضمن إيصال الضرر من دون إيصال النفع, وبهذا يكونان من الألفاظ المتضادة شريطة أَن يتحققا في المستقبل, فإنْ فقدا هذا الشرط لم يكن المتكلم واعداً ولا متوعداً[١٠٧], ومن الإلزام بفعل الوعد ما كتبه الإمام علي (عليه

(عليه السلام), ومنهم من أضاف إليها حذف الياء, فقال (أم الله) فضلاً عن تصرفات أُخرى: ينظر: الكتاب، سيبويه تح: عبد السلام محمد هارون: ٥٠٣/٣-٥٠٤, والأساليب الانشائية في النحو العربي، عبد السلام محمد هارون:١٦٦.

(١٠٤) التداولية بين النظرية والتطبيق :٤٣٩.

(١٠٥) الفروق اللغوية: ٥٧٤-٥٧٥.

(١٠٦) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٦٧, و البرجماتية :٩٦.

(١٠٧) ينظر: شرح الأُصول الخمسة ، عبد الجبار بن أحمد ، تح: عبد الكريم عثمان:١٣٤-١٣٥.

السلام) إلى مسلمي مصر, و أرسله مع قيس بن سعد(*) يدعوهم فيه إلى بيعته, جاء فيه:((**أَلا وَ إِنَّ لَكُم عَلَينا العَمَلَ بِكِتابِ اللهِ, وَسُنَّةِ رَسُولِهِ(صلى الله عليه وآله وسلم), وَ القِيامِ عَلَيكُم بِحَقِّهِ, وَالتَنفيذِ لِسُنَتِهِ وَالنُصْحِ لَكُم بالغَيبِ وَالشَّهادةِ**))(١٠٨).

بدأَ الإمام (عليه السلام) خطابه بأداة الاستفتاح (أَلا) للتنبيه على ما ينوي قوله مؤكداً خطابه بأداة التوكيد (إِنَّ), فضلاً عن تقديم ما حقه التأخير(لكم علينا)؛ وذلك لتقوية مقصده الإنجازي, المتمثل بإلزام نفسه بالوعد فقوله:((العمل بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم))) ــ ملفوظ إنجازي تكمن قوته بالوعد الذي يحمل دَلالة الحاضر والمستقبل ــ إذ لايمكن أَن يجيء الوعد بفعل ماضٍ ــ وقد تمثل هذا الوعد بمجموعة من المضامين, ألزم الإمام (عليه السلام) فيها نفسه, وهي (العمل بكتاب الله) وظيفة أُولى, والعمل بالقرآن الكريم مفهوم واسع له أبعاده, فهو يؤخذ من جوانب شتى, منها العبادة والأخلاق, والعدل والمساواة..., فالقرآن الكريم بناء الإنسان ومنهجه القويم, (سنة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)) تأكيد للوظيفة الأُولى؛ لأَنَّ العمل بالسنة عمل بالقرآن الكريم, فالسنة هي الأَصل الثاني, بعد القرآن الكريم,(القيام(١٠٩) عليكم بحقّه, و التنفيذ لسنته), وحجته (عليه السلام) بهذا الوعد حجة سلطة, إذ تمثل قوله بحرف الجر (على) الاستعلائية, فضلاً عمّا أضفاه تعيين الفعل الأدائي(العمل, والقيام, والتنفيذ) من قوة لقصدية الخطاب المتمثل بالوعد, وأَشار ليتش إلى أَنَّ المتكلم عندما يستعمل تعيين الأفعال الإنجازية فإنَّه يريد أن يوقع نبراً خاصاً على قوة المنطوق الإنجازي(١١٠),(والنصح لكم بالغيب والشهادة) ملفوظ إنجازي تكمن قوته في أَنَّه (عليه السلام) ناصحٌ للمسلمين سراً وعلانية, وهذا يدل على أهليته للبيعة وقيامه بهذا الأمر.

وبهذا يكون (عليه السلام) قد أَلزم نفسه بهذه الوعود بتوليته أُمور الرعيّة .

(*) هو قيس بن سعد بن عبادة بن وليم الأَنصاري الخزرجي المدني, صحابي، وذو رأي في الحرب والنجدة وأَحد الأَجواد المشهورين كان شريف قومه، وصحب علياً(عليه السلام) في خلافته فاستعمله على مصر سنة٣٦-٣٧من الهجرة ، ينظر: الأعلام:٥/٢٠٦.

(١٠٨) مستدرك نهج البلاغة :١٦٥.

١٠٩() يقال: قام بهذا الأَمر أي اعتنقه، ينظر: مقاييس اللغة (قَوَمَ):٥/٤٣.

١١٠() ينظر: النصّ والخطاب والاتصال: ٣٢٠-٣٢١.

والإلزام بفعل الوعيد, فتجلى ذلك بدَلالته الواضحة وإشارته للذين أضلّوا الطريق واتبعوا أَهواءهم, في خطبته التي تعرف بالطالوتية, بقوله (عليه السلام): ((**أَما وَ الّذي فَلَقَ الحبَّةَ، وَ بَرأَ النَسمةَ لَو اقتَبَستمُ العِلمَ مِن مَعدِنهِ، وَ ادَّخَرتُم الخَيرَ مِن مَوضِعِهِ، وَ أَخَذتُم الطَرِيقَ مِن وَضَحهِ، وَ سَلَكتُم الحَقَّ مِن نَهجِه لَابتَهَجَت بِكُمُ السُبلُ، وَ بَدَتْ لَكُمُ الأَعلامَ، وَ أَضاءَ لَكُمُ الإِسلامُ، وَ ما عَالَ فِيكُم عائِلُ، وَلا ظُلِمَ مِنكُم مُسلِمُ وَ لا مُعاهَد، وَ لَكِنْ سَلَكتُم سُبلَ الظَّلامِ، وَ سُدّتْ عَنكُم أَبوابَ العِلم وتَرَكَتُم بأَهوائِكُم, و اختَلفتُم في دِينِكُم, وَأَفتَيتُم في دينِ اللهِ بِغَيرِ عِلمٍ، وَ تَرَكتُمُ الأَئمةَ فَتَرَكُوكُم, فَرويداً عَمّا قَليل تَحصُدونَ ما زَرَعتُم, وَتَجدونَ وَخِيمَ ما اجتَرَحتُم**))[١١١].

إِنَّ الإِمامَ (عليه السلام) قد مهّد قبل البدء بوعيد الأُمة التي عُرِفت بالخديعة والتخبط في أمرها من غير بصيرة أو تفكر, بذكر حالها باستعماله بعض المؤكدات, فبعد أَن افتتح خطابه بأداة الاستفتاح(أَمّا) لتنبيه المتلقين، وجاء بالقَسم بقوله:(و الّذي فَلَقَ الحبة، و بَرأَ النسمة) فاجتمع التنبيه والقسم في مقدمة الخطاب؛ ليكون أبلغ وأكثر تأكيداً في التأثير على المتلقي, والتأكيد في نظر التداوليين ((فعل كلامي كثير الورود في لغة التواصل وليس مجرد وظيفة نحوية محدودة))[١١٢], زيادة على ذلك فقد تصدّر وعيدهُ بأُسلوب الشرط متمثلاً لذلك استعمالية أَداة الشرط (لو) التي دلت على الإمتناع- امتناع الشرط لامتناع جوابه- فالمقام الذي تكلّم فيه الإمام اقتضى منه استعمال هذه الأَساليب؛ لإيصال الغاية فقوله: (لو اقتبستمُ العلمَ من معدنهِ، و ادَّخرتم الخيرَ من موضعهِ، و أَخذتم الطريقَ من وَضَحهِ, و سلكتم الحقّ من نهجه لابتهجت بكم السبل) هذا القول وعد من الإمام أن السبل تبتهج بهم لو فعلوا ذلك، لكن الحقيقة جاءت خلاف ذلك؛ لأنهم لم يقتبسوا العلم من معدنه, ولم يدَّخروا الخير من موضعه..., ودلَّ على ذلك قرينة الاستدراك بـ(لكن) منفيةً معنى[١١٣], أَي ولكن لم تقتبسوا, فأعطى الملفوظ (لكن) إنجازية ضدية, وهو ما اصطلح عليه محمد خطابي بالوصل العكسي[١١٤], فحقق الاستدراك بـ(لكن) إيضاح المعنى, وحسم الموقف وتحديد قصدية الخطاب بعرض الأَفكار على المسرح اللغوي[١١٥], حتى عَقَّبَ الإمام (عليه السلام) كلامه بنتيجة سوء عاقبتهم, إذ توعّد فيه الضَّالين بملفوظ انجازي بقوله:(فَرويداً عَمّا قَليل تحصدونَ ما زَرَعتُم) من أَعمالكم وأَفعالكم, واتّباعكم أَئمة الضلال (وَتَجدونَ وخيمَ ما اجتَرَحتُم)

---

(١١١) مستدرك نهج البلاغة :٥٣-٥٤.

(١١٢) التداولية عند العلماء العرب:٢٠٦.

(١١٣) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٣٦٨/٣-٣٦٩.

١١٤() ينظر:لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي:٢٣, والتداولية بين النظرية والتطبيق:١٣٥.

١١٥() ينظر التداولية بين النظرية والتطبيق:١٣٩.

ملفوظ إنجازي تكمن قوته في الوعيد, وقوله:(وخيم) اسم مفعول جاء على صيغة (فَعِيل), من عِظَم العاقبة, فوخيم العاقبة ثقيلها[١١٦], وقوله: (ما اجترحتم) من ((اجترح الشَّيْء اكْتَسبهُ وَأكْثر مَا يسْتَعْمل فِي الجرائم))[١١٧], وفي التنزيل العزيز قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١]. فتمثَّل الملفوظ الإنجازي بفعل الوعيد من الإلزاميات التي أَعطت دلالة الجزاء بما كان يعمل أُولئك, وأَنَّهم سينالون جزاء عاقبتهم بما كسبوا.

ومن الإلزاميات أَيضاً **الإلزام بفعل العهد,** والعهد جزء من الوعد, والفارق بينهما أَنَّه يقترن بشرط, نحو قولك إنْ فعلت كذا فعلتُ كذا[١١٨], قال أبو هلال العسكريّ:((والعهد يقتضي الوفاء, والوعد يقتضي الإنجاز، ويقال نقض العهد, وأَخلف الوعد))[١١٩], يُلحَظ أَنَّ أَبا هلال العسكريّ قد أَشار بشكل مفصل إِلى ما تنبه إِليه التداوليون في العصر الحديث ويمكن إجمال أَوجه الاستعمال التداولي في الوعد عنده من أَوجه عدة:

١- اقتران الوعد بالإنجاز, وهذا ما أَكدته الدراسات التداولية, فلا وعد من دون إنجاز.
٢- أَشار للاقتضاء, وهو فعل كلامي غير مباشر, وقرنه بالوعد.
٣- استعمل لفظ الإنجاز صراحة للوعديات.
٤- الوفاء يساوي إلزام النفس بفعل الشيء, حسبما يؤكد ذلك أُوستن.

إذ جعل أُوستن فعل العهد ـ كما هي حال الأَفعال الإلزامية الأُخرى ـ ضمن ضروب الإباحة وجوهر هذه الأَفعال هي إلزام المتكلم نفسه بدرجات متفاوتة وبنشاط معين[١٢٠].

ومن ذلك قول الإمام (عليه السلام) مخاطباً رعيته: ((**فَإِنْ تَتَّبِعُوا آثارَنَا تَهْتَدُوا بِبَصَائِرِنَا، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا يُهْلِكُكُم اللهُ بِأَيْدِينَا, مَعَنا رايَةُ الحَقِّ مَن تَبعها لَحق, وَ مَن تأَخَرَ عَنها غَرق**))[١٢١].

فهذه الخطبة أول خطبة له (عليه السلام) بعد البيعة[١٢٢], وفيها قد عهد للناس, وأَخذ موثقاً على نفسه بتعهد معنوي, وبأُسلوب الشرط والجزاء, فما إن تبعوا آثار نبوة محمد (صلى

(١١٦) ينظر: المعجم الوسيط :١٠١٩-١٠٢٠.
(١١٧) نفسه :١١٥.
(١١٨) ينظر: الفروق اللغوية :٥٧.
(١١٩) نفسه :٥٧-٥٨.
(١٢٠) ينظر : نظرية أَفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام:١٠٨.
(١٢١) مستدرك نهج البلاغة :١٢٦.
١٢٢() ينظر: العقد الفريد ، ابن عبد ربه الأندلسيّ ،تح: مفيد محمد قميحة :١٥٧/٤.

الله عليه وآله وسلم), وساروا على نهجه بما تركه لهم من بعده, اهتدوا إلى الرشد, وإلى الطريق المستقيم والباء في قوله(تَهْتَدُوا بِبَصَائِرِنَا) للواسطة, إذ بوساطة بصيرتهم واعتقادهم واستبانتهم بما في قلوبهم من الدين, والقرب إلى الله سبحانه وتعالى, جُعِلَت الهداية, فهم الطريق الموصل إلى الله, وهذا الأُسلوب أُسلوب قرآني, قال تعالى : ﴿ □□ □ □ □□ بر □ □بنَّ [الأنعام: ١٠٤], ولا شكَّ في أَنَّ للإمام (عليه السلام) الشرعية المستمدة من سلطته, التي أَضفت قوة إنجازية على القول المُتَعَهَّد به.

المبحث الرابع: الأَفعال التعبيرية:

يعيش الإنسان حالات ومواقف نفسية خاصّة يحتاج أَن يُعبِّرَ عنها, وهذه الانفعالات والأَحاسيس والرغبات النفسية ليس بمقدور الآخر أَن يطلع عليها بسهولة, فيعمد الإنسان إلى إظهار مشاعره للآخرين, كلما حركته مشاعره وعواطفه[١٢٣], فيتمثل الغرض الإنجازي لهذه الأَفعال في الكشف عن الانفعالات النفسية بالتعبير عنها, على أَن يكون هذا التعبير تعبيراً حقيقياً خاصاً لحالة سلوكية نفسية محددة في الواقع [١٢٤].

ويُشترط في الأفعال التعبيرية الإخلاص, ويدخل في التعبيريات أفعال الشكر، والتهنئة، والتعزية, والترحيب, وأشار سيرل إلى ((أَنَّ شرط الصدق في التعبيريات يتغير مع تغيير نمط التعبير... فالإعتذار صادق إذا كان المتكلم يشعر بالأسف فعلاً عمّا يعتذر عنه والتهاني صادقة إذا كان المتكلم يشعر بالبهجة حقاً لما يهنئ المستمع عليه))[١٢٥]. ويرى أحد الباحثين أَنَّ سيرل لم يأتِ بجديد في هذا الصنف, فقد كان لأُستاذه أُوستن فضل السبق فيه ووسمه أوستن بالسلوكيات, وما فعله سيرل في هذا الفعل يصب أَغلبه في إِعادة تعريف هذا المجال, وتحديد أَغراضه بصورة

---

(١٢٣) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة ,كيف ننجز الأشياء بالكلام:٩٦.

(١٢٤) ينظر: في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي :٦٢.

١٢٥() العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي:٢١٩.

أَكثر دقة[١٢٦], ولا تتعلق الأَفعال التعبيرية بما هو خاصّ بالمتكلم وحده, بل تتجاوزه إلى ما يحدث للمشاركين في الفعل, وتنعكس آثارها النفسية والشعورية على المتكلم عندما يعبّر عن مشاعره في حالات معينة, كالرضا، والغضب, والسرور, والحزن, والنجاح, والفشل, وغيرها من الأَفعال[١٢٧].

ويمكن تقسيم الأفعال الإنجازية التعبيرية بحسب مفهوم سيرل على قسمين هما[١٢٨]:

الأَول: ما يمكن تسميته التعبيريات النفسية التي تخصّ وجدان المتكلم نفسه, وتعبرّ عن حالته ومشاعره الذاتية, ولا تقتضي بالضرورة مشاركة من المتلقي.

والثاني: ما يمكن تسميته بالتعبيريات الإجتماعية التي تتصل بوجدان المتكلم, وتقتضي ـ في الغالب ــ مشاركة من المتلقي, ويُلاحظ على أَفعال هذا المجال أَنَّ السمة الغالبة عليها التفات المتكلم لمشاعر المتلقي وأحاسيسه؛ ليشاركه مشاعره وأَحاسيسه في الخطاب.

ويمكن استجلاء أَمثلة هذين النوعين في خطابات الإمام علي (عليه السلام) بما يأتي.

الأَفعال التعبيرية النفسية:

أطلق عليها طالب السيد هاشم الطباطبائيّ البوحيات النفسية[١٢٩],وعرَّفها بأنَّها((البوحيات المعبرة عن حالات نفسية, هي انفعالات لاغير, ولا يمثل الفعل المتضمن في القول إلاّ الكشف عنها, وهي لا تكون موجهة إلى مخاطب بالضرورة))[١٣٠], وقد تمثل الفعل التعبيري النفسي في كلامه (عليه السلام) مخاطباً الكوفة عندما أَشرف عليها:((**وَيحكِ يا كُوفان! ما أَطيبَ هَواءَكِ, وَأَغذى تُرَبتَكِ، الخارجُ مِنكِ بِذنبٍ, وَالداخلُ إليكِ برحمةٍ, لا تَذهَبُ الأَيامُ وَ الليالي حَتّى يَجيئَكِ كُلُّ مؤمنٍ، وَ يبغضُ المَقامَ بِكِ كُلُّ فاجِرٍ**))[١٣١].

١٢٦() ينظر: في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي:٦٢.

١٢٧() ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:١٠٤.

(١٢٨) ينظر: في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي:٢١٤.

(١٢٩) ينظر: نظرية الأَفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب:١٥٦.

(١٣٠) نفسه:١٥٦.

(١٣١) مستدرك نهج البلاغة :٧٥.

بدأَ(عليه السلام) خطابه بلفظة (ويحك يا كوفان!) وجاء في مقاييس اللغة, (ويح) كلمةُ رحمةٍ لمن تنزل به بَليّة [١٣٢], زيادة على ما تحمله لفظة (كوفان) فهي لاتخلو من دلالة العناء والمشقة؛ فسميت الكوفة بهذا الاسم؛ لأَنَّ أُصل لفظها يدل على استدارة في شيء يُقالُ: تكوف الرمل, استدار؛ لأنَّ المشي فيه يُعنى[١٣٣], وبهذا جمع الإمام(عليه السلام) ما بين الدلالتين, فعبَّر فيهما عن حالته الشعورية, وقوله: (ما أَطيب هَواءكِ وَأَغذى تُربتَكِ) ملفوظ إنجازي تكمن قوته في التعجب بصيغة (ماأَفعله), والتعجب ((انفعال يعرض للنفس عند الشعور بأمر يخفى سببه))[١٣٤], فيؤتى به للتعبير عن ((شعور داخلي تنفعل به النفس حين تستعظم أَمراً نادراً لامثيل له, مجهول الحقيقة, أَو خفي السبب))[١٣٥], ولا شكَّ في أَنَّ الإمام كان يستعظم أَمراً, فهو يشير إلى البعد المكاني المتمثل بفضاء الكوفة وأَرضها وتعجبه بهما, إذ لا يمكن تصوّر جهل الحقيقة منه؛ لأَنَّه أَشار في خطابه التعبيري إلى حال من يخرج منها, إذ قال: (الخارجُ مِنكِ بِذنبٍ) ثابت في كل وقت؛ لذا استعمل اسم الفاعل معرفاً بـ(ال), (الداخلُ إليكِ برحمةٍ) نتيجة أُخرى أَعطت حالة شعورية مغايرة تحمل دلالة الإحسان, والرأفة.

و(لا تَذهَبُ الأَيامُ وَ الليالي حتّى يَجيئَكِ كُلُّ مؤمنٍ، وَ يبغضَ المَقامَ بِكِ كُلُّ فاجِرٍ) ملفوظ إنجازي تكمن قوته في التعبير عمّا ستؤول إليه الكوفة، ويبدو أنه (عليه السلام) أراد الإشارة إلى ما ستؤول إليه بعد استشهاده (عليه السلام)، إذ تهوي أفئدة المؤمنين إلى محرابه، وقبره الشريف، وهذا ما نلمسه في زماننا الآن.

ومن الأفعال التعبيرية النفسية ما ورد في مناجاته(عليه السلام) ربّه سبحانه وتعالى:((**آه إِنْ قَرَأتَ في الصُحِفِ سَيِّئَةً أَنا ناسيها, وَ أَنتَ مُحصِيها, فَتَقولُ خذوه، فَيالَهُ مِنْ مَأخوذٍ لا تُنجيهِ عَشيرَتُه, وَ لا تَنفَعُه قَبيلَتُه، آهٍ مِن نارٍ تُنضِجُ الأَكبادَ وَ الكلى، آهٍ مِنْ نارٍ نَزَّاعةٍ للشَّوى، آهٍ مِنْ غَمرة مِن مُلهِباتِ لَظى**))[١٣٦] ربط الإمام (عليه السلام) مناجاته بين جانب الذاتية المتمثل بـ(أَنا), والجانب الآخر هو الذات الإلهية المقدّسة, المشار إليه بالضمير(أَنتَ), فقد انتقى الإمام (عليه

---

(١٣٢) ينظر: مقاييس اللغة(ويح) :٦/٧٧.

١٣٣() ينظر: نفسه(كوف) :٥/١٤٧.

(١٣٤) شرح الرضي على الكافية: ٤/٢٢٨.

(١٣٥) الجدول في اعراب القرآن ، محمود بن عبد الرحيم صافي :٢/٣٤٩-٣٥٠.

(١٣٦) مستدرك نهج البلاغة :١١١.

السلام) أَلفاظاً تعبيرية أَفصحت عن حالته الشعورية, فبدأَ مناجاته متحسراً من خشيته الله تعالى؛ ليصور حاله من التألم، والخوف من يومٍ تُحصى فيه الأَعمال في كتاب أُأ □ □ □ □ □ □ □□ ً [الكهف: ٤٩], وهذا ما أعطته دلالة لفظة (آه) وتكرارها, التي تقال ((عند الشكاية والتوجع))[١٣٧] فأظهرت لوعة العبد الوَجِل من خشية الله تعالى, المُنَزَّه عن النسيان في لوحة تعبيرية جسدت تصوير مشهد من مشاهد يوم القيامة, الذي تُعرَضُ فيه الأَعمال.

فتمثلت الملفوظات الكلامية في البوح بما يجول في خاطر الإمام بأَلفاظ تعبيرية دلَّت على الخشية, والحزن, والتّحسر, معبراً عن مصداقيته في المناجاة التي بلغت ذروتها.

الأَفعال التعبيرية الاجتماعية:

وهي الأَفعال التي يُشرك فيها المتكلم شعور المشاركين ورغباتهم أَو المتلقين عامّة، فهو يعبرّ عن حالته النفسية, وانفعالاته مع لحاظ الحالة النفسية والشعورية للمتلقي والأَفعال التعبيرية منها((ما تتضمن الأَفعال المتعلقة بسلوك فكرة رد فعل سلوك الآخرين والأَقدار والمواقف))[١٣٨].

ومن الأفعال الكلامية التعبيرية المتعلقة بالجانب الاجتماعي, التي عبّر فيها عن حال المجتمع الذي كان يعيش فيه بقوله(عليه السلام):((**قَد عاقَبتُكُم بِدُرّتي فَلَم تبالوا وضَرَبتُكم بِسوطي فَلَم تَرعَوُوا, وَإنّي لَأَعلَمُ الذي يُقيمُ أَوَدَكم, وَلَكن لا أَشتَري صَلاحَكُم بفَسادِ نفسي, بل يُسَلِّطُ اللهُ عَلَيكُم مَن يَنتَقِم لي مِنكُم, فَلا دُنيا بِها استَمتَعتُم, وَلا آخرةَ إليها صِرتُم, فَبُعداً وَسُحقاً لأَصحابِ السَّعير**))[١٣٩].

يتعلّق الخطاب بالظروف الحقيقية التي وقع فيها التلفظ, الذي أُنتج في سياق اجتماعي نفسي, وتعود اجتماعية الملفوظ إلى مصدرين :

الأول: المُتلقي: لأَنَّ الخطاب موجه إليه بصورة مباشرة, إذ استعمل تداولية العنصر الإشاري(الكاف, وتاء المخاطب) التي تدل على حضور المتلقي, ومخاطبته؛ ليضفي قصدية تؤكد المعنى الذي أَراده .

والثاني: المتكلم: إذ لا يمكن تصوّر الملفوظ من دون وجود المصدرين[١٤٠], ومن هذه المُسلمات لابدَّ من معرفة الظروف التي دعت الإمام(عليه السلام) إلى هذا الخطاب التعبيريّ .

---

(١٣٧) لسان العرب (أَوه) :١٣:٤٧٣.

(١٣٨) نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب:١٥٦.

١٣٩() مستدرك نهج البلاغة :٦٥.

(١٤٠) البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني اسرائيل: ١٢.

إنَّ المُطَّلع على الواقع الإسلامي يدرك حقيقة ذلك المجتمع في زمن الإمام علي (عليه السلام), إذ كانوا –وقت ذاك– أغلبهم غير مؤهلين للإصلاح, مهما تعددت الاستراتيجيات التي تدعو إلى إصلاحهم, ويتضح هذا جلياً في قوله: (قد عاقَبتُكُم بِدُرتي فلم تبالوا, وضَرَبتُكم بِسوطي فلم ترعووا) فعل إنجازي إخباري مباشر ساعد على اختزال المعنى في بثِّ شكواه, ملقياً عليهم الحُجَّة, إذ عبّر عن الثقافة غير المتحررة في عصره, فجمع بين فعلين إنجازيين(عاقبتكم, وضربتكم) والعقوبة بوساطة درته[١٤١], والضرب بوساطة سوطه، وقد استعمل الإمام (عليه السلام) المفردتين؛ لإلقاء الحُجة عليهم, والتأثير فيهم.

(وإنِّي لَأَعلمُ الذي يقيم أَودَكم, ولكن لا أَشتَري صلاحَكم بفَسادِ نفسي) ملفوظ إنجازي مباشر, مُؤكد بـ(إنَّ, واللام الواقعة في خبرها) صرحّ به عن علمه بنوع الاستراتيجية التي تُصلِحُ اعوجاجهم, فهو يعرف ما يُصلِحُهم, غير أنَّه استدرك قوله بـ(لكن)؛ ليحدد موقفه منهم, فَتَرَفَّع عنهم؛ لئلا يبيع الغاية الشريفة بشراء صلاحهم, إذ قال في إحدى خطبه: ((**مَن فازَ بِكُم فَقَد فازَ بالسَّهمِ الأَخيب**))[١٤٢], فجعل ذلك مثلاً يُضرب في خيبة الرجل من مطلوبه[١٤٣], فارتقى بأَخلاقه وتسامى بروحه؛ ليسلّم الأَمر للمنتقم الجبار, مستحضراً الأَداة (بل):(بل يُسَلِّطُ اللهُ عليكم مَن يَنتَقِم لي مِنكم...), فانتجت دلالة (بل) ؛بوصفها حرف اضرابٍ، مرجعاً جديداً؛ ليحل به نزاع هذه الأُمة ويبلغهم مقصده, وقوله:(فبعداً وسحقاً لأصحاب السعير) ملفوظ إنجازي عبّر عن سخطه عليهم وفيه إشارة إلى قوله تعالى:ُّ□ □ □ جـ لـ َّ [الملك: ١١].

ومن الأَفعال التعبيرية, **التعبير بالحمد والشكر** والإفصاح بالمدح, وهو ضرب من الشكر, ورد في خطابات الإمام (عليه السلام), ومنها ما جاء في خُطَبِهِ في إحدِى الجُمع:((**الحَمدُ للهِ الذي دَنا فِي عِلوِه, وَعَلا في دِنوِه وَتواضَعَ كُلّ شَيءٍ لِعِزَتِه, وَخَضَعَ كُلَّ شَيء لِقُدرَتِه, أَحمَدُهُ مُقَصِّراً مِن كُنهِ شُكرِه, وَأُومِنُ بِهِ إِذعاناً لِربوبِيَتِه, وَأَستَعينُهُ طالباً لِعِصمَتِه, وَأَتَوكلُ عَليهِ مُفوضاً إِليهِ**))[١٤٤].

بدأَ (عليه السلام) خطابه بـ(الحمد لله) وهو فعل كلامي تكمن قوته في التعبير بالاعتراف لله تعالى بالثناء الجميل المتمثل بالحمد, فالتعبير بالحمد هو المُمَهّد لأَغلب الملفوظات التي تصدر من العباد, ويُلحظ تكرار هذا الفعل بقوله:(أَحمده مقصراً من كنه شكره) ليؤكد ما قبلها, وقد

١٤١() الدرة آلة تستخدم للضرب: ينظر: لسان العرب (درر):١٣٥٨/٢.

١٤٢() العقد الفريد:١٠٥/١.

١٤٣() ينظر: مجمع الأمثال، أَبو الفضل الميدانيّ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد:٣٠٨/٢.

١٤٤() مستدرك نهج البلاغة:١٠٣.

استعمل (عليه السلام) العنصر المعجمي (مقصراً) لزيادة التوكيد وإضفاء قوة للمنطوق الإنجازي, فضلاً عن إعطائه دلالة صدق القضية المُعَبَّر عنها[١٤٥] المتمثلة بـ(الحمد والشكر), والشعور بالتقصير أمام عظمته, وَنِعَمِهِ وَلُطفِه عزّ وجلّ, وَأَشارَ الزمخشريّ(ت٥٣٨هـ) إلى الفارق ما بين اللفظين فالحمد يكون باللسان وحده, وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمةٍ وغيرها, تقول: حمدت الرجل على إنعامه, وحمدته على حسبه وشجاعته, أَمّا الشكر فيختص بالنعمة ويكون بالقلب, واللسان, والجوارح, فالحمد أَعمّ من الشكر, إذ كلّ شكرٍ حمد, وليس كلّ حمد شكر[١٤٦], فالحمد اسم جامع لصفة الكمال للذات المقدسة, فيكون على قدرته وعظمته ونعمائه التي لا تُعَدُّ؛ ولهذا يلجأ الإنسان إلى التعبير بالثناء الجميل باستعماله هذين الملفوظين.

المبحث الخامس: الأَفعال الإعلانية:

يتّجه الإنجاز في الإعلانيات إلى محاولة المتكلم جعل خطابه معبّراً عن القضية المراد بها تغيير الواقع, وبهذا تكون الأَفعال الإعلانية محوراً لتغيير الواقع ؛ إذ إنَّ قوامها التغيير في إيجاد ظاهرة مغايرة لما يسبق الفعل الإعلاني, وهذا النمط من الأَفعال لا يمكن أن يحدث, أَو يكون له وجود من دون أن يتمتع صاحب الفعل المُنجَز بمزايا غير لغوية تؤهله لإنجاز هذا الفعل[١٤٧]، ويسمى هذا النمط من الأَفعال بأفعال القرارات[١٤٨]؛ لأَنَّها تتضمن أفعالاً مختصة بالطرد, أو التعيين, أو التسمية, أو الزواج, أو الطلاق... .

ونخلص إلى أَنَّ هذه الأفعال انمازت بمحوريين رئيسين:

١٤٥() ينظر: النص والخطاب والاتصال:٣١٥.

١٤٦() ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،الزخمشريّ، تح:عبد الرزاق المهديّ:١/١١١.

(١٤٧) ينظر: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي:٢١٩-٢٢٠.

١٤٨() ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٤٦.

ـ المحور الأول: إنَّ أداءها الناجح يتمثل في أن يكون المُنجِز لفعل الإعلان صاحب سلطة من نوع ما, دينية, أو سياسية, أو غيرها.

ـ المحور الثاني: وهو ما انماز به هذا الصنف من الأَصناف الأُخرى, والمتمثل بإِحداث تغيير في الوضع القائم[١٤٩].

وغالباً ما يؤدى هذا النمط من الأفعال في طقوس, أو مراسيم معينة, يمكن أن نسميها سياقات غير لغوية [١٥٠], وتتضح إنجازية هذا الصنف من الأَمثلة الآتية:

ـ بسم الله أَفتَتِحُ الجسر.

ـ وهبتُ ما أَملكُ للفقراء.

ـ أَنتِ طالق.

ـ رُفِعتِ الجلسةُ.

ـ يُمنح هذا الطالب مكافأَة مالية[١٥١].

ويلحظ في هذه الأَمثلة أَنَّ تحقيق هذه الأفعال الإعلانية يتطلب توافر الشروط الملائمة التي تعطي شرعية النطق بها, كأن يكون الناطق بها مؤهلاً قانونياً, أَو شرعاً بإنجازيتها, فإذا أُدِيَت مقولة: (بسم الله أَفتَتِحُ الجِسر) تعيَّن فتح الجسر[١٥٢], وفي معرض حديث (ليتش) عن إنجازية هذه الأَفعال أَكد ((أَنَّ الفعل الأساسي في مثل هذه الإنجازيات ذو طبيعة اجتماعية, فعند فتح الجسر رسمياً مثلاً, فإنَّ المسؤول يجعله مفتوحاً بمعنى أَنَّ من المسموح استعمال الجسر اعتباراً من ذلك الحين))[١٥٣], وأشار هشام عبد الله خليفة إلى ما يؤدي فشل إنجاز الأفعال الإعلانية, إذ قال: ((الطريقة الوحيدة التي تفشل فيها هذه الإنجازية في التحقيق هي عدم توافر الشروط المصاحبة للشعائر, كأَن يكون الشخص الذي يقوم بالتزويج ليس الشخص المؤهل قانونياً وشرعاً لمثل هذا الفعل))[١٥٤], وقد اصطلح د. محمود نحلة على هذه الأفعال بـ(الإيقاعيات)؛لإيقاع

١٤٩() ينظر: التداولية بين النظرية والتطبيق:٣٨٧.

(١٥٠) ينظر: النظرية البراجماتية اللسانية :١٠٧.

(١٥١) ينظر : التداولية بين النظرية والتطبيق : ٣٨٧.

(١٥٢) ينظر: نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي، هشام عبد الله خليفة :١٢٨-١٢٩.

(١٥٣) نفسه:١٢٩.

١٥٤() نفسه: ١٣٠.

الفعل في حال النطق بها, وعرَّفها بأنّها الأفعال ((التي يكون إيقاع الفعل فيها مقارناً للفظه في الوجود، فأنت توقع بالقول فعلاً))[١٥٥]، أي أن يكون الكلام واضح الدلالة واضح المقصود؛ ليفهم منه إيقاع الفعل المراد فهماً لا لبس فيه، وقد انطلق د. محمود نحلة في هذا المفهوم من أَحكام الفقهاء والأُصوليين[١٥٦].

ومن أَمثلة الأَفعال الإعلانية التي وردت في أقوال الإمام علي (عليه السلام) **الإعلان بالتكليف**، وقد يكون التكليف لما لا ثقل له, نحو الاستغفار, تقول كلفه الله الاستغفار, وهو مختلف عن التحميل؛ لأَنَّ التحميل لا يكون إلاّ لما يُستثقل, قال تعالى: ﴿ □ □ □ □ ﴾ [البقرة: ٢٨٦], والإصر هو الثقل, وهذا يعني أَنَّ التكليف قد يكون لِما يُستثقل, أَو لما لا ثقل فيه, وبهذا يكون أَعم من التحميل[١٥٧], والتكليف من الأَفعال الإنجازية التي تُضم إلى حقل الإعلانيات[١٥٨], ويفترض في إيقاع فعل التكليف الإستطاعة؛ لقوله تعالى: ﴿ ثم □ جم □ حم □خم﴾ [البقرة: ٢٨٦], ومن الإعلان بالتكليف الذي جاء بمعنى النصّيب، أو التعيين في الأدارة أو الحُكم، ما كتبه الإمام علي (عليه السلام) إلى حذيفة بن اليمان[*]:((**سَلامٌ عَلَيكَ, أَما بَعدُ, فَإنَّي قَد وَلَّيتُكَ ما كُنتَ عَلَيهِ فاجمَع إِلَيكَ ثِقاتَكَ, وَمَن أَحبَبتَ مِمَن تَرضى دِينَهُ, وَأَمانَته, وَاستَعِن بِهم عَلى أَعمالِكَ**))[١٥٩].

اختار(عليه السلام) حذيفة بن اليمان والياً على المدائن:(فإنَّي قد وَليتكَ ما كنت عليه) فهو فعل كلامي أَعلن فيه(عليه السلام) وِلاية حُذيفة بن اليمان وتكليفه بها, وقد صاحب هذا الفعل بعض المؤشرات التوكيدية(إن, وقد) التي أَكدت إنجازية الفعل الإعلاني وأَوضحت أَهميته, واستمد الفعل الإنجازي شرعيته من السلطة التي كان الإمام يتمتع بها فضلاً عمّا أَعطته دلالة السّلطة الحاكمة من قوة عالية في إِصدار التعيين, وتحقق إنجازيته بأدائه أداءً ناجحاً, ومطابقة المحتوى للواقع ؛ فهناك علاقة وثيقة الصلة ما بين تحقيق إنجازية الفعل ودور المتكلم, وإِرادته, ولاشكَّ في

---

١٥٥) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٩٨.

١٥٦) ينظر: نفسه: ٩٨ ـ ٩٩.

(١٥٧) ينظر : الفروق اللغوية: ١١٩.

١٥٨() ينظر: في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي:٣٨٣.

(*) أبو عبد الله حذيفة بن اليمان واسم اليَمَان: حُسَيل بن جابر , وأسمّاه قومه اليمان لأنه حالف اليمانية، وهو صاحب سرّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مات بالمدائن واُختلِف في سنة وفاته, فقيل سنة خمس وثلاثين، وقيل: سنة ست وثلاثين. ينظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين ابن الأثير، تح: عبد القادر الأرنؤوط:٢٩١/١٢.

(١٥٩) مستدرك نهج البلاغة :١٧١.

أَنَّ الهدف من الإعلان يتمثل بحمل المتلقي على إنجاز ما كُلِّفَ به, وقد أَسهم السياق بإيضاح تكرار الفعل الإعلاني بدلالة قوله:(ما كُنت عليه), أي إنَّ هناك تكليفاً سابقاً وهذا التكرار أضفى قوة للمنطوق فـ((القوة والغرض عنصران مكملان للمعنى, القوة درجة, والغرض وظيفة))[١٦٠], فكان الأَثر الناتج عن القول امتثال المتلقي, وأخذه بكل ما يصدر من الإمام (عليه السلام)؛ لأنَّه خليفة المسلمين المُطَّلع بأُمور الرعية، والعارف بمصالحهم.

ومن أمثلة هذا النوع من الأفعال **الإعلان بالحكم**؛ إذ يتعلق الأمر هنا بإصدار حكم معين نحو التبرئة, أَو الإدانة, وتصدر هذه الأفعال من سلطة تشريعية أَو تنفيذية ((وكلا الفعلين التشريعي والتنفيذي هما من اختصاص ممارسة السلطة))[١٦١], وليس ببعيد عن أفعال هذا الصنف ما كتبه أمير المؤمنين(عليه السلام) لأبي موسى الأشعريّ:((**أما بعد فإنَّك امرؤ ضَلَّكَ الهَوى، واستَدرَجَكَ الغُرورُ فاستَقِلْ اللهَ يَقلكَ عَثْرَتَك، فإنَّه مَن استَقَالَ اللهَ أَقالَهُ، و إنَّ أَحَبَّ عبادِهِ إليهِ المتقون**))[١٦٢]. وكان قوله (عليه السلام) هذا لأبي موسى الأشعري بعد قضية التحكيم[١٦٣].

تظهرُ القوة الإنجازية في استحضار العنصر الإشاري المتمثل في (كاف المخاطب) مع لحاظ تكرار أداة التوكيد(إنَّ)؛ لاستيعاب الحكم السياقي, فبعد أن افتتح (عليه السلام) خطابه بقوله: (أما بعد) الذي جيء به للتنبيه, استأنف قوله مؤكداً بـ(إنَّ): (فإنَّك امرؤ ضَلَّكَ الهَوى), وتكمن قوة الفعل الكلامي في الإعلان المتمثل بالكشف عن طبيعة السلوك وتفسيره, والضلال والعدول عن جادة الطريق, (واستَدرَجَكَ الغُرورُ) أي خدعك الغرور[١٦٤] واقتران الحكم بالماضي (ضلك, استدرجك) للإشارة إلى تمحض الفعل في المتلقي, فهذه الأفعال التي أَعطت حكماً ليست لأمرٍ طارئ ، بل دلَّت على ملازمة الصفة للموصوف فكان لهذا القول مصداقية في الواقع, إذ لا يخفى ما تداولته المدونات الأدبية والتأريخية لتلك الحادثة المشهورة التي تروي أَمر الحكمين, واتفاق عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعريّ على رفع المصاحف, فاتخذوا من القرآن الكريم وسيلة للوصول إلى غاياتهم الشخصية, ولم يلبث الأَمرُ حتى اختلف الرجلان, فخدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعريّ, فعزل الأخير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) عن الخلافة بخدعة

١٦٠() النص والخطاب والاتصال:٢٩٧.

١٦١() نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام:١٧٦.

١٦٢() مستدرك نهج البلاغة: ١٨١.

١٦٣) ينظر: الإمامة ولسياسة:١/١٦٠، وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي(عليه السلام)، شمس الدين الدمشقي، تح: محمد باقر المحمودي:٢/٧٠.

١٦٤() ينظر: لسان العرب (درج):٢/١٣٥٢.

عمرو[١٦٥], فتحققت إنجازية الفعل بالتلفظ بالقول؛ لأنَّ إصدار الحكم أسهم في تحديد نوع سلوك المتلقي, بأنَّه لا يمثل أُمة؛ لأنَّه أَضاع سَبيله فخُدِع.

وأشار عبد الله صولة إلى أَنَّ الألفاظ المحملة بأحكام تقويمية- ما تُشعِرُ بمدح أو ذم- تشكل ضغطاً على ذهن المتلقي, فهو يواجه أعماله بطابع تقويمي ذي غاية تأثيرية وإقناعية[١٦٦].

ومن الأفعال الإعلانية أيضاً **الإعلان بالوصية** لما كان الإمام علي (عليه السلام) خليفة المسلمين بوصية رسول رَبِّ العالمين محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) كان لابد أَن تكون خطاباته حافلة بالوصايا العامة والخاصة؛ لتحفظ ديمومة صلاح الأُمّة, إلى جانب تحقيق مبدأ التواصل على مَرِّ القرون, ومن ذلك وصيته لولده الحسين(عليهما السلام):((**يا بنيَّ أُوصيكَ بِتَقوى اللهِ في الغِنى وَالفَقر, وكَلمةِ الحَقّ في الرِضا وَالغَضَب, وَالعدل على الصديقِ وَالعدو, وَالعَملِ في النَّشاطِ وَالكَسَل, وَالرِضا مِنَ اللهِ في الشِّدةِ وَالرَخاء, أَي بُنيَّ الفِكرةُ تُورِّثُ نوراً , وَالغَفلَةُ تُوَّرثُ ظُلمَة**))[١٦٧].

أَوصى الإمام علي(عليه السلام) ولده الحسين(عليهما السلام), فتعينت الملفوظات بكلام صريح, نظر فيه إلى التغيّرات الحاصلة التي صيغت بأُسلوب بلاغي تمثل في الطباق, إذ ربط (عليه السلام) بين القول ومتمماته, فأشار إلى ما يمكن أن يُحيط به مستعيناً بالرابط الحجاجي(الواو) الذي عمل على الجمع بين الملفوظات وربطها ربطاً نسقياً أُفقياً كلّ واحدٍ يقوي الآخر ويسانده, كما قام بتفصيل الملفوظات الفرعية؛ لتقوية القصدية وتحقيق النتيجة المرجوة منها[١٦٨], فبدأ وصيته(بتقوى الله في الغنى والفقر) تكمن قوة هذا الملفوظ في الورع والخوف من الله تبارك وتعالى مهما تغيرت الظروف الإجتماعية, ومثل التغيير القول بالضدية (الغنى, والفقر)؛ لأنَّ التقوى معيار التفاضل في قانون البشرية بصرف النظر عن تفاوت طبقاتها.

(وكلمة الحق في الرضا والغضب) إعلان آخر معطوف على ما قبله, تكمن قوته في قول كلمة الحق في كلِّ وقت، وتحت أي ظرف, وهذا ما يقتضي التغاضي عن العامل النفسي المؤدِّي إلى (الرضا, والغضب) الذي قد يقف حائلاً دون قول الحق.

(والعدل على الصديق والعدو) تكمن إنجازية الفعل في تحديد قاعدة التعامل, المتمثلة بتحقيق مبدأ العدالة والمساواة, سواء أَ كان مع الصديق, أم العدو.

١٦٥() ينظر: العقد الفريد:٥/٩٣-٩٧.

١٦٦() ينظر: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأُسلوبية، د. عبد الله صولة:٥٩٠.

(١٦٧) مستدرك نهج البلاغة :٢١٤.

١٦٨() ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:٤٧٢-٤٧٣.

(والعمل في النشاط والكسل) ملفوظ إنجازي جمع فيه (عليه السلام) العمل بين الحالين (النشاط والكسل), فربما يتقاعس الإنسان عن العمل مع تمتّعه بالنشاط, أو قد يؤدي الكسل إلى الإهمال, فالعمل واجب في كلا الحالين، العمل بالنشاط وتجاوز الكسل بمداومة العمل؛ لأنَّه ضرب من ضروب العبادة التي تقرّبنا إلى الله تعالى.

(والرضا من الله في الشدة والرخاء) ملفوظ إنجازي معطوف على الملفوظات السابقة, يتمثل في الإيمان بالقضاء والقدر, ويسترسل الإمام وصيته للحسين(عليهما السلام) (أَي بُنيَّ الفكرة تورث نوراً , والغفلة تورث ظلمة), وتكمن إنجازية هذا الفعل الكلامي في التأمل والبحث عن حركية السلوك المعرفي, فربط ما بين السبب والنتيجة؛ لأَنَّ الفكرة لها بعد وأثر مستقبلي عبَّر عنه بالوراثة, بقوله(تورث نوراً), وخلاف ذلك(الغفلة تورث ظلمة) فالوسط الاجتماعي، والفطري أَحد العوامل التي تقود الإنسان إلى الغفلة .

ويلحظ أَنَّ تداولية التّقابل الدلالي في: (الغنى, والفقر/ الرضا, الغضب/ الصديق, العدو/ النشاط، الكسل/ الشدة ,الرخاء/ النور , الظلمة) كان لها الأثر الواضح في توجيه قصديّة النص الإعلانية .

فالذي يلحظ أَنَّ تناول صنف الأَفعال الكلامية المباشرة في خطابات الإمام علي (عليه السلام) اتكأت على مبدأ القصدية, المُستَمدِ من القرائن التركيبية, والسياقية, والمقامية..., إذ ظهرت تمثّلات الأَفعال الكلامية المباشرة في مواضع لا تحتمل استحضار المتلقي إعمال ذهنه؛ لفهمها, وقد تمثّل ذلك في أغلب الأصناف الخماسية التي لا يمكن أتيانها إلاّ بصورة مباشرة، ولعلّ أهمها، الأفعال التوجيهية ذات الأوامر والطلبات، والأفعال الإلزامية، والإعلانية .

توطئة:

لاشكَّ في أَنَّ المرء لا يقتصر في استعماله اللغة التي تدلُّ على معانيها في أَصل الوضع فحسب, إذ لا يتفق عند هذا النوع من الاستعمال, فالله تبارك وتعالى منحه قدرة على التعبير عمّا يريد إيصاله من معانٍ ذهنية لا يصل إليها بما وضعت له الألفاظ فهناك ثروة لغوية, ومخزون فكري يستطيع بهما أن يُعبّر عن مختلف المقاصد التي يريد إيصالها إلى المتلقي, بأُسلوب تلميحي غير مُصرَّح به. وتعدُّ الأدوات اللغوية – في ضوء سياقها– من العلامات التي تُسهم في فهم قصدية المتكلم[١٦٩], فإذا قال أحدهم لصديقه: (القرآن ربيع القلوب) أَدرك المتلقي من القرائن العقلية ومخزونه الثقافي أَنَّ القائل لا يريد من القول الفعل الظاهر (الحرفي) المتمثل بالإخبار, بل إنَّه

(١٦٩) ينظر: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ:٣١_ ٣٤.

قصد معنى آخر, قد يكون المقصود منه الطلب, أي اقرأ القرآن, أو قد يكون الالتماس, أَو النصح والإرشاد, أَي واضب على قراءة القرآن, فهو يُشعرُ بالأمان والراحة والطمأنينة, ويهدي إلى الطريق المُستقيم... , وهذا ما أعطته قرينة قوله (ربيع القلوب) .

وقد عقد الشهري في كتابه استراتيجيات الخطاب فصلاً وسمه بـ(الاستراتيجية التلميحية) وعرَّفها بـ((أنَّها الاستراتيجية التي يعبر بها المرسل عن القصد, بما يغاير معنى الخطاب الحرفي؛ ليُنجز بها أكثر مما يقوله, إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه, فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمراً في ذلك عناصر السياق))[١٧٠], وأَشار إلى أنَّ تعدد تسميات هذه الاستراتيجية لدى الباحثين العرب القدماء, والمحدثين الأجانب؛ يعود إلى تعدد تخصصاتهم, فتظهر إشارات النحويين في استعمالهم هذا النوع عند حديثهم عن الحذف والتوكيد, ووردت في المعجمات برصد الظواهر المجازية في اللغة, أمثال ذلك أساس البلاغة للزمخشريّ، وفي البلاغة كان ميدانها الواسع لا ينفك عن علم المعاني, أمّا في الدراسات الغربية فهناك أكثر من نظرية مثلت هذا الجانب الاستعمالي للغة, منها نظرية جرايس التي عُرِفَت بالاستلزام الحواري, ومنها ما عالجه سيرل ضمن دراسته لنظرية الأفعال الكلامية التي عُرِفَت بالأفعال الكلامية غير المباشرة[١٧١], التي هي مدار الدراسة في هذا المبحث, وقد عَرفها سيرل بأنَّها الأفعال :((التي يؤدي فيها المرء فعلاً كلامياً بصورة غير مباشرة من خلال أدائه فعلاً آخر مباشر))[١٧٢], فيختلف معناها الحرفي عن قصد المتكلم ومراده؛ لأنَّها تحمل معنى متضمناً في القول يحمله شكلها الظاهري[١٧٣], فالنصوص والخطابات تتأرجح ما بين المعاني الحرفية المباشرة, والمعاني السياقية المبنية على الأفعال غير المباشرة[١٧٤], وتلتقي القوة الإنجازية في الفعلين المباشر وغير المباشر بمبدأ قصد المتكلم وغايته, إذ لا يزول القصد الذي تحمله البنية اللغوية البتة[١٧٥].

ولعل أَبرز مثال تداوله الدارسون في غمار التداولية في هذا المجال هو المثال الذي ذكره(جون سيرل) هل يمكنك أن تناولني الملح ؟ فظاهر هذا المنطوق هو الاستفهام, لكن دلالته تُشير إلى

---

(١٧٠) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٣٧٠.

(١٧١) ينظر: نفسه: ٣٧٤- ٣٧٧.

(١٧٢) العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي: ٢٢١.

(١٧٣) ينظر: الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، يحيى بعطيش، بحث ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة: ١٠٧.

(١٧٤) بنظر: التداوليات وتحليل الخطاب، جميل حمداوي:٤٠.

(١٧٥) ينظر: دائرة الأعمال اللغوية مراجعات ومقترحات: ٤٩.

معنى آخر, وهو الالتماس[١٧٦], وأَشار د. محمد العبد إلى أنَّ القصد هو الذي يصنع الجملة الإنجازية في بادئ الأمر, إذ إنَّ المتكلم عندما ينطق بجملة استفهامية مُصدّرة بدليل إنجازي هو حرف الاستفهام..., كان قبل نطقه بها قاصداً الاستفهام, أو قاصداً معنى إنجازياً آخر ينطلق من الإنجاز الأول, يحدده السياق المقامي, فالقصد موجود في بنية المنطوق سواء وافق مقصد المتكلم بمطابقته إياه, أو بالتوسل عن طريقه إلى مقصد آخر تحدده القرائن الحالية والمقامية [١٧٧] .

وقد انتهى سيرل في تحليل أفعال الكلام غير المباشرة إلى عدد من الملاحظ والنتائج المهمة وهي[١٧٨]:

١- إنَّ المنطوق الإنجازي يمتلك قوتين اثنتين, إذ يؤدي فعل إنجازي أداء غير مباشر بوساطة أَداء فعل آخر.

٢- تبدو بعض الجمل غير المباشرة مستعملة-غالباً- استعمالاً عرفياً على أنَّها التماسات.

٣-في هذا الصنف من الأفعال يبلغ المتكلم المتلقي أَكثر ممّا يقول, وذلك بالاعتماد على خلفية المعلومات المشتركة المتبادلة بينهما(اللغوية وغير اللغوية)، ناهيك عن اعتماده على قوة الادراك والاستدلال العامة عند المتلقي.

٤- بناءً على ذلك, فإنَّ الجانب الضروري لشرح الأفعال غير المباشرة سوف يشتمل على نظرية أَفعال الكلام وبعض الأُسس العامة للمخاطبة وخلفية المعلومات المشتركة المتبادلة ما بين طرفي الخطاب, فضلاً عن مقدرة المتلقي على الاستدلال.

٥- كانت التوجيهيات الأَكثر فائدة لدراسة الأفعال الإنجازية وغير المباشرة؛ لأنَّ متطلبات الكياسة أو التأدب في المخاطبات تجعلها ثقيلة.

٦- يلعب العرف في بعض الحالات دوراً مهماً, فثمة صيغ لغوية تميل إلى أن تصبح مؤسسة تأسيساً عرفياً على أنَّها صيغ قالبية معيارية لأَفعال الكلام غير المباشرة, وتحتفظ تلك الصيغ بمعانيها المباشرة, ولكنها تكتسب أيضاً استعمالات عرفية, مثل صيغ التأدب التي تستعمل للالتماس.

---

(١٧٦) ينظر: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي:٢٢٠- ٢٢١, والخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي: ٤٩.

(١٧٧) ينظر: النص والخطاب والاتصال: ٢٩٢-٢٩٤.

(١٧٨) ينظر: نفسه ٢٩٤.

وفي ضوء ما سبق يمكن تلخيص ما توصل إليه جون سيرل في تحليله أفعال الكلام غير المباشرة بما يأتي[١٧٩]:

١. سلّم سيرل بالتمييز ما بين المعنى والاستعمال، ولكنه يرى التسليم بالتمييز ما بين أعراف الاستعمال وأعراف المعنى بدرجة أقل، وبيان ذلك أن(هل يمكنك, وأُريد أن) ونظائرهما من الأشكال اللغوية الأخرى ليست- في رأيه- إلاّ وسائل عرفية لعمل التماسات, والدافع الأظهر للعدول من المباشرة إلى الالتماسات هو التأدب.

٢. احتل جون سيرل مكانة متميزة في تداولية أفعال الكلام؛ لانفراده بمحاولة إعادة بناء الخطوات الضرورية لإنتاج فعل إنجازي أولي من فعل إنجازي حرفي, وهي إعادة بناء مؤسسة على حقائق المخاطبات, وأُسس التعاون الخطابي، ونظرية أَفعال الكلام, وخلفية المعلومات المشتركة بين المتخاطبين، ومبدأ الاستدلال.

ويتضح من ذلك أنَّ المتكلم يأخذ بعين الاعتبار إمكانية المتلقي وقابليته على تقبّل المعنى الضمني وفهمه, فالأفعال الإنجازية غير المباشرة لا يتوصل بها إلاّ بقوة الإدراك والاستدلال؛ لأنَّ المتكلم فيها يقول شيئاً, ولكنه يقصد معنى آخر, وهذا بخلاف القوة الإنجازية المباشرة التي تستمد معناها من ظاهر اللفظ نفسه.

ويمكن تتبع الأفعال الإنجازية غير المباشرة في مستدرك نهج البلاغة ودراسة تمثّلاتها وقوفاً على مبحثين اثنين، هما: الأفعال الكلامية بأسلوب الخبر، والأفعال الكلامية بأسلوب الإنشاء .

---

(١٧٩) ينظر: النصّ والخطاب والاتصال:٢٩٤.

المبحث الأول: الأفعال الكلامية بأسلوب الخبر:

انمازت اللغة العربية بدقة التعبير, وتنوع الأَساليب بحسب تنوع الأغراض والمقاصد فيستعمل المتكلم الأُسلوب الذي يراه مناسباً لمخاطبة المتلقي, ويروى أنَّ الفيلسوف الكنديّ قال لأبي العباس المبرد(ت٢٨٥هـ) : ((إني لأَجِدُ في كلامِ العَرب حَشْواً! فقال له أبو العباس: في أي موضع وجَدْتَ ذلك؟ فقال: أَجدُ العربَ يقولون: عبدُ الله قائمٌ ثم يقولون إنَّ عبدَ الله قائمٌ، ثم يقولونَ: إنَّ عبدَ اللهِ لقائمٌ، فالألفاظُ متكررةٌ والمعنى واحدٌ فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفةٌ لاختلافِ الألفاظِ، فقولُهم: عبدُ الله قائمٌ، إخبار عن قيامه وقولهم: إنَّ عبدَ الله قائمٌ، جوابٌ عن سؤالِ سائلٍ وقوله: إنَّ عبدَ اللهِ لقائمٌ، جوابٌ عن إنكارِ مُنْكِرٍ قيامَهُ، فقد تَكرَرَّت الألفاظُ لتكرُّرِ المعاني))[١٨٠] .

فسؤال الكندي في هذه الرواية يدلُّ على أَنَّه لا يرى في الكلام سوى المعنى القضوي المتمثل بـ(نسبة القيام لزيد) لذلك رأى في الكلام حشواً لا فائدة منه, إذ القضية المُعبَر عنها واحدة من دون أن يلتفت للمعنى الإنجازي المقصود في كلِّ جملة منه[١٨١]. فهناك قرائن تداولية تستَنِدُ عليها الجمل الثلاث, نحو استعمال أدوات التوكيد والتدرج فيها بحسب حال نوع المتلقي, ودرجة تقبله أَو إنكاره للخطاب[١٨٢], فكل جملة فيه ((تشكل خبراً تختلف درجاته في كلِّ مرة بحسب المقام والغرض المتضمن في القول, وكل تغيير في اللفظ فيها مؤذن بتغيير في المعنى))[١٨٣], فالخبر يخرج من معناه الحقيقي إلى معانٍ متعددة إنشائية ومجازية, وقد اصطلح الدكتور خالد ميلاد على خروج الخبر إلى المعاني الانشائية بـ(الإنشاء البلاغي) ؛ لأنَّه لا يكون إلاّ في مستوى الإنجاز

---

(١٨٠) دلائل الإعجاز:٣١٥.

(١٨١) ينظر: مداخل اللسانيات التداولية في الخطاب البلاغي العربي متابعة تداولية، باديس لهويمل، بحث ضمن كتاب التداولية مقاربة في المفهوم والتأصيل:٢٥٥.

(١٨٢) ينظر: نفسه:٢٥٥.

(١٨٣) نفسه:٢٥٥.

الكلامي[١٨٤]. ومن أمثلة خروج الخبر إلى معانٍ ضمنية الأكثر وروداً في خطابات الأمام (عليه السلام)، هي الأمر، والنهي، والدعاء، والتصبير.

الخبر المتضمن معنى الأمر:

ومن حمل الخبر معنى غير معناه الحرفي قوله(عليه السلام) :((**إنَّ قَطيعةَ الرَحِم مِنَ الذنُوبِ التي تُعَجِّلُ الفَناء**))[١٨٥].

يحمل هذا الخطاب في ظاهره قوة إنجازية مباشرة متمثلة بالإخبار, لكن المقصود منه لم يكن الإخبار فحسب, إذ إنَّ دلالته تُشير إلى حمله معنى الطلب, أَي صلوا أرحامكم، فالإمام(عليه السلام) أراد بالإخبار إنجاز فعل ضمني وهو الحث على صلة الأرحام ، فقطيعة الرحم من الذنوب التي يعجل بها الله سبحانه وتعالى العقوبة؛ لأنَّها تقطع صلة القرابة, وتفصم عُرى المحبة والأَلفة, فتأخذ بصاحبها إلى الذنوب التي تعجل الفناء.

الخبر المتضمن معنى النهي:

ومن مجيء الخبر حاملاً معنى غير مباشر, ما جاء في مورد استعمال المعاندين الجدل في الدين, فقال (عليه السلام): ((**مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بالجَدل تَزَندَق**))[١٨٦].

استعمل(عليه السلام) في هذا الخطاب قوة ظاهرة، وهي الإخبار متضمناً في طياته قصداً غير مباشر يفهمه المتلقي من القرائن العقلية حَمله معنى غير مباشر, استمد من القصد بحسب تلك القرائن، فالإمام (عليه السلام) لا يريدُ الإخبار في كلامه هذا، بل يريدُ أنْ ينهى عن الجدل في الدين, في الوقت الذي يبين فيه عاقبة المُجادل، فالجدل يخرج بصاحبه إلى الشك؛ لأنَّه لا يحتكم إلى العقل, وفي التنزيل الحكيم قال تعالى:ٌ ا بي تر □ □ تن تى تي □ ً [غافر: ٤].

وقد أَنجز(عليه السلام) في قوله: ((**لايَجِدُ عبدٌ طَعمَ الإيمانِ حتى يَترُكَ الكَذِبَ هَزلهُ وَجِدهُ**))[١٨٧] فعلاً إخبارياً, وهذا ما أعطاه المعنى الشكلي الظاهري للخطاب, لكنه يحمل دلالة قصد غير مباشر, فالمتأمل فيه يلحظ أنَّ هناك معنى ضمناً لم يصرح به؛ لأنَّه أَنتج الخطاب بناءً على

---

(١٨٤) ينظر: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية:٤٤٦.

(١٨٥) مستدرك نهج البلاغة: ٣٠٢.

(١٨٦) نفسه: ٢٩٧.

(١٨٧) مستدرك نهج البلاغة: ٣٠٣.

فرضية فهم المتلقي لما يؤول إليه المعنى, فيدرك أنَّ المقصود هو انجاز فعل آخر, وهو الطلب المتمثل بترك الكذب, فحمل الخطاب قوتين:

١- قوة إنجازية مباشرة (حرفية) وهي الإخبار.

٢- قوة إنجازية غير مباشرة (ضمنية) وهي النهي.

فالإمام (عليه السلام) ليس بصدد الإخبار, بل بملازمة نفي طعم الإيمان, مع اتصاف العبد بالكذب, وهذا ما مثلته قرينة (حتى) التي ربطت بين طرفي القول, بوصفها((موصل تداولي يعمل على تفكيك مكونات الفعل اللغوي؛ ليجعل منها أَفعالاً لغوية يُحملُ عليها وهي منفصلة بعضها عن بعض))[١٨٨], فتصاعد معنى الخطاب من الإخبار المحض إلى الإنشاء بالطلب, وقد أعطت الدلالة المعجمية التي مثلتها لفظتي(الهزل والجد) في قوله (عليه السلام) : (حتى يَترَكَ الكَذِبَ هَزلهُ وَجِدهُ) قوة أُضيفت إلى قوة المنطوق الإنجازي إذ جعل (عليه السلام) لفظة (الهزل) بمنزلة (الجد), والحال هذه التي يؤتى بها الكذب. فالكذب إخبار بما ليس له واقع يطابقه, فسواء أدى العبد الكذب بالهزل, أم بالجد كان المؤدى واحداً, فكلاهما يقودان إلى صفة مذمومة, لا تتفق وصفات العبد المؤمن.

الخبر المتضمن معنى الدعاء:

ومن مجيء الإخبار فعلاً يُتَوصَلُ به إلى إنجاز فعل آخر قوله (عليه السلام): ((**لَقَد نُمِّيَ إليَّ أَنَّ ابنَ الباغِيةَ(*) لَمْ يُبايعْ مُعاويةَ حَتّى شَرَطَ عَليهِ أَنْ يَأتيهِ أَتاوةً, هي أَعَظمُ ممّا في يَديهِ من سُلطانه، فَصَفَرتْ يَدُ هذا البائعِ دِينَهُ بالدُّنيا، وَتربَت يَدُّ هذا المُشتَري نُصرةَ غادرٍ فاسِقٍ بأَموالِ الناسِ**))[١٨٩].

استعمل الإمام (عليه السلام) قوتين إنجازيتين: الأُولى هي الظاهرة المتمثلة بالإخبار والثانية: وهي الضمنية والمتمثلة بالدعاء, ومعنى ذلك أَنَّ الفعل الكلامي يحمل مقصداً يقصده المُتكلم, وهو ما يتضمنه الخبر, فيتحول القصد من الخبر إلى الدعاء, وهو دعاء ان تخلو يد عمرو بن العاص الذي نعته الإمام (عليه السلام) بالبائع دينه بالدنيا, قال أَحمد بن فارس في معنى صفر:((الشيء الخالي يقال له صِفر))[١٩٠], أَي لا يمتلك شيئاً, ولما كان البيع من أَلفاظ العقود أَي إنَّه يتم بعقد

---

(١٨٨) التداولية وتحليل الخطاب الروىء والتمثلات، د. باسم خيري خضير: ٥٤.

(*) المقصود عمرو بن العاص ، ينظر: الإمامة والسياسة:هامش:٢.

(١٨٩) مستدرك نهج البلاغة:١٧٩.

(١٩٠) مقاييس اللغة(صفر):٣/٢٩٥.

اشتراك بين طرفين, قال الإمام علي (عليه السلام):(وترِبَت يَدُّ هذا المشتري) ملفوظ إنجازي تضّمن معنى الدعاء على المشتري ((يُقالُ ترب الرجل إذا افتقر كأَنَّه لصيق بالتراب))[١٩١], فالإمام(عليه السلام) لم يستعمل الأُسلوب المباشر للدعاء, فلم يقل(أَفقره الله), أو (اللهم أفقره)، بل أخبر بكلمات أَكثر ما يتطلبه السياق التخاطبي, فعدل إلى قوله(صفرت+ يدُّ+ هذا+ البائع) و (تربت+ يدُّ+ هذا+ المُشتري).

وقد أَشار الشهريّ إلى تداولية هذا النوع بأنَّه وحدات تفوق حدود الكلمة المفردة, وهو ما اصطلح عليه بالتعبير الاصطلاحي (idiom), الذي يتصف بثبات العلاقة مابين اللفظ وقصدية المتكلم, فيتجلى الخطاب حول الكفاءة التداولية بين طرفي الخطاب (المتكلم, المتلقي) وبذلك فإنَّ المتلقي, وهم الناس يدركون القصد ويفهمونه, فالإمام (عليه السلام) وضّح لهم حقيقة هؤلاء بأنَّهم عبيد الدنيا, وأصحاب المصالح، فاستعمل هذه الاستراتيجية لإنجاز فعل كلامي غير مباشر, فهو يتكلم بأُسلوب ويريد تحقيق غرض آخر, فظاهر كلامه إخبار, بيد أن الإخبار لم يكن الغرض المقصود, بل المقصود غرض متضمن في الإخبار, وهو الدعاء على من باع دينه بالدنيا, حتى شمل الدعاء المشتري نصرة ذلك الغادر الفاسق, ناهيك عن حمله معنى بيان حقيقة هؤلاء الذين اشتركا بالصفة نفسها, وكشفها للناس .

الخبر المتضمن معنى التصبير:

ومن الإخبار أيضاً, ما حمل معنى غير المعنى الظاهر ما جاء عن الأحنف بن قيس أنَّه قال[١٩٢]: ((ما سمعت بعد كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أَحسن من كلام أَمير المؤمنين علي (عليه السلام) حيث يقول (عليه السلام) : **إنَّ للنكباتِ نهاياتٍ، وَلا بُدَّ لأحدٍ إذا نُكبَ أن يَنتهي إليها، فَينبغي للعاقِل إذا أَصابَتهُ نَكبةٌ أَن يَنَامَ لَها, حتّى تَنقَضي مُدَّتها، فإنّ في دَفعِها قَبلَ انقِضاءِ مُدَّتِها زِيادةً في مَكروهها**))[١٩٣] .

بدأ (عليه السلام) خطابه مؤكداً بـ(إنَّ), بقوله (إنَّ للنكباتِ نهاياتٍ), وقد حمل هذا الملفوظ معنى التصبير, بتأكيده انقضاء النكبات ونفي دوامها, لكنه (عليه السلام) لم يقتصر في خطابه على هذا القول المؤكد, بل عمد إلى توظيف(لابدَّ) في قوله: (وَلا بُدَّ لأحدٍ إذا نُكبَ مِن أن يَنتهي

---

(١٩١) مقاييس اللغة (ترب):١/٣٤٦.

(١٩٢) ينظر : تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن حسن المعروف بابن عساكر، تح: عمرو بن غرامة العمروي: ٤٢/٥١٤.

(١٩٣) مستدرك نهج البلاغة: ٣٣٧.

إليها), وهو ملفوظ جاء على نية تأكيد ما قبله, فلفظة(لابدَّ) من الوسائل المعجمية التي تعمل على تقوية القوة الإنجازية, بوصفها أداة تُعزز المنطوق بإثبات صحة القضية المُعبر عَنها[١٩٤] ثُمَّ عدل (عليه السلام) إلى استعمال وسيلة غايرت تقوية الخطاب؛ لحاجته إلى تلطيف تلك القوة, فالمقام مقام تصبير, إذ خصَّصَ قوله إلى المتلقي الذي نعته بـ(العاقل) مستعملاً لفظة (ينبغي) بقوله : (فَيَنبغي للعاقِلِ إذا أَصابَتهُ نَكبةٌ أَن يَنَامَ لَها) للتأثير فيه باستحسانه الصبر, وتحليه به, فأنتج الخطاب فعلاً مشتقاً من الفعل المباشر, وتمثل بفعل التصبير, فضلاً عن حمله معنى التحذير, بقرينة قوله:(فإنّ في دَفعِها قَبلَ انقِضاءِ مُدَّتِها زِيادةً في مَكروها) .

المبحث الثاني:الأفعال الكلامية غير المباشرة بأسلوب الإنشاء:

ومن الأفعال الكلامية غير المباشرة بأسلوب الإنشاء ما تمثّل بالأفعال الآتية:

ـ الأَمر المتضمن معنى الدعاء:

يحفل كلام أَمير المؤمنين (عليه السلام) بالدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى, ومن دعاء له في خطبة تُعرف بالاستسقاء:**((اللهمَّ وَامنُن على عِبادِكَ بِتنويعِ الثَّمرةِ, وَ أَحيِّ بِلادَكَ بِبلوغِ الزَّهرةِ، وَ أَشهِد مَلائِكَتَكَ الكِرامَ السَفَرة سُقياً مِنكَ نافِعَةً, دائِمةً غَزرُها, واسِعاً دَرُّها، سَحاباً وابِلاً، سَريعاً عاجِلاً تُحيِي بِهِ ما قَد ماتَ, وَ تَردُّ بِهِ ما قَد فات، وَ تُخرِجُ بِهِ ما هو آتٍ, اللهمَّ اسقِنا غَيثاً مَغيثاً مُمرِعاً طبقاً))**[١٩٥].

كلُّ أَساليب الطلب التي توجه من المخلوق إلى الخالق جلَّ شأنه, تحمل قوتين إنجازيتين قوة ظاهرة تُعنى بالمعنى الظاهر, وقوة ضمنية تحمل المعنى الذي يقصده المتكلم, ففي الخطاب المتقدم معنىً ظاهر وهو الأَمر, بيد أَنَّ هذا الأَمر غير متحقق بأي وجه من الوجوه؛ بسبب الفارق بين الآمر والمأمور من حيث الرتبة والمنزلة, فالمتكلم بهذه الأَساليب لا يقصد إلاّ المعنى غير المباشر, وهو ما يتضمنه الخطاب, إذ تخرج أَساليب الطلب إلى معنى الدعاء, فالإمام (عليه السلام) يطلب من الله سبحانه وتعالى أَن يمنن على عباده بتنويع الثمرة, و وفرة البركة, والخير الكثير, لِيُحيي بها البلاد, ويجعلها نعمة نافعة دائمة متجددة, ويطلب سحاباً وابلاً شديد القطر, سريعاً يُحيي به ما قد مات, ويَرُدُ به ما قد فات, وقد تمثل هذا المعنى بتتابع أَفعال الأَمر التي خاطب بها الإمام (عليه السلام) الله سبحانه وتعالى بقوله:(امنن, وأَحيي, وَ أَشهِد, اسقِنا), فكل هذه

---

(١٩٤) ينظر: النص والخطاب والاتصال: ٣١٧.

(١٩٥) مستدرك نهج البلاغة:١١٢.

الصيغ تؤدي معنى الدعاء, وطلب الاستسقاء, وقال (عليه السلام): (اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً), ولم يقل اسقنا مطراً؛ لأَنَّ المطر لايُناسب المقام, فثمة فارق دلالي بين الغيث والمطر, فالغيث((المطر الذي يغيث من الجدب, وكان نافعا في وقته, والمطر: قد يكون نافعا وقد يكون ضاراً في وقته، وفي غير وقته))[١٩٦], ويُلحظ هذا جلياً في التعبير القرآني, فاستعمال الغيث في مواضع الرحمة والخير, وانصراف تداولية المطر إلى العذاب والنذر بالشر خصيصة من خصائص التعبير القرآني, المتمثلة في دقة اختيار الألفاظ[١٩٧]؛ لذا طلب الإمام علي(عليه السلام) في دعائه الغيث؛ لأَنَّه لا يحتمل المنفعة وعدمها, بل يحمل دلالة النفع, وهذا يعني أَنَّ أية عبارة يقصد المتكلم إنجازها ليجعل منها شاهداً في موقف معين لابدَّ من أَن تتوافق مع هذا الموقف أَو المعنى, والأَمر يتوقف على قدرة المتكلم على وضع الحدود ورسمها التي تشترك بين المواقف[١٩٨], ويتم عقد الصلة والروابط ما بين العبارات والأَغراض وبذلك يستطيع المتكلم أَن يكون على ثقة عالية من أَمر التوافق والمناسبة, فيظهر له مؤشرٌ يسعى به إلى تحقيق الغرض التداولي[١٩٩], وخطاب الإمام (عليه السلام) يدُّل على توظيف هذه الصلات والروابط, كاستعماله صيغ أَدت بدورها تقوية الفعل الإنجازي غير المباشر, نحو المصادر(تنويع, وبلوغ, وسقياً, وسحاباً, وغيثاً) فضلاً عن استعماله اسم الفاعل(نافعة, ودائمة, وواسعاً, ووابلاً, وعاجلاً, وآتٍ, ومغيثاً, وممرعاً) والتي تدلُّ على الحركة الدائمة؛ لتعطي بعداً تداولياً مناسباً لمعنى الدعاء.

ـ الأَمر المتضمن معنى التهديد:

لمّا كان الأَصلُ في استعمال فعل الأمر صدوره من صاحب السلطة المُدرج ضمن الأفعال التنفيذية ، كان استعماله في مقام التهديد متولد عنه ؛ ذلك بحسب قرائن الأحوال التي تناسب المقام ، وتمثّلت إنجازية هذا الفعل عندما طلب حبيب بن مسلم الفهريّ[*] من الإمام (عليه السلام) أَنْ يعتزل أَمر الناس ويكون أَمرهم شورى بينهم[٢٠٠], إذ كان جوابه (عليه السلام):((**وَما أَنتَ لا أُمَّ**

---

[١٩٦] معجم الفروق اللغوية:٣٩١.

[١٩٧] ينظر: من وحي القرآن: ابراهيم السامرائي:١٢٥-١٢٦.

[١٩٨] ينظر : تداولية الاقتباس دراسة في الحركية التواصلية للاستشهاد: منتصر أمين عبد الرحيم:٥٠.

[١٩٩] ينظر: نفسه:٥٢.

[*] هو حبيب بن مسلمة بن مالك الفهري القرشي، أبو عبد الرحمن: يُعد من كبار الفاتحين، حتى جعله بعضهم من أقران خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح , ولد بمكة , وخرج إلى الشام مجاهدا في أيام أبي بكر فشهد اليرموك، ودخل دمشق مع أبي عبيدة وهو من أنصار معاوية ومواليه, وكان معاوية يستشيره في كثير من شؤونه, ولما صفا الملك لمعاوية ولاه أرمينية فتوفي فيها. ينظر: الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي:٢/١٦٦-١٦٧.

[٢٠٠] ينظر: مستدرك نهج البلاغة :٨٨.

لَك وَ هذا الأَمر؟ اسكُتْ فَإنَّكَ لَستَ هُناكَ, وَ لا بأَهلٍ لَهُ, فَقامَ وَ قَالَ: وَ اللهِ لَتَرَينّي بِحيثُ تَكره, فَقالَ (عَليهِ السَّلام) : وَ ما أَنتَ، وَ لَو أَجلَبتَ بخَيلِكَ وَ رِجلك, لا أَبقى اللهُ عَلَيكَ إنْ أَبقَيتَ عَليّ أَحقرةً وَ سوءاً, اذهَبْ فَصَوّب وَ صَعّدْ ما بَدا لَك))[٢٠١].

لا شكَّ في أَنَّ عناصر القول لها أثرٌ في فهم دلالة الملفوظات ؛ إذ يتوصل للمعاني بادراك العلاقات بين التراكيب والظروف التي تحيط بها[٢٠٢], فالمقام الذي تكلم فيه الإمام (عليه السلام) مع حبيب الفهريّ هو مقام الرَّد أَولاً, والتهديد ثانياً, وهذا المعنى مختلف عن الصيغة التي تحمله, فالصيغة صيغة أَمر, والمتمثلة بقوله(عليه السلام) :(اسكُتْ, اذهَبْ صَوّب, صَعّدْ) أَمّا المعنى الضمني لهذه الصيغ فهو التهديد, وهذا المعنى هو النتيجة التي أَراد الإمام(عليه السلام) إيصالها إلى حبيب الفهري, إذ يُشكل الخطاب في كليته حُجة يسعى بها الإمام (عليه السلام) الوصول إلى تحقيق إنجازية الفعل الكلامي غير المباشر؛ لذا نجد أَنَّ القول بأكمله يدلُّ على زجر المتلقي وتهديده, فقد كرر الإمام(عليه السلام) الأمر المتضمن معنى التهديد في خطابه؛ ليؤكد مقصده, فجاءت الملفوظات تحمل قوتين إنجازيتين: الأُولى مباشرة, وهي صيغة الأَمر الصريحة, والثانية غير مباشرة وهي الغرض الذي يقصده المتكلم المتضمن معنى التهديد, إذ وظفَ الإمام(عليه السلام) لبيان قصديته من قوله تعالى مخاطباً إبليس: ﴿ بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم ﴾ [الإسراء: ٦٤] قال الشيرازيّ في تفسيره:((وبديهي أَنَّه لا يُراد بأيّة صيغة من صيغ الأمر هنا طلب الفعل، بل جميعها جاءت للتهديد والتنديد))[٢٠٣] ، وهذا ما اوضحته الملفوظات المنجزة في ضوء هذا القول .

ـ النهي المتضمن الموعظة:

ومن تمثلات النهي الضمني قوله(عليه السلام)لرجلٍ سأَله الموعظة[٢٠٤]:**((لاتَكونَنَّ ممّن يَعجزُ عَنْ شُكرِ مَا أُوتِيَ, وَ يَبْتَغِي اَلزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ, يَنْهَى وَ لاَ يَنْتَهِي, وَ يَأْمُرُ الناسَ بِمَا لاَ يَأْتِي, يُحِبُّ اَلصَّالِحِينَ وَ لاَ يَعْمَلُ بأَعمَالِهِمْ, وَ يُبْغِضُ المُسيئين وهو منهم, و يَكْرَهُ اَلْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ, ولا يَدَعها طول حَياتِهِ))**[٢٠٥].

أَراد (عليه السلام) باستعماله صيغة النهي المباشرة (لاتَكونَنَّ) أَن يصل إلى معنى غير ظاهر, وهو الحكمة والموعظة, وقد أَكد هذا الملفوظ الإنجازي بـ(نون التوكيد الثقيلة) لتقوية المعنى وتثبيته

---

(٢٠١) مستدرك نهج البلاغة: ٨٨-٨٩.

(٢٠٢) ينظر: في اللسانيات العربية المعاصرة : خالد اسماعيل حسان:٦٥-٦٧.

(٢٠٣) الامثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل:١٠٥/٧.

(٢٠٤) ينظر التذكرة الحمدونية: بهاء الدين البغدادي:٧٥/١.

(٢٠٥) مستدرك نهج البلاغة: ٢٦٤.

في ذهن المتلقي, ويلحظ تمثلات موعظته في ألفاظ إنجازية قال فيها: (لاتَكوننَّ ممّن يَعجزُ عَنْ شُكرِ مَا أُوتِيَ, وَ يَبْتَغِي اَلزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ) تكمن قوة هذا الملفوظ في الاعتراف بعطاء الله سبحانه وتمجيده, على نعمائه, وألا يتكبر المخلوق, أو يعجز عن تقديم الشكر للخالق, وفي المقابل يبتغي الزيادة في النعم؛ لأنَّ ((أول مراتب الشكر ترك المكابرة, في تلقي ما ينسب إلى الله))[٢٠٦].

و(يَنْهَى وَ لاَ يَنْتَهِي) ضرب من ضروب الجناس, وهو جناس الاشتقاق, وقد استعمل الإمام علي (عليه السلام) هذا الملفوظ لتنبيه المتلقي إلى سرِّ اختيار الجمع بين لفظي النهي والانتهاء, فالذي يبدو أنَّ هذا الملفوظ يحمل دلالتين: دلالة شكلية لفظية, ودلالة المعنى بتضمينه قصدية الموعظة, أي لاتكن ممن ينهي عما هو محرم ومذموم, في حين أنَّكَ لا تنتهي, فهنا استوجب تهذيب النفس أولاً؛ لينهى غيره ثانياً, فحمل هذا الملفوظ اليسير معنى بليغاً متأتياً من حالة التأمل التي منحها جناس الاشتقاق فالانتهاء مشتق من النهي, وقد حققَ هذا النوع من الجناس قصدية المتكلم, وجمال الأُسلوب والتكرار في الحروف, فضلاً عن التقارب الصوتي بين اللفظين الذي يضفي معنى التوكيد ليزداد المتلقي تأثيراً, قال الجرجانيّ:((إنَّ ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمرٌ لم يتمَّ إلا بنُصْرةِ المعنى، إذ لو كان باللفظ وَحْدَهُ لما كان فيه مستحسنٌ))[207], وقد أكد (عليه السلام) هذا المعنى بقوله:(وَ يَأْمُرُ الناسَ بِمَا لاَ يَأْتِي) وفي ذلك إشارة لقوله تعالى: ٱ ﷺ ٱ ٱ ين ﷺ [البقرة: ٤٤].

(يُحِبُّ اَلصَّالِحِينَ وَ لاَ يَعْمَلُ بِأَعْمَالِهِمْ, وَ يُبْغِضُ المُسيئين وهو منهم) ملفوظ إنجازي تكمن قوته في نهيه (عليه السلام) المتلقي بأن لايكون كالذي يحب الصالحين ولا يعمل بعملهم ويبغض المسيئين وهو منهم, فالمتلقي في هذا الملفوظ لاينطبق عليه القول, بل ينهاه عن أن يكون كذلك[٢٠٨].

(و يَكْرَهُ اَلْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ, ولا يَدَعها طول حَياتِهِ) نتيجة حتمية لمن لم يعرف الله سبحانه وتعالى حقَّ معرفته ٱ ، ﷺ ٱ ٱ ٱ ٱ ٱ ٱ يم ي ﷺ [البقرة: ٩٥].

ـ الاستفـــهام:

كثيراً ما يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معانٍ أُخر, فيعطي معنى دلالياً مغايراً للمعنى الحقيقي؛ لأنَّ الاستفهام أمّا أن يكون على أصل وضعه للمعنى الأصلي، فيكون طلباً لجواب, فهو حينئذ طلب مباشر, وأمّا أن يُنظر إليه بنظرة تحتاج إكمال التفكير الذهني, فيتضمن

---

[٢٠٦] البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني:٢١١.

[٢٠٧] أسرار البلاغة:٥.

[٢٠٨] ينظر: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، محمد تقي التستريّ، تح : مؤسسة نهج البلاغة:٨/٢٦٠.

معنى آخر غير السؤال, قد يكون طلباً للتقرير فيكون طلباً للإيجاب, وقد يكون للإنكار, فيكون إظهاراً للاختلاف والخلاف[٢٠٩], وهناك فارق دلالي له غاية الأَثر بين الاستفهام التقريري والاستفهام الإنكاري, وهو إِنَّكَ في الاستفهام التقريري تُثبت الخبر[*] وتحققه ؛ لذا يعمد المتكلم إلى استعمال هذا الأسلوب فيعدل من الخبر إلى الإنشاء بالاستفهام التقريري؛ لينتزع إقرار المتلقي نحو فعل معين[٢١٠], فالإقرار ((الإذعان للحق والاعتراف به, أقر بالحق, أي اعترف به))[٢١١], ومنه الثبات والاستقرار[٢١٢], وقد اتفق معظم الدارسين على أَنَّ التقرير هو حمل المُخاطَب (المتلقي) على الإقرار والاعتراف بأمرٍ قد استقر عنده[٢١٣], لكن القصد يظهر بحُلة الاستفهام؛ لأَنَّه أوقع في النفس وأَدلُّ على الإلزام[٢١٤], ففي قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾ [الشعراء: ١٨], أي قد ربيناك, وقوله تعالى:﴿أَأَنتُمْ﴾ [يوسف: ٨٠], أي قد علمتم, فالمتكلم في الاستفهام التقريري يُلزم المتلقي بالحجة, بانتزاعه الإقرار والاعتراف, ناهيك عن المعاني الأخرى التي يحملها القول.

والاستفهام الإنكاري فإنَّك لا تطلب إقرار المتلقي واعترافه بشيءٍ, بل إنَّك تُنكِرُ عليه وتستهجن منه ما حدث في الماضي, أو ما يمكن حدوثه في المستقبل[٢١٥], ويكون بمعنى النفي, فقوله تعالى: ﴿أَلَهُ الْبَنَاتُ﴾ [الصافات: ١٥٣], أي إنَّ الله لا يصطفي البنات على البنين, فيحمل العدول من النفي إلى الاستفهام الانكاري قصداً يجعل المتكلم يتوسل بهذه الاستراتيجية[٢١٦],وقد أَشار أحمد بدوي إلى السر في مجال استعمال الاستفهام الإنكاري والعدول إليه عن استعمال النفي في ((أنَّ الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جواباً يحتاج إلى تفكير, يقع هذا الجواب في موضعه, ولما كان المسؤول يُجيب بعد تفكر وروية عن هذه الأسئلة بالنفي, كان في توجيه السؤال إليه حملاً على الإقرار بهذا النفي, وهو أَفضل من النفي ابتداً))[٢١٧], فيكون الاستفهام أَشد وقعاً على المتلقي من التصريح بالنفي.

---

(٢٠٩) ينظر: الخلاصة النحوية، د. تمام حسان:١٤٢.

(*) المقصود بالخبر هنا خبر بلحاظ المعنى لا للفظ؛ لأَنَّ الاستفهام أُسلوب طلبي, ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس :١٩٢.

(٢١٠) ينظر: الحجاج في كلام الإمام الحسين(عليه السلام)، عايد جدوع حنون: (أُطروحة دكتوراه):٩٥-٩٨.

(٢١١) لسان العرب (قرر):٨٨/٥.

(٢١٢) ينظر: تاج العروس في جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيديّ، تح: عبد الستار أحمد فراج (قرر):١٣/ ٣٩٦.

(٢١٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم: ٣٣١/٢.

(٢١٤) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١٩٠.

(٢١٥) ينظر: نفسه: ١٩٢-١٩٤.

(٢١٦) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١٩٢-١٩٨.

(٢١٧) من بلاغة القرآن، أحمد بدوي: ١٢٦.

ولا يقتصر خروج الاستفهام عن هاتين الدلالتين- أي التقرير والإنكار- بل إنَّه يُعبر عن معاني كثيرة, منها التوبيخ, والتحقير, و التعجب, و التنبيه على ضلالة المُخاطب والاستبطاء, ..., وغيرها من المعاني التي يُستَدَلُ بها من السياق[٢١٨], فإذا خالف الاستفهام غرضه الحقيقي وهو طلب الجواب, خالف المقام وجيء بمعانٍ تناسب مقام إنجازها بحسب قصدية المتكلم[٢١٩].

ولخطابات الإمام علي (عليه السلام) نصيب وافر من الاستفهام الذي لا يُراد منه قصدٌ مباشرٌ، بل خرج إلى معاني ضمنية, بوصفه ظاهرة إنجازية, أراد بوساطتها إبلاغ المتلقي ما يمكن إبلاغه, فقد في خطابه إلى جمعٍ من المهاجرين والأنصار:((**أَينَ كانَتْ سَبقَةُ تَيمٍ وَعَديّ إلى سَقيفةِ بَني ساعِدةَ خَوفَ الفِتنةِ, أَلاّ كانَتْ يومُ الأَبواءِ, إذ تَكاثَفَتِ الصفوفُ وتَكاتَفَتِ الحُتوفُ, وتَقارَعَت السيوفُ؟ أَم هلاّ خَشَيا فِتنَةَ الإسلامِ يومَ ابن عبدِ ودٍّ, وقد شَمَخَ بأَنفِهِ, وطَمَحَ بطَرفِهِ؟ وَلِمَ لَم يُشفقا على الدينِ وَأَهلِهِ يَومَ بِواط, إذ اسوَدَّ لَونُ الأُفقِ, وَاعوَجَّ عَظمُ العُنُقِ؟ وَلِمَ لَم يُشفِقا يَومَ رضوى, إذ السهامُ تَطيرُ, والمَنايا تَسيرُ وَالأُسدُ تَزيرُ؟ وهَلاّ بادروا يَومَ العَشيرةِ, إذ الأسنانُ تَصطَكّ, والآذان تَستَكُّ, وَالدُروعُ تُهتَك؟ وَهلاّ كانَتْ مُبادَرَتهُما يوم بَدر, إذ الأَرواحُ في الصّعداءِ تَرتقي, والجِيادُ بالصَناديدِ تَرتدي, والأَرضُ مِنْ دِماءِ الأَبطال تَرتَوي؟ وَلِمَ لَمْ يُشفِقا على الدينِ يومَ بَدرٍ الثّانيةِ وَالرَعابيبُ تُرعَبُ, والأَوداجُ تَشخَبُ, والصُدُورُ تُخَضَّب؟**))[٢٢٠].

جاء الخطاب بمتوالية من الأَفعال الكلامية الاستفهامية الصريحة متمثلة بقوله (عليه السلام):(أَينَ كانَتْ سَبقَةُ ...؟ وَلِمَ لَم يُشفقا على الدينِ وَأَهلِهِ يَومَ بِواط... ؟ وَلِمَ لَم يُشفِقا يَومَ رضوى...؟ وَلِمَ لَمْ يُشفِقا على الدينِ يومَ بَدرٍ الثّانيةِ...؟), إذ أعطت هذه الصيغ الاستفهامية معنى المُستفهم عن هذه الأَحداث, لكن المُتمعن في سياق الخطاب يلحظ عدول الاستفهام الصريح إلى معانٍ ضمنية غير المعنى الظاهر, فالإمام (عليه السلام) لا يريد جواباً من المتلقي, ويلحظ أن الخطاب موجه إلى نوعين من المتلقين:

الأول: وهو المتلقي الحاضر وقت الخطاب, وهم جمع من المهاجرين والأنصار فالإمام (عليه السلام) أراد أن ينتزع منهم الإقرار بأنَّ ما يقوله هو الحق؛ لأنَّ ما قاله مستمد من وقائع ملموسة لا مراء فيها, ولا جدال, فمثلت هذه الخطبة حُجة على السامعين؛ ليصحوا من سباتهم, ويناصروا الإمام بعد إقرارهم بأنَّه هو صاحب هذه المشاهد, وحامل راية هذه المواقف .

والثاني: هو المتلقي الذهني المتمثل بتيم وعدي, فقوله (عليه السلام) : (أَينَ كانَتْ سَبقَةُ تَيمٍ وَعَديّ إلى سَقيفةِ بَني ساعِدةَ خَوفَ الفِتنةِ...), إنكار، وتوبيخ لتيم وعدي، وتعجب من فعلهم،

---

(٢١٨) ينظر: مفتاح العلوم :٣١٣-٣١٧.

(٢١٩) ينظر: التداولية بين النظرية والتطبيق: ٣٢٥.

(٢٢٠) مستدرك نهج البلاغة:١١٧.

وضّح فيه حقيقتيهما بسبقهما احتيالاً وغدراً إلى سقيفة بني ساعدة, في حين تقاعسا عن القتال يوم الأبواء[٢٢١], فحقَّ عليهما النهوض إلى نصرة الدين وحرصهما عليه .

فتمثلت الملفوظات الإنجازية باستعراض الوقائع والغزوات, معبراً عنها بصيغ الماضي؛ ليصور لنا مشهد هاتين القبيلتين(تيم وعدي) بنفي نصرتهما الإسلام, وأنهما لم يشفقا على الدين في تلك الوقائع المتمثلة بـ(يوم الأَبواء, ويوم ابن عبد ود, ويوم بواط, ويوم رضوى, ويوم العشيرة, ويوم بدر الأَول, وبدر الثانية), وهذا التعداد له أَثر في نفس المتلقي, ومجيئه بصيغ غير مباشرة تحمل معنى إِنكار الإمام (عليه السلام) ما صدر عنهم وحصل منهم, ولما كان الإنكار هو النفي يجعلنا نُحيل إِلى المسوغ الذي جعل عدول الملفوظات عن النفي المباشر إِلى صيغة الاستفهام الإنكاري، فكان بإمكان الإمام (عليه السلام) أَن ينفي مشاركة من خذل الإسلام بهذه الوقائع, ولا سيما أَنَّ اللغة العربية تميلُ إِلى الإيجاز, إِلاّ أَنَّ العدول هذا يضع المتلقي (المستفهم منه) موضع المتحير المعترف بما اقترف من ذنب؛ لأَنَّه سرعان ما ينخرط في دورة الخطاب لإِلقاء الحجج عليه, وبذلك كانت قصدية الاستفهام الإنكاري أَبلغ حجاجاً من النفي المباشر[٢٢٢].

فاتضح القصد غير المباشر من هذا الخطاب بجملة الإقرار للمتلقي والإنكار والتوبيخ لتيم وعدي.

ومن خروج الاستفهام من فعل كلامي مباشر إلى فعلٍ كلامي غير مباشر قوله (عليه السلام) حين أتى أهل النهروان:((**أَلَم تَعلَموا أَنِّي نَهَيتُكُم عَنْ الحكُومةِ، وَ أَخبَرتكُم أَنَّ طَلَبَ القَومِ إيّاها مِنكُم وَهنٌ وَ مَكيدة لَكُم, وَ نَبّأتكُم أَنَّ القَومَ لَيسوا بأصحابِ دينٍ وَ لا قُرآن، وَ أَنِّي أَعرَفُ بِهم مِنكُم**))[٢٢٣]

عمد الإمام (عليه السلام) إلى أُسلوب الطلب بدلاً من الخبر في خطابه هذا, إذ لاشكَّ في أَنَّه لا يقصد الفعل المباشر من استعماله الطلب بالاستفهام, بل يريد تحقيق غرض آخر, وهو الإقرار والاعتراف, وبذلك يكون في الخطاب قوتين إنجازيتين, قوة إنجازية مباشرة تمثلت بالاستفهام الصريح, وقوة إنجازية غير مباشرة تضمنت معنى الإقرار والتثبيت, ويتضح معنى الإقرار مذ بدأَ (عليه السلام) خطابه, فهو يقرر لهم بأَنَّهم يعلموا نهيه إياهم عن هذه الحكومة, في قوله:(أَلَم تَعلَموا أَنِّي نَهَيتُكُم عَنْ الحكُومةِ), وأراد بالحكومة هنا الحكومة التي طلبها معاوية بتدبير وتمكين

---

(٢٢١) الأبواء: هي أول غزوة قادها الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). ينظر: البداية والنهاية : إسماعيل ابن كثير الدمشقيّ، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركيّ: ٢٩٥/٣.

(٢٢٢) ينظر: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أَهم خصائصه الأُسلوبية:٤٢٩.

(٢٢٣) مستدرك نهج البلاغة : ٩٤.

عمرو بن العاص[٢٢٤], وقوله :(وَأَخبَرتكُم أَنَّ طَلَبَ القَومِ إيّاها مِنكُم وَهنٌ وَ مَكيدة لَكُم, وَ نَبّأتكُم أَنَّ القَومَ لَيسوا بأصحابِ دينٍ وَلا قُرآن) ملفوظ إنجازي يحمل دلالتين:

الأولى: إخبارية لفظية عن هؤلاء القوم, وطلبهم الحكومة متأتٍ من ضعف أَفعالهم, ونفي معرفتهم بالقرآن.

والثانية: حملهم على الإقرار بأنَّه أَخبرهم, ونبأهم بكيد هؤلاء القوم ناهياً عنهم. ويلحظ أَنَّه (عليه السلام) لم يكتف بذكر لفظة الإخبار أَو لفظة الإنباء, بل وظف المصطلحين في خطابه؛ ليلقي الحُجة على المتلقي بتحذيره ونهيه عن هؤلاء الفاسقين, فالنبأ ((الخبر الذي له شأن عظيم، ومنه اشتقاق النبوة..., النبأ لَا يكون إِلَّا للإخبار بِمَا لَا يعلمهُ الْمخبر وَيجوز أَن يكون الْخَبَر بِمَا يعلمهُ, وَبِمَا لَا يعلمهُ, ... وَفِي الْقُرْآنُ ﴿ بر ﴿ ﴿ بن بى ﴾ [الشعراء: ٦]))[٢٢٥], فتمثل قوله (عليه السلام) بفعل كلامي غير مباشر أعطى دلالة إقرار المتلقي واعترافه بالأمر, ناهيك عن حمله دلالة الإنكار والتوبيخ لفعلهم, واستخفافهم بما نهاهم عنه (عليه السلام) .

ومن ذلك أيضاً ما كتبه بعد انصرافه من النهروان بعد افتتاح مصر, وتقاعس الناس عن نصرته[٢٢٦] : ((**أَلا تَرَونَ إِلى مِصرَ قَد افتتحت، وإلى أَطرافِكُم قَد انتَقَصت، وَإِلى بِلادِكُم تُغزى, وَأَنتُم ذَوو عَددٍ جَم، وَشَوكَةٍ شَديدةٍ، وَأُولوا بَأسٍ قَد كانَ مَخوفا، فَأينَ تَذهَبونَ، وَأَنى تُأفَكون**))[٢٢٧].

حمل كتاب الإمام علي(عليه السلام) ملفوظات إنجازية صريحة, فقوله (أَلا ترون, وأين تذهبون, وأنى تأفكون) ملفوظات استفهامية مباشرة, لكن هذه الملفوظات لا يُراد منها

جواباً من المتلقي؛ لحملها قوة إنجازية غير مصرح بها, وهي التوبيخ, والتحقير، والتأنيب والتعجب فهناك إشارة لأَمر عظيم, وهو تخاذل هذه الأُمة وتقاعسهم عن الدفاع عن بلادهم, وقوله (وَأَنتُم ذَوو عَددٍ جَم، وَشَوكَةٍ شَديدةٍ، وَأُولوا بَأسٍ) ملفوظ إنجازي ألقى فيه (عليه السلام) الحُجة عليهم بإفصاحه عن إمكاناتهم الحربية من الوجهة العددية, وتمتعهم بالقوة والشجاعة, فقوله:(شوكة شديدة) تدلُّ على ((خشونةٍ وحدَّةِ طرَفٍ في الشّيء))[٢٢٨]. وبذلك أَسقط عنهم العذر في تخاذلهم عن الدفاع عن بلدهم, وأَكدَ هذا المعنى بقوله: (قد كانَ مَخوفاً) التي تشتمل على أَداة التوكيد قد, وهي

---

(٢٢٤) ينظر: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ٤٤٦/٥.

(٢٢٥) الفروق اللغوية: ٥٢٨-٥٢٩.

(٢٢٦) ينظر: الغارات أَو الاستنفار والغارات، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي، تح: السيد عبد الزهراء الحسينيّ: ١٩٩.

(٢٢٧) مستدرك نهج البلاغة : ٢٠٥.

(٢٢٨) مقاييس اللغة (شوك):٢٩٢/٣.

من الأَدوات الحجاجية التي تعمل على تقوية إنجاز الفعل الكلامي, فضلاً عن استعماله صيغة المبالغة (فعول) المتمثلة بقوله (مخوفا), ثم ربط الإمام(عليه السلام) خطابه مستفهماً بآيٍ من الذكر الحكيم إذ قال: ﴿ ﴾ [التكوير: ٢٦] بتضليلكم هذا, وأَيُّ طريقٍ تسلكون؛ ليكون لكم أَبين من طريق الحقّ[٢٢٩] ﴿ ﴾ [فاطر: ٣] بعدولكم عن طريق الحقّ إلى الكذب فالإفك ((يدلُّ على قلب الشيء وصرْفِه عن جِهَته))[٢٣٠], وقد دلَّ اقتران هذا الملفوظ مع الاستفهام بـ(أنَّى) على التعجب, قال الشعراوي: ((وإذا سمعت كلمة: أنَّى فافهم منها أنها تأتي للتعجيب))[٢٣١].

وبذلك حققَ الإمام (عليه السلام) قصديته المتضمنة معنى العجيب، والتحقير، والتوبيخ, ناهيك عن حمله معاني أُخر أَراد إيصالها إلى الذين سلكوا طريق الضلال.

الفصل الثّالث: الفعلُ الكلامي الإجمالي (النصيّ) .

المبحث الأَول : الفعل الإجمالي المفهوم والتأصيل .

المبحث الثانيّ . محددات الفعل الكلامي الإجمالي .

المبحث الثالث :: تمثلات الفعل الكلامي الإجمالي .

---

(٢٢٩) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل الزَّجّاج ، تح: عبد الجليل عبده شلبي: ٢٩٣/٥.

(٢٣٠) مقاييس اللغة (أفك):١٨١/١.

(٢٣١) تفسير الشعراويّ، محمد متولي الشعراويّ:٣٨٠٧/٦.

المبحث الأول: الفعل الإجمالي (النَّصيّ)المفهوم والتأصيل :

مفهوم الفعل الكلامي الإجمالي (النصيّ) :

ارتبطت نظرية الأَفعال الكلامية بمؤسسيها (جون أوستن، وجون سيرل), وقد اتّخذا في نظريتهما منحى تطبيقياً, حتى أَثمرت جهودهما في اكتشاف الدور الإنجازي الذي تؤديه الأَقوال عند النطق بها, بعد أن كان الوصف هو السائد في الفكر اللساني والفلسفي, لكن ما قدماه (أوستن وسيرل) ظلَّ محصوراً في حدود الفعل الكلامي المفرد, أَو في حدود الجملة في حقل الاستعمالات اللغوية, وهذا ما تنبه إليه علماء اللغة النصيين, ولاسيما فان دايك الذي رأى أنَّه بالإمكان تحليل النصوص على أَنَّها سلسلة متتالية من الأَفعال الكلامية, فـ((أَول سياق نحلله هو السياق التداولي, فالدراسة التداولية للنصوص تعتمد على تأويل للنص, باعتباره فعلاً للغة, أَو باعتباره متتالية من أَفعال اللغة))[٢٣٢], ورأى أَيضاً ((أنَّ استعمال اللغة ليس معناه إنجاز فعل خاص, وإنَّما هو جزء من التفاعل الاجتماعي, أَي أنَّه ليس عملاً فردياً, بل هو عملية يتم من خلالها تفاعل الأَفراد فيما بينهم داخل المؤسسة الاجتماعية؛ لتلبية احتياجاتهم, مما يجعل الطابع الوظيفي للغة مهيمناً))[٢٣٣] .

ومن هذا المنطلق دعا فان دايك إلى ضرورة استثمار نظرية الأَفعال الكلامية في دراسة النصوص وتحليلها, بوصفها متواليات أَفعال إنجازية تسعى إلى تحقيق غرض مقصود, حتى أَطلقَ على هذا المفهوم الفعل الكلامي الكُلي[٢٣٤], أَو الفعل الكلامي الإجمالي global speech act, أَو الفعل الكلامي الأَكبر[٢٣٥] marco speech act[٢٣٦], وهذا الفعل هو حصيلة ما يعبر عن القوة المُنجزة للنص كلّه, ويكون ممثلاً للقصد منه .

---

(٢٣٢) النص بنياته ووظائفه مدخل أَولي إلى علم النص، فان دايك، بحث ضمن كتاب نظرية الأَدب في القرن العشرين، ترجمة وتقديم د. محمد العمري: ٦٦.

(٢٣٣) المدارس اللسانية المعاصرة: ١٩٦-١٩٧.

(٢٣٤) ينظر: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي :٣٠٩-٣١٦.

(٢٣٥) ينظر: تعديل القوة الإنجازية ، دراسة في التحليل التداولي للخطاب: محمد العبد :بحث ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة: ٣٠٩.

(٢٣٦) ينظر: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي:٣٠٩-٣١٦, واصطلح عبد الحليم بن عيسى على هذا المفهوم بـ(الفعل الكلامي النصي) , ينظر: الفعل الكلامي النصي قصيدة(وتعطلت لغة الكلام) لمفدي زكريا أنموذجاً، عبد الحليم بن عيسى :بحث ضمن كتاب التداولية في البحث اللغوي والنقدي:٣١٩ .

ويمكن إيضاح ما قدمه فان دايك من مفهوم الأَفعال الكلامية على أَنَّها فعل إجمالي واحد, بما تأمله الأَب لرسمة ولده الصغير, بالمحادثة الآتية:

((أ- إنَّ هذا الرسم عجيب هل أنت الذي رسمه؟

ب- بالطبع أنا.

أ- إنَّه مدهش, وقد أحببته, إلا أني أراك في حاجة إلى ألوان أُخرى.

ب- نعم إنَّ اللون الأزرق والأَحمر يكادان ينتهيان.

أ- غداً سوف اشتري لك ألواناً جديدة.

ب- لا تنسها يا أبتي مرةً أُخرى.

أ- إني أَحرص على أَن أَفعل))[٢٣٧].

واشتملت هذه المحادثة النصية على متوالية من الأفعال الكلامية كالإخبار, والطلب, والتعجب, والتوكيد, والوعد, وقد تمثلت الوظيفة الإجمالية لها بالوعد, وربما المزاوجة ما بين الوعد والثناء[٢٣٨] .

وأَفاد فان دايك من نظرية الأَفعال الكلامية أيما إفادة عندما نقلها إلى الدراسات النصية, وعمد إلى توظيف آليات الفعل الكلامي, في تحليل نصوصه, بما يتماشى مع الوحدات اللغوية الاتصالية المختلفة[٢٣٩], فأثمرت تلك الدراسات عن تدقيق في المفاهيم الأَساسية المتصلة بالحدث اللغوي, والنصوص هي الأَدوات التي تحدد التصرف الاتصالي, وإنها تعاقب من الأحداث اللغوية الجزئية متصلة بعضها ببعض[٢٤٠] .

ويرتبط الحدث اللغوي((بالتفاعل بين الأَطراف المتخاطبة, والذي يفضي إلى الكشف عن الفعل المركزي سواء صرح به, أَو كان مضمراً, وتتظافر سلسلة الأَفعال الأُخرى في إنشائه))[٢٤١]. ولا شكَّ في أَنَّ السلسلة التتابعية من الأَفعال تحتاج إلى تماسك نسبي ما بين الجمل, ولما كان

---

(٢٣٧) النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي :٣١٧, وينظر: النص والخطاب والاتصال: ٢٨٣.

(٢٣٨) ينظر: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي :٣١٧.

(٢٣٩) ينظر: تداولية الحدث الكلامي –شعر أبي نواس أنموذجاً- : م.د. علي متعب جاسم ,و م م حسين عمران محمد، مجلة ديالى/ع ٦٧/ لسنة ٢٠١٥/ :٣٨٧-٣٨٨ .

(٢٤٠) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي ، فولفجانج هاينه من :وديترفيهفيجر، ترجمة د. فالح بن شبيب العجمي: ٦٦ .

(٢٤١) تداولية النص الشعري جمهرة أَشعار العرب نموذجاً، شيتر رحيمة(أطروحة دكتوراه): ١٥٨.

النص عبارة عن جمل متوالية تتواشج فيما بينها لتنجز فعلاً معيناً[٢٤٢], كان ذلك الفعل هو الفعل المُستَخلَص أَو المقصود من النصّ, وهو ذلك الفعل الذي يُعبِّر عن الهدف الجوهري الذي يعطي دور المقصود من السلسلة بأكملها, في حين تُنسب إلى بقية الأَفعال وظيفة مساعدة, فهي تعمل على مساعدة الإنجاز المُسيطر في النصوص[٢٤٣].

وقد أَشار أ. د عبد الحليم بن عيسى إلى أَنَّ السياق فيما ذهب إليه فان دايك هو الديناميكية أو المسرح الذي تتمثل فيه هذه المتوالية من الأَفعال الكلامية, فهو اتجاه يتسلسل فيه مجرى الأَحداث بدأً من حالة ابتدائية, ثم حالات وسط وصولاً إلى الحالة النهائية[٢٤٤], إذ يرى فان دايك أَنَّه بالإمكان التعبير عن فعل إنجازي بوساطة نص كبير يتكون من مجموعة أَفعال كلامية صغرى[٢٤٥], فقد نصَّ على ((أَنَّ متواليات أَفعال الكلام الإنجازية مثلها مثل الأَفعال المجردة تستدعي وضع تخطيط وتأويل... وتُفهَمُ كما لو كانت فعلاً إنجازياً واحداً))[٢٤٦] .

وقد انتهى فولفجانج هاينه وديتر فيهفيجر إلى وضع مبادئ أَساسية لها أَهمية في تحليل النصوص وفقاً للنظرية الإنجازية للكلام, تمثلت بما يأتي[٢٤٧]:

١. استعمال اللغة يعني أَداء أَفعال كلامية, والفعل الكلامي نشاط احتمالي يقوم به أُناس ذوو طبيعة اجتماعية؛ لغرض إنجاز مهمات اتصالية, ويرتبط هذا النشاط بتبادل التصورات، والمقاصد، والاهتمامات, ويتجاوز الفعل الكلامي حدود إنجازه حتى يُحَدد بعمليات الأَداء .
٢. يُوجَه الفعل الكلامي إلى الأَطراف المُشاركة فيه, فهو عملٌ اجتماعي, يَخضع في أَدائه إلى قواعد اجتماعية, ويعبر عن أَشكال السلوك الاجتماعي ضمن شروط محددة.
٣. يُؤدى الفعل الكلامي في هيأة إنتاج النصوص وتلقيها, لذا يمكن أن توصف النصوص بأَنَّها متواليات من أَفعال كلامية, أَو مركبات من أَفعال كلامية, أَو بنى إنجازية تربط بنية النص القضوية ارتباطاً وثيقاً .

---

(٢٤٢) ينظر: نظرية النص وموضوع النحو، هورست إيزنبرج، ترجمة سعيد حسن بحيري: ٣٥ .

(٢٤٣) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي :٦٨, والحوار وخصائص التفاعل التواصلي دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية: ١٤٧– ١٤٨ .

(٢٤٤) ينظر: الفعل الكلامي النصي قصيدة (وتعطلت لغة الكلام)، لمفدي زكريا أنموذجاً، بحث منشور:٣٢٢–٣٢٣ .

(٢٤٥) ينظر: في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي: ١١٨ .

(٢٤٦) النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي :٣١٦.

(٢٤٧) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي :٦٩–٧٠, والتداولية بين النظرية والتطبيق: ٤٠٥– ٤٠٦ .

٤. يستعمل الفعل الكلامي لبلوغ المقاصد, ويحدد مقصد النص الكلي من نوع الفعل الكلامي المهيمن, مثل الرجاء, والوعد... ، ناهيك عن ردود فعل المتلقي النفسية المتوقعة, مثل الإقناع, أو الغضب ... .

٥. الفعل الكلامي المقصود والموجه إلى الغاية يتبع في أدائه خطة فعلية, أَو استراتيجية فعلية بعينها, فيقوم المتكلم بتخطط مقاصده الجزئية, وأَفعاله الكلامية الجزئية بما يتناسب مع مقصد النص الكُلي, وهذا يؤدي إلى تدرّج رُتب أَفعال النص الإنجازية, وهو تدرج يتميز باحتوائه على مستويات مختلفة من الأَفعال الكلامية المُهيمنة, والأَفعال الكلامية المدعمة(المساعدة), ويعيد المتلقي عند عملية الفهم تركيب هذا التدرج في رُتب الأَفعال الإنجازية .

وقد عمل فان دايك وكينتش على وضع استراتيجيات تلقي النصّ التي قامت على الفرضيات الأَساسية الآتية[٢٤٨] :

١. يبني مفسر النص تمثيلاً ذهنياً للأوضاع التي تم إبلاغها عبر النص بوساطة المتكلم, أَيَّ إن مفسر النص بتطبيقه لاستراتيجيات مختلفة يدخل النظام إلى المعلومات المأخوذة من النص ويملؤها بالمعلومات الموجودة من قبل .
٢. يفهم مُفسر النص الأَوضاع دائماً على أَنَّها أَوضاع من نوع معين, أَي إنَّ وضع النظام يكون دائماً مُستنداً إلى أَنواع من الموضوعات، وحالات اتصال، وتفاعلات ونشاطات تفاعل .
٣. لا ينتظر المُفسِر إلى نهاية النص, عند بناء التمثيل الذهني، بل يبدأ به من الكلمة الأُولى في بناء القول, ويتدرج بعد ذلك خطوة خطوة نتيجة التغيير الناشئة .

٤. يتكئ على مواقفه, وقيمه, وقناعاته, وآرائه التي بها يأخذ بتقويمات تكون ذات أَهمية للنظام .

٥. يعتني بوظيفة النص في السياق الاجتماعي .

٦. يهتم بوظيفة الإنجاز الكلي فيه, أي إنَّه يُعيد بناء قصد المتكلم نسبياً من سياق الموقف, وسياق التفاعل .

٧. يهتم بإدخال النص في التفاعلات الاجتماعية بأهدافها, وحوافزها, ومعايرها .

ونخلص من هذا إلى أَنَّ رؤية فان دايك لنظرية الأَفعال الكلامية كانت مكملة لما أَبداه أوستن وسيرل, فقد عمل على نقل تحليل الأَفعال الكلامية من حدود الجملة المفردة إلى حدود

---

(٢٤٨) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي: ١٥٨-١٥٩.

الجمل المتعددة داخل النص, وبذلك يكون النص عبارة عن جمل متوالية من الأَفعال تتعاضد فيما بينها؛ لتنجز فعلاً كلامياً – سواء كان ضمنياً أم مصرحاً به– ويكون نجاح هذا الإنجاز الكلي مرتبطاً بالدور الذي تؤديه الأَفعال الأُخرى الموجودة في النص .

والنصّ بوصفه أفعالاً كلامية فإنه يتكئ على آليات تعمل على تحديد الفعل الإنجازي الكُلي, فضلاً عن تحديد وظيفة الأَفعال الأُخرى المساعدة, والكشف عن دور البنى المتدرجة لمركبات إنجازية في نص كلي؛ لبيان أَثرها في دعم الإنجاز المسيطر وتعزيزه؛ لينتج عن ذلك الهدف المقصود من النص الذي تحقق عبر هذه الأَفعال الجزئية .

تأصيل الفعل الكلامي الإجمالي :

أَصبح من المُسلَّمات أَنَّ الحديث عن أَية نظرية معاصرة, أَو رؤية حديثة في الموروث العربي هو حديث إيجاد جذور لهذه النظرية عند علمائنا العرب الأَجلاء, والعمل على تأصيلها في أُمهات مدوناتهم العريقة, ويسعى هذا الجانب– من الدراسة – إلى مقاربة فكرية ما بين الرؤية النصية وإيجاده عند جهود الأَقدمين, وإن كانت هذه الرؤية عندهم لا تمثل إلاّ شذرات متفرقة لم توضع لها معايير ثابتة, وإنَّما جاءت ضمناً في دراساتهم؛ لأَنَّها كانت وسيلة ترمي للوصول إلى دراسة معينة, ولم تكن غاية في ذاتها .

لقد غلبَ على الدراسات العربية القديمة الاهتمام بالجملة أكثر من النصِّ ، فابتعدت تحليلاتهم عن تتبعات الجمل التي تدخل في حدود النصِّ؛ فالجملة عندهم أَكبر وحدة لغوية للتحليل, وعند ظهور اتجاه الدرس اللساني الحديث(لسانيات النصّ) سعى بعض الباحثين نحو ضرورة دراسة التراث العربي دراسة نصّية ساعين إلى تجسيد مبادئ الرؤية النصية في الموروث العربي, إلاّ إنَّ دراسات المُحدثين أَسفرت عن وجود نظرية كُلية عند العلماء العرب تعنى بدراسة جملتين, أَو مجموعة من الجمل لها ارتباط وثيق الصلة بما جاء به فان دايك, الذي تجاوز في رؤيته حدود الجملة الضيقة إلى إطار نصي واسع الأُفق, يضم متوالية جُملية مُنجزة .

ومن جملة مظاهر نحو النصّ التي تناولها المختصون بهذا الجانب ظاهرة الرابط النحوي, وجملة الشرط وجوابها, وتعدد الجمل في مواقع الخبر, والنعت والحال.

وقال سيبويه في باب (اشتراك الفعل في أن, وانقطاع الآخر من الأَول الذي عمل فيه أن) : ((فالحروف التي تشرك: الواو، والفاء، وثم، وأو. وذلك قولك: أريد أن تأتيني ثم تحدثني، وأريد أن

تفعل ذاك وتحسن، وأريد أن تأتينا فتبايعنا، وأريد أن تنطق بجميل أو تسكت. ولو قلت: أريد أن تأتيني ثم تحدثني جاز، كأنك قلت: أريد إتيانك ثم تحدثني))(٢٤٩).

ومعنى ذلك أَنَّ الربط بالعطف إنَّما يدخل في معنى المعطوف عليه, فإن لم يدخل في معناه رُفِعَ على الاستئناف, وقد يجوز أَن يقطع ما دخل في معنى الأَول على الاستئناف(٢٥٠).

وقرر سيبويه في قوله هذا أَنَّ الاشتراك الحاصل بين المعطوف على الفعل المنصوب بـ(أن) في الحكم بأدوات الربط(الواو, والفاء, وثم, وأَو) يدخل ضمن الترابط الحاصل بين أَكثر من جملة داخل السياق اللغوي, فالأَمثلة التي أَوردها تُشكل نصوصاً, كل نصّ مكون من جملتين أَو أَكثر(٢٥١), وهذا ما اصطلح عليه الباحث عبد المهدي هاشم الجراح بـ(الاقتران التتابعي) الذي يُعنى بالتلاحم الكُلي الحاصل بين الجمل المتتابعة(٢٥٢), ويضرب سيبويه مثلاً قوله تعالى: ﱡﭐ   ﱠ [البقرة:٢٨٢] معللاً السبب الذي انتصب المعطوف عليه في هذا الحكم هو (الإذكار) إذا نسيت إحداهما الشهادة(٢٥٣), وقد جرى تحليل قوله تعالى هذا بالرجوع إلى سياق النصّ القرآني في حال لم يكن الشهيدان رجلين, فالمُستَشهَدون رَجلٌ وامرأتان(٢٥٤) ﱡﭐ   ﱠ [البقرة:٢٨٢], فالقارئ في كتب النحو العربي بدأً بكتاب سيبويه وانتهاءً – على سبيل المثال لا الحصر – بحاشية الصبان على شرح الأَشموني يجد أَنَّ ظاهرة الربط النحوي التي كانت تسيطر على عقول النحويين بعضها ينتمي إلى مستوى المفردات داخل الجملة الواحدة, والآخر يتجاوز الجملة إلى حدود الجمل, ويُعدُّ هذا من أَهم الأُسس التي قام عليها نحو النص(٢٥٥), فإذا ما تلفظ المتكلم بما يفوق الجملة الواحدة فإنَّ ذلك من أَهم أُسس وجود نحو النصّ ومبرراته؛ لإقامة عناصره شبكة من العلاقات بين الجمل المتباعدة داخل النص, وعلاقات أُخرى بين النص ومحيطه المباشر وغير المباشر(٢٥٦) .

---

(٢٤٩) الكتاب: ٥٢/٣ .

(٢٥٠) ينظر: شرح كتاب سيبويه، السيرافيّ، تح: أحمد حسن مهدلي, وعلي سيد علي : ٢٥٠/٣-٢٥١ .

(٢٥١) ينظر : نحو النص وتطبيقاته على نماذج في النحو العربي، عبد المهدي هاشم الجراح: مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية:م٣٣:ع ١:لسنة٢٠٠٦ :٧٥ .

(٢٥٢) ينظر: نفسه: ٧٥.

(٢٥٣) ينظر: الكتاب: ٥٣/٣ .

(٢٥٤) ينظر: شرح كتاب سيبويه: ٢٥٠/٣.

(٢٥٥) نحو النص وتطبيقاته على نماذج في النحو العربي(بحث منشور):٧٤, و مباحث حول نحو النص، أ.د عبد العظيم فتحي خليل الشاعر: ٢٣-٢٤ .

(٢٥٦) ينظر: نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، الأزهر زناد : ١٦ .

ويعدُّ التعليل أَحد مظاهر نحو النصّ التي عالجها النحويون في مصنفاتهم, متكئين في تخريج هذه الظاهرة على السياق الاجتماعي؛ لبيان توجيه الاستعمال اللغوي الوجهة الصحيحة, إذ لم يقتصر النحويون في معالجاتهم ظاهرة التعليل على ذكر الأَمثلة, بل وظفوا النصوص القرآنية, والفصيح من كلام العرب(شعراً ونثراً) .وقال سيبويه فيما أَنشده الطرماح مفسراً لقوله[٢٥٧] : [البحر السريع]

يا دارُ أَقْوَت بعدَ أصرامِها عاماً وما يَعْنيكَ من عامِها

((فإنّما ترك التنوين فيه لأنه لم يجعل أقوَتْ من صفة الدار، ولكنه قال: يا دارُ، ثم أقبل بعدُ يحدث عن شأنها، فكأنه لما قال: يا دارُ، أقبل على إنسان فقال: أقوتْ وتغيّرتْ، وكأنه لما ناداها قال: إنها أقوتْ يا فلان. وإنما أردت بهذا أن تعلم أن أقوتْ ليس بصفة))[٢٥٨], بمعنى أَنَّه لم يكن يرى المعنى النحوي منعزلاً عن النص, فقد فسرَ بيان الوجه الأعرابي في هذا البيت بربطه بالظروف الخارجية, وتجسيم الأحداث[٢٥٩], وهذا يلتقي مع قول فان دايك في أَنَّ أَحد مهام التداولية هو أن ((يقدم النحو تفسيراً للعلة التي بها يكون محل العبارة أَو موضوعها سائغاً مقبولاً))[٢٦٠] .

وتُعدُّ نظرية النظم لعبد القاهر الجرجانيّ ضرباً من صناعة النصّ, إذا ما رُعِيَ فيها قوانينه علم النحو وأُصوله[٢٦١], فالنظم ((أن تضع كلامك الوضعَ الذي يَقتضيهِ علمُ النحو، وتعملَ على قوانينهِ وأُصولِه، وتعرفَ مناهجَه التي نُهِجتْ, فلا تزيغَ عنها وتحفَظُ الرُّسومَ التي رُسمتْ لك، فلا تُخِلَّ بشيءٍ منها, وذلك أنَّا لا نَعلم شيئاً يبتغيهِ الناظمُ بنَظْمه غيرَ أنَ ينظرَ في وُجوهِ كلَّ بابٍ وفُروقهِ))[٢٦٢], ومن هذا التعريف مضى الجرجاني في دلائله يعرض لوجوه الجمل المركبة، ويحلل الأَساليب والنصوص المختلفة[٢٦٣]؛ لأَنَّه جعل النظم مناط النظرة الكُلية لمتوالية من مفردات اللغة .

---

(٢٥٧) ديوان الطرماح ، تح: د. عزة حسن: ٢٤٨.

(٢٥٨) الكتاب: ٢٠١/٢.

(٢٥٩) ينظر: النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص مثل من كتاب سيبويه، د. يوسف سليمان عليان: المجلة الاردنية في اللغة العربية وآدابها: المجلد:٧: العدد: ١: لسنة ٢٠١١: ٢٢٠.

(٢٦٠) النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي :٢٦٥.

(٢٦١) ينظر: نحو النص نقد النظرية وبناء أُخرى، د. عمر محمد أبو خرمة : ٤٤ .

(٢٦٢) دلائل الإعجاز : ٨١.

(٢٦٣) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم المطعني :١٥٠/١ .

ولعلَّ باب الفصل والوصل هو من أَكثر الموضوعات التي التفتَ إليها العلماء الأوائل إلى قضية الربط بين متواليات من الجمل(٢٦٤),بوساطة حرف العطف؛ بوصفه علامة تدل على وجود علاقات بين الجمل داخل النص(٢٦٥), فـ((ينظر في الجمل التي تُسرَد, فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل))(٢٦٦) .

وتلتقي رؤية الجرجانيّ مع رؤية فان دايك في تحليله النصوص القرآنية، وبعض النصوص الشعرية, والنثرية, ومنها تحليله لقوله تعالى:ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯖ ﯗ ﭼ [هود: ٤٤] , فتوالت الأَفعال الكلامية في هذا النصّ مبتدأً بالنداء, فالأمر, فالحكم بهلاك قوم نوح (عليه السلام)... لتعطي موضوعاً إجمالياً متمثلاً في انقياد الخلائق جميعها لقدرة الله سبحانه وتعالى وعظمته, وهذا ما نصَّ عليه الجرجانيّ, جاعلاً ((مبْدَأ العظمةِ في أن نُوديت الأرضُ، ثم أُمرَتْ... ثُمَّ أنْ أُتبعَ نداءُ الأرض وأمرُها بما هو من شأنها، نداءَ السماء وأمرَها كذلك، بما يَخصُّها، ثم أنْ قيل:ﭽ وَغِيضَ الْمَاء ﭼ ، فجاء الفعلُ على صيغة فُعِل الدالَّةِ على أنَّه لم يَغِضْ, إلاَّ بأَمر آمرٍ, وقُدرةِ قادرٍ، ثم تأكيدُ ذلك وتقريرُه بقولهِ تعالى:ﭽ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﭼ، ثم ذكرُ ما هو فائدةُ هذه الأمور، وهو:ﭽ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﭼ...))(٢٦٧), مؤكداً تأكيداً لا يدع للشك مجالاً في أَنَّ بلاغة الإعجاز وروعته تكمن في حروف تتوالى في المنطوقات(٢٦٨).

وهذا الأمر لا يقتصر على النحويين والبلاغيين فحسب ، بل نجده عند المفسرين(٢٦٩)،والنقاد(٢٧٠) أيضاً .

---

(٢٦٤) ينظر: نحو النص نقد النظرية وبناء أُخرى: ٤٥ .

(٢٦٥) ينظر: نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً: ٢٥ .

(٢٦٦) دلائل الإعجاز: ٨٢.

(٢٦٧) دلائل الاعجاز: ٤٦.

(٢٦٨) ينظر: نفسه: ٤٦ .

(٢٦٩) ينظر: تفسير الفخر الرازي المعروف بـ(التفسير الكبير, ومفاتيح الغيب)، الرازيّ:٣٠٤/١٧، والبرهان في علوم القرآن: ٤٠/١-٦٠. ، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعيّ: ١/ ١١، و المقدمات الأَساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف العنزي: ١٢٨، و إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي: ١٣٨-١٣٩، والتناسب ودوره في الإعجاز القرآني، إقبال وافي نجم: (رسالة ماجستير) : ١٧٢ .

(٢٧٠) الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوريّ، تح: أحمد محمد شاكر :٧٦/١ ، وعيار الشعر: ابن طباطبا، الحسنيّ العلويّ: تح: عبد العزيز بن ناصر المانع:٢٠٩ ، و العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيروانيّ ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد:١١٧/٢ ، و بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث ، يوسف حسين بكار : ٢٩٨، والأَدب الجاهلي في آثار الدارسين قديماً وحديثاً، د. عفيف عبد الرحمن :٢٨١ ، و ، و ينظر: النقد الموضوعاتي الأُسس والمفاهيم ، محمد لبلوحي، مجلة الموقف الأدبي: العدد:٤٣٩: لسنة: ٢٠١٢: ٣٨-٣٩ .

المبحث الثاني: محددات الفعل الكلامي الإجمالي :

يتناول هذا المبحث الكيفية التي توصل إلى معرفة الفعل الكلامي الإجمالي، وتعيينه؛ لتحديد الفعل المهيمن في النصّ, فهناك محددات كثيرة تسهم في تحديد هذا الفعل, منها السياق والتكرار, والربط, والتساوق النصي, وذكر الهدف من الموضوع وغيرها .

ويمكن الوقوف من بين تلك المحددات على ثلاثة منها, وهي : السياق, وهيمنة الفعل الإنجازي في النص, وذكر الهدف من النصّ.

أولاً: السياق:

يعد السياق من المحددات الأَساسية للوصول إلى المعنى, وقد اهتم أَصحاب نظرية السياق في تحديد مفهومه, فتناولوه في مواضع عدة, ويُطلق مصطلح السياق على مفهومين هما:

١- السياق اللغوي .

٢- سياق التلفظ, أَو سياق الحال أَو الموقف [٢٧١] .

والمفهوم الأَول هو الأَكثر شيوعاً في البحث المعاصر, إذ يتجسد في تتابعات لغوية في شكل الخطاب من وحدات صوتية, وصرفية و معجمية, وما يترتب بينها من علاقات تركيبية تساعد في الكشف عن المعنى[٢٧٢], فوقف أَصحاب هذه النظرية عند حدود الكلمة في ضوء سياقها, فالمعنى عندهم ((حصيلة استعمال الكلمة في اللغة من حيث وضعها في سياقات مختلفة))[٢٧٣], ولأَنَّ المجالات التي يفرضها السياق يتعذر حصرها أَو الإحاطة بها، واتسع مفهومه ليشمل الظروف التي تحيط بفعل التلفظ, ويرى علي آيت أشان أَنَّه إذا كان لابدَّ من استراتيجية تحليلية –في نص معين– فإننا سنبدأُ من مجموعة فرضيات أَو أَسئلة سعينا إلى الإجابة عنها, وهي :

- من هو المتكلم في النصّ ؟
- من هو المتلقي ؟
- ما هو موضوع النص ؟
- ما هو زمانه ؟

---

(٢٧١) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٤٠ .

(٢٧٢) ينظر : نفسه : ٤٠ .

(٢٧٣) مبادئ اللسانيات، د. أحمد محمد قدور: ٣٥٤ .

- ما هو المكان الذي يؤطره ؟[٢٧٤]

ويُجيب السائل عن نفسه أَنَّ ((الإجابة عن هذه الأَسئلة يضعنا في عمق ما أَسماه (فان دايك) النص كفعل كلامي, مستلهماً في ذلك نظرية أَفعال الكلام من أوستن وسيرل حيث الجواب عليها يفرض علينا تجاوز السياق بمفهومه الضيق إلى السياق النفسي والاجتماعي, والثقافي, والتخيلي))[٢٧٥], وهذا يحيلنا إلى ما يُعرَفُ بالسياق التداولي الذي ((يتكون من جميع العوامل النفسية, والاجتماعية, التي تحدد بدقة مناسبة أَفعال اللغة ومن بينها المعرفة والرغبات أو الإرادة والأسبقيات المعتبرة, عند مستعملي اللغة, وأَحكامهم من جهة, وعلاقاتهم الاجتماعية(علاقات السلطة والصداقة مثلاً) من جهة أخرى))[٢٧٦] .

ويمكن الوقوف عند قرينة السياق, بوصفها محدداً للفعل الكلي من وجهين :

١-ذكر الموضوع الإجمالي في النصّ.
٢-إضمار الموضوع الإجمالي في النصّ .

١ . ذكر الموضوع الإجمالي في النصّ :

سيكون النصّ التطبيقي في هذه الفرضية قوله (عليه السلام) حين استنهض جيشه إلى الجهاد في واقعة الجمل, بوصفها أَول معركةٍ خاضها في زمن حكومته: ((**عِبَادُ الله انْهدُوا إلى هؤلاءِ القَوم مُنشَرِحَةً صُدُورُكُم بِقِتالِهم, فَإِنَّهُم نَكَثُوا بَيعَتي, وَأَخرَجُوا ابنَ حُنَيفِ عَامِلي بَعدَ الضَّربِ المُبرِّحِ وَ العُقُوبةِ الشَّديدةِ، وَ قَتَلُوا السَّيابِجَةَ، وَ مَثَّلوا بِحَكيمِ ابنَ جَبَلةَ العَبديّ وَ قَتَلوا رِجالاً صالِحين، ثُمَّ تَتّبعوا مَنْ نَجا يَأخُذُونَهم في كُلِّ حائِطٍ, وَ تَحْتَ كُلِّ رابِيةٍ فَيَضرِبونَ رِقابَهُم صَبراً، مالَهُم قاتَلَهُمُ اللهُ أَنّى يُؤفَكُون! انهَدُوا إِلَيهِم وَ كونُوا أَشدّاءَ عَلَيهِم وَالقَوهُم صابِرينَ مُحتَسبينَ, قَد وَطَّنتُم أَنفُسَكُم عَلى الطَّعنِ الدَّعسي، وَالضَّربِ الطَّلَحفي، وَ مُبارَزةِ الأَقرانِ، وَ أَيُّ امرىء مِنكُم أَحَسَّ مِنْ نَفسِهِ رِباطَةَ جأَشٍ عِندَ اللِّقاءِ, وَ رَأى مِنْ أَحدِ إِخوانِهِ فَشَلاً, فَليَذبَّ عَنْ أَخيهِ الّذي فضلَ عَليهِ كما يذبّ عَنْ نَفسِهِ, فَلَو شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُ مَثلَهُ))**[٢٧٧].

---

(٢٧٤) ينظر: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، علي آيت أُوشان: ٢١ .
(٢٧٥) نفسه: ٢١.
(٢٧٦) النص بنياته ووظائفه مدخل أولي إلى علم النص، فان دايك : بحث منشور: ٦٧.
(٢٧٧) مستدرك نهج البلاغة: ١٤٦ .

ينبغي الإشارة إلى عناصر السياق التداولي في النصّ, فالمتكلم هو الإمام علي(عليه السلام) وتمثلت المناسبة التي ساق فيها خطابه حين دخوله البصرة, في سنة ٣٦هـ في منطقة الخُريبة[٢٧٨], أمّا المتلقي فهم جيشه وأَنصاره, وقد وجه إليهم خطابه؛ لاستنهاض هممهم في مواجهة الطرف الآخر, وقد تكَّون النصُّ من سلسلة متوالية من الأَفعال, تمثّل موضوعه الكُلي التوجيه بفعل الأَمر(انهدوا), وقد ورد ذكره مرتين؛ لأَنَّ السياق سياق توجيهي نحو الحرب, ناهيك عن الدور السلطوي الذي جعل التوجيه يتجه إلى الأمر بصيغته المباشرة الحرفية.

والنهود :النهوض, يُقالُ نهدَ القومُ لعدوهم, إذا صمدوا وشرعوا في قتاله[٢٧٩], وقد استعان (عليه السلام) بسلسلة أَفعال إنجازية, توالت مقامياً؛ لتعمل على خدمة المقصد الكلي للنص, وتحقيقه؛ إذ إنَّ مقصد النص الكلي يتحقق بالمقاصد الفرعية, بوصفها أَفعالاً تحمل معانيَ, ووظائف معينة كأن تكون للتوضيح أَو الإبانة, أَو دعم الحُجة أو غير ذلك, وهذا ما يتضح عند الوقوف على الظروف المحيطة بالنصّ؛ لأَنها تُسهم في إنتاج الخطاب, فضلاً عن دورها في تعزيز الفعل الإجمالي فيه, ومن هذه الظروف, السياسية, والاجتماعية.

ـ السياق السياسي :

شهدت الدولة الإسلامية في تلك المدة صراع إرادات, فبعد أن تولّى الإمام علي (عليه السلام) الخلافة أتياه طلحة بن عبيد الله, والزبير بن العوام, فطلب الأَول من الإمام أن يوليه اليمن, وكان الزبير يريد البصرة, وعندما استبان لهما أَنَّ علياً (عليه السلام) غير موليهما شيئاً, أظهرا الشكاية, وأضمرا الغدر[٢٨٠], أَمّا عائشة زوج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فكانت ترغب في تقلد الخلافة إلى ابن عمها طلحة, ولما بلغها قتل عثمان قالت: أيه ذا الأصبع, أيه أَبا شبل, أيه يا ابن عم, لكأني أَنظر إلى أصبعه وهو يبايع له حثوا الإبل و دعدعوها[٢٨١].

---

(٢٧٨) مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين المسعوديّ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد: ٣٦٨/٢.

(٢٧٩) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس (نهد): ٢٤٢/٩ .

(٢٨٠) ينظر: الإمامة والسياسة: ٧٠/١-٧١.

(٢٨١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد :٢١٥/٦ .

فعملت الإرادات السياسية على تدبير خروج كُلٌّ من طلحة والزبير على خلافة الإمام(عليه السلام) الشرعية, فتوجها إلى مكة, إذ أُمُّ المؤمنين عائشة كانت هناك, بعد أن استأذنا الإمام (عليه السلام) في العُمرة[٢٨٢] .

ـ السياق الاجتماعي :

لاشك في أَنَّ انعكاسات العامل السياسي تظهر جلياً على الوضع الاجتماعي السائد في تلك المدة, فبعد الصراعات التي كان عليها المشهد السياسي الإسلامي, أعلن (عليه السلام) في خطابه عن الأَحداث التي جرت في المجتمع؛ ليرفع الشبهة عنه, التي أتت من وجود العناصر الداخلة في الصراع, إذ يتمثل الطرف الآخر بعائشة زوج الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم), وهي أُمُّ المؤمنين, وطلحة صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم), والزبير حواري الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم), وابن عمته وهو من أوائل الصحابة, فوجه خطابه إلى جيشه؛ لاستنهاض حميتهم, ولإيصال فكرة الطرف الآخر أَنَّهم ليسوا بأصحاب حقّ, وأَنَّ دعواهم باطلة فأوضح لهم أَنَّ تحركات طلحة والزبير, واستغلالهم زوج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لتحشيد جيش ضده, ما هو إلاّ خروج عن خلافته الحقة, فجاء في سياق خطابه بأدلة قاطعة, متمثلة بأفعالهم في البصرة وقتلهم عامله عثمان بن حنيف, فقد مثلوا به وقصدوا بيت المال, وعندما مانعهم الموكلون به (السيابجة) قتلوا منهم سبعين رجلاً, وخمسين من السبعين ضُرِبَت رقابهم صبراً, بعد الأَسر, وهؤلاء أَول من قُتِلَ ظلماً وصبراً في الإسلام, وقتلوا حكيم بن جبلة العبدي, وهو من سادات عبد القيس, وزُهّاد ربيعة, و نُسّاكِها[٢٨٣].

فقد خاطب (عليه السلام) جيشه؛ لشحذ عزيمتهم, وليؤكد لهم فداحة خطأ الطرف الآخر, مستمداً من طبيعة المجتمع و المواقف التي تعرض إليها الإسلام, التي عملت على تقوية الفعل الإجمالي للنص, إذ يعنى السياق الاجتماعي بتحديد نوع الخصوصيات التي يمكن أن تطبع النصوص؛ لأَنَّ أَفعال الكلام أفعال اجتماعية تُنجز ضمن تفاعل تواصلي, ويندرج هذا التفاعل في المقامات الاجتماعية[٢٨٤], ناهيك عن أَثر العامل الديني في الخطاب؛ إذ أَشار (عليه السلام) إلى

---

(٢٨٢) ((روي عن ابن عباس رحمه الله أنه قال: كنت قاعداً عند علي (عليه السلام) حين دخل عليه طلحة والزبير, فاستأذناه في العمرة, فأبى أن يأذن لهما، وقال: قد اعتمرتما فأعادا عليه الكلام فأذن لهما، ثم التفت إلي, فقال: والله ما يريدان العمرة، وإنما يريدان الغدرة, ... ثم قال لهما: والله ما تريدان العمرة وما تريدان إلا نكثا لبيعتكما، وفرقة لأمتكما)) ينظر: الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي الطبرسيّ: ١٩٦ .

(٢٨٣) ينظر: تاريخ الطبري: ٣/ ١٨٧–١٨٨, ومروج الذهب ومعادن الجوهر: ٣٧٥ .

(٢٨٤) ينظر: النصّ بنياته ووظائفه مدخل أولي إلى علم النصّ: بحث منشور: ٧٣–٧٤ .

آيات من الذكر الحكيم؛ لتقوية حُجته, فقوله :(فَإِنَّهُم نَكَثوا بَيعَتي) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ □ □ □ □ □ ﴾ [التوبة:١٢], وأشار إلى قوله تعالى: ﴿ تج تح تخ تم ته ﴾ [التوبة:٣٠], فأدت هذه العوامل والظروف المحيطة بالنصّ إلى توالد أَفعال, أو جمل إنجازية متساوقة عملت على خدمة الموضوع الإجمالي للنصّ, والمتمثل بالتوجيه بفعل الأَمر .

٢-اضمار الموضوع الإجمالي في النصّ :

قد يتكون النصّ من سلسلة من الملفوظات الصريحة, لكن لا يُمثل أَحدها موضوعاً للنصّ, إذ يتجاوز هذه الملفوظات إلى قصدية مضمرة, هي حصيلة نتاج تلك الأَفعال المذكورة وتعاضدها معاً, وهذا ما يصطلح عليه بالاستعارة القصوى التي تتجاوز دلالتها الملفوظ نفسه, وترتكز على موضوعات مضمرة, حتى قال عنها:(جيرار جينات) إنَّها طريقة مخصوصة في اللعب مع العلامة[٢٨٥] .

والفارق ما بين هذه الاستراتيجية والفعل الكلامي غير المباشر الذي أضافه سيرل إلى نظرية أوستن إنَّ الفعل الكلامي غير المباشر يرتكز على حدود الجملة، والأجدر تجاوز حدود الجملة إلى سلسلة من الجمل, مؤدية فعلاً إنجازياً مضمراً, يمثل قصدية المتكلم, وأَمثلة ذلك كثيرة في خطابات الإمام علي(عليه السلام) منها ما جاء في رسالته إلى أبي بكر, لما بلغه عنه كلام بعد ظُلامة الزهراء (عليها السلام) ومنعها إرث أبيها(صلى الله عليه وآله وسلم)[٢٨٦]:((**لَكأَنَّي بِكُم تَتَرَدَّدُونَ في العَمى, تَرَدّدَ البَعيرِ في الطَّاحُونَةِ أَما وَ اللهِ لَو أُذِنَ لِي بِما لَيسَ لَكُم بِهِ عِلمٌ, لَحَصدْتُ رُؤوسَكُم عَن أَجسادِكُم, كَحَبِّ الحَصيد, بِقَواضبَ مِن حَديد, وَ لَقَلَعتُ مِنْ جَماجِمِ شُجعانَكُم ما أُقَرِّحُ بِهِ آماقَكُم، وَأوحِشُ بِه مجالِسكُم, فَإِنّي مُذ عُرِفتُ مُردِي العَساكِرَ، وَ مُفني الجَحافِل، وَ مُبيدُ خَضراء كُم، مُخمِدُ ضَوضاءكُم، وَجَزّارُ الدَّوارِينَ، إِذْ أَنتُم في بُيوتِكُم مُعتَكفُون، وَإِنَّي لَصاحِبُكُم بِالأَمسِ، لعَمْرُ أَبي وَ أُمّي لَنْ تُحبّوا أَن تَكونَ فِينا الخِلافَةَ وَ النُبوّةَ، وَ أَنتُم تَذكُرونَ أَحقادَ بَدرٍ وَثاراتَ أُحد, أَما وَ اللهِ لَو قُلتُ ما سَبَقَ مِنَ اللهِ فِيكُم لَتَداخَلَتْ أَضلاعُكُم في أَجوافِكُم تداخلَ أَسنانِ دَوّارةِ الرَّحى, فَإِنْ نَطَقتُ يَقولونَ حَسَد، وَإِنْ سَكتُّ يقولون جَزَعَ ابنُ أَبي طالِبٍ مِنَ المَوتِ, هَيهاتَ هَيهاتَ إلى السّاعةِ يُقالُ هذا! وَأَنا المَوتُ المُميت, وخَوّاضُ المَنايا فِي جَوفِ لَيلٍ حالِك, وأَنا حامِلُ السّيفّينِ الثّقيلَينِ وَالرُمحَينِ الطّوَيلَين، وَ مُنَكّسُ الرَّايَاتِ في غَطامِطِ الغَمَرات، وَ مُفَرّجُ الكُرُباتِ عَنْ وَجهِ خَيرِ البَرياتِ، انتبهوا فَوَاللهِ لابنَ أَبي طَالِب آنَسُ بِالمَوتِ مِنْ الطّفِلِ بِمَحالِبِ أُمّهِ, هَبَلَتكُمُ الهُوابِل, لَو بُحتُ بِما أَنزَلَ اللهُ سُبحانَهُ فِيكُم لاضطَرَبتُم اضطِرابَ الأَرشِيةِ في الطَوى**

---

(٢٨٥) ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان :١٩٤.

(٢٨٦) ينظر : الاحتجاج:١/١١٥-١١٦.

البَعيدِ، وَ لَخَرَجتُم مِنْ بيوتِكُم هارِبينَ، وَعَلى وُجوهُكُم هائِمين، وَ لَكنّي أُهوَّنُ وَجدي حَتّى أَلقى رَبّي بِيدٍ جَذّاءَ صِفرٍ مِنْ لِذّاتِكُم، فَما مَثَلُ دُنياكُم عِندي إلاّ كَمَثَلِ غَيمٍ عَلا فَاستَعلى, وَ استَغلَظَ وَاستَوى, ثُمَّ تَمزَّقَ فَانجَلى, رُوَيداً فَعَن قَليلٍ يَنجَلي القَسطَل, وَتَجدونَ ثَمَرَ فِعلَكُم مُرّاً, وَ تَحصُدونَ غَرسَ أَيدِيَكُم ذُعافاً مُمقِرا, وَ سُمّاً قاتِلاً, وَ كَفى بِاللهِ حَكماً, وَ بِرَسولِهِ خَصماً، وَ بِالقِيامَةِ مَوقِفاً, فَلا أَبعَدَ اللهُ فِيها سِواكُم, وَ لا أَتعَسَ فِيها غَيرَكُم))[٢٨٧].

جاءت الافعال الكلامية في موقف الرد على الفتنة ، ومنعهم الزهراء (عليها السلام) إرث رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، الذي جعل الامام عليه السلام يبدأ خطابه بفعل الاخبار المتمثل بقوله (لكأني بكم تترددون في العمى تردد البعير في الطاحونه ...) ملفوظ انجازي اوضح فيه إصرار الذين ظلموا ال البيت عليهم السلام وترددهم في عميهم مشبها لهم بالبعير ودورانه حول محور الطاحونة ، ثم الزم نفسه بفعل العقد بالقسم بقوله (اما والله لو أُذن لي بما ليس لكم به علم ، لحصدت رؤوسكم عن اجسادكم) لكنّه غير مأمور بذلك ،وقوله (فإن نطقت يقولون حسد ،وإن سكتّ يقولون جزع ابن ابي طالب ...) فعل انجازي يدرج ضمن التعبيريات التي عبر فيها عن نفسه ،ثم ينتقل إلى التوجيهيات ،فيستعمل التوجيه بفعل الامر المتضمن معنى التذكير بصولاته وبطولاته (انتبهوا فوالله لابن ابي طالب آنس بالموت بمحالب أمه) وينهي خطابه بتوعدهم بجزاء صنيع ايديهم ،إذ قال (رويدا فعن قليل ينجلي القسطل ،وتجدون ثمر فعلكم مرا...) .

يلحظ أنّ متواليات الجمل الكلامية في النص تكاد لاتنفك إحداهما عن الأُخرى, فقد جاءت متساوقة منذ بدء الخطاب حتى نهايته, إذ تعاضدت هذه الجمل, وتسلسلت من الإخبار, والإلزام, والتعبير, والتوجيه والوعيد.., محققة مقصد مضمر غير مصرح به, وقد أفصحت عنه قرينة السياق, فتمثل عنوان النص الإجمالي بإنجاز فعلي التحذير والوعيد الذين استنطقا من الأَفعال الإنجازية الصريحة, إذ إنَّ استعمالاً لغوياً مثل استعمال القول الاستعاري يبدو أَكثر خصوبة فيما إذا تحقق بأفعالٍ إنجازية مع مراعاة أَنَّها ليست ملفوظات منعزلة بل مثلت كياناً متكاملاً[٢٨٨], ((إنَّ مثل هذه النظرية تقودنا إلى اعتبار الأعمال الأَدبية أَحداثاً كلامية بدل كونها أَفعالاً كلامية))[٢٨٩] ،تفضى إلى الكشف عن الغاية النصّية المتمثلة بفعلٍ واحدٍ ،أو المزاوجة بين فعلين أنجازيين .

ثانياً : هيمنة الفعل الإجمالي في النصّ :

---

(٢٨٧) مستدرك نهج البلاغة : ١٢٥-١٢٦ .

(٢٨٨) ينظر: تداولية النص الشعري جمهرة أَشعار العرب نموذجاً(أُطروحة دكتوراه): ١٥٧.

(٢٨٩) نفسه: ١٥٧.

هذه هي الفرضية الثانية التي تُعين المتلقي على تحديد الفعل الإجمالي, أَو الموضوع الكلي في النص, وتتكئ هذه الفرضية على تعيين الفعل الأَكثر حضوراً فيه, وهو ضرب من التكرار, ويمكن تطبيقه على الأَمثلة الآتية:

ما كتبه(عليه السلام) لزياد بن النضر, وشُريح بن هانئ عندما بلغه اختلافهما بعد دعوته لهما بالتوجه نحو النخيلة في وقعة صفين، وقد عقد لكلِّ واحد منهما على ستة الآف فارس[٢٩٠]:((**واعلما أَنَّ مقدمةَ القَومِ عُيُونُهُم, وَعُيونَ المُقدِّمَةِ طَلائِعُهُم, فَإياكُما أَن تَسأَما عَن توجيه الطَلائِع, ولا تَسيرا بالكتائب إلاّ بتعبئة وحَذَر, وإذا نَزلتُم فَليكن مُعَسكركُم في أَشرف المواضِع, يكن ذلكَ لَكُم حِصناً حَصيناً, وإذا غَشيكُم الليلُ فَحفّوا العَسكرَ بالرماح... وَما أَقمتم فَكذلك كونوا؛ لِئلا تُصابُ مِنكُم غرةً, واحرسا عسكركما بأنفسِكما, ولا تذوقا نوماً إلاّ غِراراً ومضمةً, وليكن عندي خَبركُما كلَ يومٍ, فإنّي – ولا شيء إلاّ ما شاء الله – حثيث السيرِ في إثركما, ولا تُقاتلا حتى أَقدَمَ عَليكما, إلاّ أَن تبْدَءا أَو يأتيكما أَمري إن شاء الله, فعليكما في حربكما بالتؤدةِ, وإياكما والعجلة, إلاّ أَن تُمكنكما فُرصةٌ بعد الإعذار والحُجة))**[٢٩١] .

ذكر الإمام (عليه السلام) سلسلة من الأَفعال الدالة على الأمر والنهي؛ لينتج من هذه المتوالية فعلاً كلامياً دالاً على التوجيه، إذ إنَّ مجموع هذه الأَفعال ارتبط بمقام التوجيه, وهذا من الوجهة التداولية يعد إنجازاً تاماً, وتمثلت صيغ الأَمر بالأَفعال الدالة عليه معجمياً, وبما ينوب عنها من أَسماء الأَفعال, فمن أَفعال الأَمر قوله: (واعلما, فَحفّوا, كونوا, واحرسا, وليكن) فهذه الصيغ المباشرة للأَفعال تدل على التوجيه بالأَمر المباشر إلى هذين القائدين, ولا يمكن في هذا المقام تجاهل العلاقة الجامعة بين هذه الأَفعال, إذ إنَّ انتظام سلسلة من الجمل مكونة من مجموعات متسقة لابدَّ مِن أَنْ تنسجم على وفق علاقة جامعة, وهذه العلاقة هي من يعطي صفة الانسجام لهذه الجمل[٢٩٢], فهي من يوجه الخطاب نحو وجهته المقصودة, وتتجلى هذه العلاقة في قصد التوجيه ووجود بعض الصيغ التي تدل على الإلزام تأخذ في الخطاب أُفقاً ينسجم مع فعل الأَمر تمثل ذلك في صيغ التحذير والإغراء في قوله:(فَإياكُما, فعليكما, وإياكما) قال الواحديّ(ت ٤٦٨هـ) في تفسيره لقوله تعالى:((ُّ ّ) [المائدة: ١٠٥] أمر من الله تأَويله: احفظوا أَنفسكم عن ملابسة

---

٢٩٠) ينظر: وقعة صفين، ابو الفضل المنقري:١٢٣، والأخبار الطوال، أبو حنيفة الدينوري، تح: عبد المنعم عامر، و د. جمال الدين الشيال:٦٦.

(٢٩١) مستدرك نهج البلاغة: ١٤١.

(٢٩٢) ينظر: النصّ والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي:١٥٠.

المعاصي))[٢٩٣], وهذا يدل على ما لهذه الصيغ من انسجام ودلالة تلتقي مع الأَمر, ولاسيما أَنَّها صادرة من جهة أَعلى مقاماً, وهو خليفة المسلمين أَمير المؤمنين علي (عليه السلام).

واتخذت أَفعال النهي دوراً مساعداً لأفعال الأمر في تحقيق الانسجام بين وحدات الفعل الكلامي الكلي الدال على التوجيه في كلام أَمير المؤمنين(عليه السلام), وتجلت بقوله:(لا تَسيرا بالكتائب, لا تذوقا نوماً, لا تُقاتلا), وكثيراً ما يتعلق فعلا الأَمر و النهي بالتعليل المراد منهما, و يأخذ التعليل دور الرابط في تحقيق الانسجام, وإبداء القصد من الفعل الكلامي وتحقيق الوحدة بين أَجزائه, ويرى فان دايك أَنَّ ((التنصيص على المعنى باللفظ من تلك المتواليات المنتظمة قد يؤدي معنى العلة و السبب, أَو اقتضاء بعض الأَحداث أَو تقريرها))[٢٩٤], ونلحظ ذلك في بيان أَمير المؤمنين (عليه السلام) ما لهذه الأَفعال من أَسباب فقوله:(وإذا نَزلتُم فَليكن مُعَسكركُم في أَشرف المواضِع, يكن ذلكَ لَكُم حِصناً حَصيناً) فالإمام (عليه السلام) يوجه قادته بفعل الإخبار إلى النزول في أَشرف المواضع أَي أَعلاها أَرضاً, قال الخليل(ت١٧٥هـ): ((والشَّرفُ: ما أَشرف من الأَرض, والمشرف: المكان تشرف عليه وتعلوه, مشارف الأَرض أَعاليها؛ ولذلك قالوا: مشارفُ الشّام, والشُّرفة: التي تشرَّف بها القصور، وجميعها: شُرفٌ))[٢٩٥], فالبديهي أَنَّ العسكر إذا كان في أَرض مرتفعة كان من الصعب على العدو أَن ينال منه؛ لأَنَّه مشرف على العدو, عارفاً بكل تحركاته فالإمام يعلل توجيهه بنزولهم في مكان مرتفع؛ ليكون ذلك حصناً آمناً لهم, وقوله (عليه السلام):(وإذا غَشيكُم الليلُ فَحفّوا العَسكرَ بالرماح... وَما أَقمتم فَكذلك كونوا؛ لِئلا تُصابُ مِنكُم غرةً), والأَمر هنا بإحاطة المعسكر بالرماح, ويعلل الإمام هذا الفعل بألّا تصاب منهم غرة, أَي أَن يكونوا مستعدين لأي مواجهة في أَي وقت, وهنا ارتبط فعل الأَمر بالعلة من ورائه, ومثلما كان فعل الأَمر دالاً على التعليل ومرتبطاً به, فكذلك نجد فعل النهي فقوله عليه السلام:(لا تَسيرا بالكتائب إلاَ بتعبئة وحَذَر), فالتعبئة والحذر هما من أَهم عناصر قيادة الجيش الناجحة, وإذا فُقِدَت التعبئة أَصاب الجيش الوهن والعجز عن القتال وإذا فُقِد الحذر أَخذهم الأَعداء من جانب لا يتوقعونه, فارتباط فعل النهي بهذه الأَسباب جعل منه فعلاً معللاً, وإنْ دخل هذا التعليل في سياق الإضمار, وقوله (عليه السلام): (ولا تذوقا نوماً إلاّ غِراراً ومضمةً) هو فعل كلامي يراد به التحذير من استحباب الراحة والاعتماد على الآخرين في أَن يكفيانهما أَمر مراقبة جيشهما, وسد ثغراته, ومواجهة مفاجئة العدو الذي يتربص بهم, فقد يداهمهم ليلاً أو نهاراً من حيث لا يعلمون, وقوله (عليه السلام) :(ولا تُقاتلا حتى أَقدُمَ عَليكما, إلاّ أَن تُبْدَءا أَو يأتيكما أَمري إن شاء الله), هو أَمر

---

(٢٩٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحد، تح: مجموعة محققين :٥٥٧/٧.

(٢٩٤) النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي:١٥٣.

(٢٩٥) العين، الخليل بن أَحمد الفراهيدي، تح : د.مهدي المخزومي و د.إبراهيم السامرائي ،(شرف):٢٥٢/٦.

يحذر فيه قادة الجيش من العجلة في مواجهة العدو, ويعلل ذلك باستثناء أَن يبدأَ جيش العدو بالمواجهة أَولاً, وحتى يقدم عليهما ثانياً.

ويلحظ ممّا تقدم أَنَّ هذه المتواليات من أَفعال الكلام وإن كثرت فإنَّها تختزل في فعل كلامي جامع هو التوجيه.

وتظهر هيمنة فعل التوجيه أيضاً فيما قاله واعظاً, وموصياً لكُميل بن زياد: **:((يا كُميل لا تَأخذ إلاّ عَنّا تَكُن مِنَّا, وما من حركةٍ إلاّ وأَنتَ محتاجٌ فيها إلى مَعرفة, يا كُميل قُلْ الحَقَّ على كلِّ حال وواصل المتقين, واهجرْ الفاسقين, وجانب المنافقين))**[٢٩٦].

بدأَ (عليه السلام) خطابه جامعاً ما بين فعلي النداء والنهي, وفي هذا المقام نحدد العلاقة الجامعة بينهما, إذ يجمع بينهما جامع واحد هو التوجيه, يأخذ النداء دوره التداولي في الجملة تبعاً لعناصره التي يتألف منها وهي: المنادي والمُنادى, ويأخذ المنادى الدور الأَهم في بيان الوظيفة التداولية للخطاب, فالعنصر المنادى ليس فاعلاً, ولا مبتدأً, ولا خبراً, فهو لا يمثل دوراً لواقع الحدث[٢٩٧], وهذا ما يعطيه جانباً تداولياً, زيادة على ذلك فإنَّ هذه الأَفعال تدل على إيقاعها مستقبلاً, وإذا أَضفنا جانباً آخر إلى جملة النداء ـ وهي خروجه عن مقتضى المعنى الذي وضع له ـ وهو إقبال المنادى فهذا يُكسِبهُ صفة الاستلزام لمعاني جديدة تدرك من السياق[٢٩٨].

وهذا ما نجده في كلام أَمير المؤمنين (عليه السلام), فالخطاب يُشير إلى أَنَّ كميلاً لم يكن بعيداً عنه فيناديه, بل أَراد بخطابه هذا تنبيهه, مستعملاً أُسلوب النداء, ومضيفاً إليه أَفعال الأَمر, وتجلت أَفعال الأَمر بقوله:(يا كُميل قُلْ الحَقَّ على كلِّ حال), فالإمام يوصي بأَن يكون المُخاطب ملتزماً بالحقّ, حتى لوكان على نفسه, وفيه ما يؤذيه؛ لأَنَّ في ذلك رضا الله وطاعته, وقوله :(وواصل المتقين) أَي كن على صلة بينك وبينهم, فهم لا يخرجوك من طريق الحقّ, وفي الخطاب توجيه إلى التزام هذه الصلة ومصاحبة هؤلاء القوم؛ فكما تورث صحبة الأَشرار شراً, تورث صحبة الأَخيار المتقين إيماناً وتقوى, وقوله: (واهجرْ الفاسقين, وجانب المنافقين) فيه نتيجة وتوكيد, أَمّا النتيجة فهي من فعل سبقت الإشارةُ إليه وهو مواصلة المتقين, فمن واصل المتقين هجر الفاسقين وهي نتيجة حتمية, وأَمّا التوكيد فقوله هذا يؤكد ما سبقه, وكأَنَّ هذه الأَفعال هي صورة لفعل واحد وهو التوجيه والإلتزام بأَخلاق الإسلام الحنيف, ففي هذا النمط من أَفعال الكلام يحاول المتكلم أَن

---

(٢٩٦) مستدرك نهج البلاغة: ٢٠٧.

(٢٩٧) ينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية: ١٦١.

(٢٩٨) ينظر: التداولية بين النظرية والتطبيق: ٣٣٥.

يجعل المتلقي يتصرف بطريقة متلائمة مع ما يقصده في خطابه[٢٩٩], فمع وضوح الدلالة التي يحملها الخطاب يصب في بوتقة فعل لغوي واحد, يسميه فان دايك البنية الشاملة الكبرى للخطاب[٣٠٠], فالبنية الشاملة الكبرى لهذا الخطاب التي تكونت من مجموعة أَفعال كلامية, هي التوجيه بالوعظ والإرشاد. ولما كان التنبيه من استعمالات النداء، يلحظ أنّ إنجازية هذا الفعل ثانوية (جزئية)، ومن هذا يُستشف أنه لا يمكن جعل فعل النداء من الأفعال الكلامية المفردة التي نادى بها دعاة هذه النظرية؛ لافتقار هذا الفعل إلى فعل واحد ـ على الأقل ـ ليصل المتكلم بوساطته إلى ما يريد.

ثالثاً : ذكر الهدف من النصّ :

من المحددات التي تُسهم في تعيين الفعل الإجمالي الكُلي وقصديته في النص, ذكر الهدف منه, فقد يعمد المتكلم إلى ذكر الهدف من النص, أَو الإشارة إليه عند إنجازه سلسلة من الجُمل, إذ ((تؤوَّل متوالية الأَفعال كفعل واحد إذا صحَّ تعيين غرض كلي واحد أَو هدف واحد))[٣٠١], وتكون الأَفعال المحيطة به أَفعالاً ثانوية, جاءت على نية خدمة المقصد الأَساس للنص وتقويته, ومن ذلك ما جاء في قوله (عليه السلام) وهو يتظلم من قريش:((**ما لَنا وَلِقُريش, وَما تُنكِرُ منّا, غَيرَ أَنّا أَهلُ بَيتٍ شَيَّدَ اللهُ بُنيانَنا, واختارنا عَلَيهم, فَعَرَّفناهُم الكِتابَ والسُنةَ, وَعَلَّمناهُم الفَرائِضَ والسُنن, وَدَيَّناهُم الدِينَ وَ والإسلام, فَوَثَبوا عَلَينا, وجَحدوا فَضلَنا, وَمَنَعونا حَقَّنا, اللهُم فإِنّي استَعديكَ على قُريش, فَخُذ لي بِحقّي مِنها, وَلا تَدع مَظلَمَتي لَها, إِنَّكَ الحَكَمُ العَدل, فإِنَّ قُريشاً صَغَّرت عظيمَ قَدري, وَاستَحلَّتْ المَحارِمَ مِنّي وَقالوا إِنَّكَ لَحَريصٌ مُتَّهَم, أَليسَ بِنا اهتَدَوا مِنْ مَتاهِ الكُفرِ, وَمِنْ عَمى الضَلالةِ, وَغي الجهالةِ, وَبي أُنقِذوا مِن الفِتنَةِ الظَّلماءِ, وَالمِحنَةِ العَمياء, وَيلَهُم! أَلم أُخَلِّصهُم مِن نِيرانِ الطُغاة, وَسُيوفِ البُغاةِ, وَ وَطأَةِ الأُسدِ؟ أَليس بي تَسنَّموا الشَّرف, ونالوا الحَقَّ والنَّصَف؟ أَلستُ آيةَ نبوةَ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ودَليلُ رِسالَته, وَعلامةُ رِضاه وَسَخَطِهِ, وَ بي كانَ يَبري جَماجِمَ البُهمِ وَهامَ الأَبطال؟ إذا فَزَعَتْ تَيمٌ إلى الفِرارِ, وَعديٌ إلى الانتِكاصِ, وَلو أَسلَمتُ قُرَيشاً للمَنايا وَالحُتوفِ لَحَصَدَتها سُيوفُ العَرازِم, وَوَطَأَتها خُيولُ الأَعاجِمِ, وَطَحَنتها سَنابِكُ الصَّافِناتِ وَحوافِرُ الصَّاهِلاتِ, عِندَ إِطلاقِ الأعنةِ, وَبريقِ الأَسنَةِ, وَلَما بَقَوا لِظُلمي, وَعاشوا لِهضمي, ولما قالوا إِنَّكَ لَحريصٌ مُتَّهم**))[٣٠٢].

---

(٢٩٩) ينظر: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي:٢١٨.

(٣٠٠) ينظر: النصّ والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي:١٨٤.

(٣٠١) نفسه: ٢٨٧.

(٣٠٢) مستدرك نهج البلاغة: ١١٣-١١٤.

بدأَ الإمام (عليه السلام) خطابه بالاستفهام متعجباً من أمر قريش؛ لإعراضهم واعتراضهم تفضيل الله تعالى آل بيت النبوة على قريش، وتمثّل بقوله(عليه السلام):(مالنا ولقريش، وما تنكر منّا، غير أنّا أهل بيت شيد الله بنياننا، واختارنا عليهم، وهل يحقُّ لهم أن يعترضوا على اختيار الله سبحانه تعالى، وتفضيله أهل البيت(عليهم السلام) على الناس أجمع؟, ثم عطف (عليه السلام) استفهامه مخبراً عن فضائلهم المتمثلة ببيان تعاليم الدين الإسلامي التي أخرجتهم من الظلمات إلى النور، لكنها قوبلت بالجحود، إذ نقموا ممّن اختارهم الله سبحانه ظلماً وعدواناً، فيكون الإخبار قد خرج إلى معانٍ قصدها الإمام، وهي التظلم من قريش ومعاداتها له، حتى اشتمل خطابه بالدعاء على قريش، وقد بثَّ دعواه بألفاظٍ إخبارية وإنشائية تمثلت بأسلوبي الأمر والنهي؛ لما فعلوه به، وما قالوا عليه بأنك لحريص منهم، وقد كانت هذه الملفوظات الباعث على ذكر هذه المتوالية الإنجازية، فجمع فيها أفعالاً نصّت على وجود وقائع وأحداث سياسية واجتماعية، لدفع التهمة عنه، وبيان منزلته منهم، ومنزلتهم عنده، ثم يعود(عليه السلام) مرة أخرى لأسلوب الاستفهام؛ ليوضح به الحقد الذي حقدته عليه قريش بردِّهم الإحسان بالإساءة:(أ ليس بنا اهتدوا من متاه الكفر ...؟ ألم اخلّصهم من نيران الطغاة وسيوف البغاة ووطأة الأسد؟ أليس بي تسنمّوا الشرف...؟ ألست آية نبوة محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)...؟)، وهذا الاستفهام استفهام إنكاري تقريري تعجبي من صنع قريش، فكان الأجدر بهم أن يقابلوه بالإحسان لا بالإساءة، إذ كان (عليه السلام) في طليعة المتصديين لرؤوس الكفر، وقتل صناديد العرب دفاعاً عن الإسلام والمسلمين، ولم يحظَ بهذا الشرف غيره. وهذا ما شهدته المواقف القتالية في أُحد، وخيبر، والخندق وغيرها، فلولا وجوده وتصديه، لانكسرت شوكة المسلمين في تلك المعارك، ولما أبقت عليهم الأعداء من باقية، وهذا ما مثّله قوله الأخير في النصّ الذي عُني بالإخبار عن حقائق واقعية، إذ لو ترك أمر الدفاع عن الإسلام، لتخطفهم الناس من حولهم ـ من العرب والعجم ـ الذين كانت لهم سطوة على جزيرة العرب، ولو تركهم يُقتلون على أيدي هؤلاء لما عاشوا، وافسدوا الناس عليه برميهم التّهم، وزرع الفتن. إذ إنّ لهذه الانتقالات بين الأساليب والعدول فيها يخضع القانون الأنفع أو الأجدى في إيصال الفكرة من الخطاب[٣٠٣].

ولعلَّ المتمعن في أسلوب الاستفهام الوارد في النصّ يلحظ أنّه لم يخلُ من الإحالة التي يُراد بها((العلاقة القائمة بين العبارة اللغوية، والشخص أَو الشيء التي تُحيلُ عليه في الواقع العالم الخارجي))[٣٠٤], وقد اتخذت الإحالة في النص صورتين: إحالة خاصة, وإحالة مقارنة[٣٠٥].

---

(٣٠٣) ينظر: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة:٩٦.

(٣٠٤) اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، د.أحمد المتوكل:١٩, وينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:١٧.

(٣٠٥) ينظر: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري: ١٩, و لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:١٩.

والإحالات الخاصة تجلَّت في كل عبارات الاستفهام, ومن ذلك قوله (عليه السلام): (أَليسَ بِنا اهتَدَوا مِنْ مَتاهِ الكُفرِ) فالإحالة هنا خاصة تشير إلى النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وإليه, ولاسيما أَن الإحالة تكون بالضمائر, والضمير بحسب ما ذكره النحويون نائب عن الاسم الظاهر[٣٠٦], وكذلك برزت الإحالة في قوله:(أَلم أُخَلِّصهُم, أَليس بي تَسنَّموا الشَّرف, أَلستُ آيةَ نبوةِ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم), وقوله في الشرط, وَلو أَسلَمتُ قُرَيشاً للمَنايا وَالحُتوفِ) فكل هذه العبارات تُحيل إلى ضمير المتكلم أَنا, وهذا النمط من الإحالة يسمى بالإحالة الخاصّة, وقد عبّر عنها أَحمد المتوكل بقوله: ((تُعدُّ عبارة عامة كلُّ عبارة تُحيل على مجموعة من الأَشخاص, أو من الأَشياء, في حين تُعد عبارة خاصة كلُّ عبارة تُحيل على فرد,(شخص أو شيء))[٣٠٧].

والإحالة المقارنة فتمثلت بالتجليات المقامية للخطاب, إذ يعقد الإمام مقارنة بين مواقفه ومواقف قريش من الإسلام.

فتمثلت سلسلة الأفعال المذكورة في النصّ وظيفة مساعدة القصد الكلي منه، إذ أنتج فعلاً إجمالياً متمثلاً بالشكاية من قريش واتهامهم له(عليه السلام) .

المبحث الثّالث: تمثلات الفعل الكلامي الإجمالي :

تنطلق رؤية الباحثة من تصوّر لما تنتجه متوالية خطابية تتألف من ثلاثة أَفعال كلامية أَو أَكثر من ذلك؛ إذ تؤلف هذه المتوالية بالنتيجة فعلاً كلامياً واحداً, بالاعتماد على هذا الكم من الأَفعال, ويطلق فان دايك على هذا النمط من الاستنتاج البنية الكبرى الشاملة وفي ذلك يقول: ((إنَّ مفهوم البنية الكبرى الشاملة يمكن- بدل ذلك – أَن نتناوله من وجهة نظر عينية مشخصة, أَعني تفسير المعنى البديهي الحدسي للفظ الموضوع))[٣٠٨], أي الخروج بخلاصة تنتهي إلى فعل كلامي واحد مستخلص من مجموع الجمل المكونة للخطاب. فالخطاب – على هذا الأساس- وحدةٌ لغوية أَشمل من الجملة، فهو نظام من الملفوظات يتحدد مفهومه في اللغة بناء على التلفظ, أَو العلاقة بين طرفين: مخاطِب ومخاطَب، وإذا كان الخطاب ما يُتَلَفَّظ به, فإنَّ هذا يعني أَنَّه قد يكون

---

(٣٠٦) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك :٨٤/٢.

(٣٠٧) اللسانيات الوظيفية مدخل نظري: ١٩.

(٣٠٨) النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي:١٨٥.

جملة، أَو فقرة، أَو نصاً، أَي إنَّ الاعتبار الكمي لا دخل له في تحديده، فقد يغدو الخطاب جملة واحدة، أَو مجموعة من الجمل(٣٠٩).

وعلى وفق هذا سندرس أَحاديث أَمير المؤمنين بصورة إجمالية مستخلصين من الأَفعال الكلامية الثلاثة، والأربعة الواردة في الخطاب ما يدل على فعل كلامي واحد.

أولاً: فعل كلامي إجمالي يدل على التوجيه للطاعة :

قال أَمير المؤمنين (عليه السلام) في كتابٍ له يرد على معاوية بن أَبي سفيان:((**وأما قولك إنَّ أَهلَ الشامِ هُم الحُكماءُ على الناس، فهات رجُلاً مِن قُريشِ الشامِ يَقبَلُ في الشُورى أَو تَحِلُّ لَهُ الخلافةُ، فإن سَمَّيتَ كَذّبَكَ المُهاجِرونَ و الأَنصار، وَ إلاّ أَتَيتُكَ بِهِ مِن قُريش الحجاز, وَ أمّا قُولُك: ندفَعُ إليكَ قَتَلَةَ عُثمان! فَما أَنتَ و عُثمان، إنَّما أَنتَ رَجُلٌ مِن بَني أُميّة، وَ بَنو عُثمان أَولى بذلكَ مِنكَ، فإن زَعمتَ أَنَّكَ أَقوى على ذلك, فادخُلْ في طاعتي ثُمَّ حاكِم القُومَ إليَّ, وَ أَمّا تَمييزُكَ بَينَ الشامِ و البَصرةِ, وَ بَينَكَ وَ بَينَ طَلحةَ وَ الزُّبير فَلِعَمري ما الأَمرُ هُناكَ إلاّ واحِد، لأَنَّها بَيعةٌ عامّة, لا يُستَثنى فِيها الخَيارُ، وَلا يُستَأنَفُ فيها النَظر, وَأَمّا فَضليَ في الإسلامِ, وَ قَرابتي مِنْ رَسولِ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وَ شَرَفي في قُريش فَلِعمري لو استطعتُ دَفعَهُ لدفعته**))(٣١٠).

يجد المتأَمل في هذا الخطاب أَنَّه بُني على أربعة أَفعال كلامية, أَوّلها الإخبار, وثانيها الأَمر المتمثّل باسم الفعل (هاتِ), وثالثها الاستفهام, ورابعها القَسم, وقد تداخل في أَول الخطاب الأَمر مع الإخبار, وقد تجلى ذلك بقوله :(وأما قولك إنَّ أَهلَ الشامِ هُم الحُكماءُ على الناس، فهاتِ رجُلاً مِن قُريشِ الشامِ يَقبَلُ في الشُورى, أَو تَحِلُّ لَهُ الخلافةُ، فإن سَمَّيتَ كَذّبَكَ المُهاجِرونَ و الأَنصار، وَ إلاّ أَتَيتُكَ بِهِ مِن قُريش الحجاز), يحمل هذا الإخبار دلالة ذات وجهين وهي دلالة متحققةٌ في الخطاب, أَمّا الدلالة الأُولى فهي دلالة النفي ذلك أَنَّه (عليه السلام) أَراد بها نفي صدق معاوية, وادعائه أَنَّ أَهل الشام حُكماء الناس، وهو قول يتضمن نفي حُجّة الطرف المُخاطب, وتسفيه رأَيه بالدليل, وإظهار عجزه, وهذه الدلالة نتجت بتلاحم الإخبار مع الأَمر المتمثل في قوله: (هاتِ), أَمّا الدلالة الثانية فهي دلالة إثبات حُجة المتكلم وبيان صدقه, فيلحظ هنا أَنَّ الارتباط ما بين الإخبار

---

(٣٠٩) ينظر:الجملة والخطاب قراءة في علوم القرآن، د. محمد عبد الباسط عيد، http://www.arrafid.ae/arrafid/p15_8-2011.html

(٣١٠) مستدرك نهج البلاغة: ١٧٩.

وفعل الأَمر خرج إلى معنى التنقيص والازدراء, فالقرائن السياقية والمقامية والحالية تشير إلى ذلك .

وقوله عليه السلام:(وَ أمّا قُولُك: ندفَعُ إِليكَ قَتَلَةَ عُثمان! فَما أَنتَ و عُثمان، إِنَّما أَنتَ رَجُلٌ مِن بَني أُميّة، وَ بَنو عُثمان أَولى بذلكَ مِنكَ) فعل الكلامي يُراد به بيان شأن المتلقي والاستهزاء به, فالاستفهام في أَصل وضعه لطلب علم يجهله المتكلم, لكنه يخرج كثيراً لأَغراض يتطلبها السياق, ((عندما يخرج الاستفهام عن معناه الأَصلي للدلالة على ضآلة المسؤول عنه وصغر شأنه, مع معرفة المتكلم أَو السائل به،... والاحتقار فيه إظهار حقارة المُخاطَب, وإظهار اعتقاد صغره))[٣١١], وفي هذا الخطاب يختلط الاستفهام مع التعجب, فأَمير المؤمنين يعجب من مطالبة معاوية بدم عثمان, وأولياء عثمان أَولى بالمطالبة, ففي أُسلوب الاستفهام حثٌّ للمتلقي أَن يعيد النظر فيما تبناه من رأَي، أو قضية وهذا يعطي هذا الأُسلوب نوعاً من التوجيه لإحداث أَثرٍ في المتلقي ((أَما الاستفهام ففيه بعث على النظر, والتأمل وحثٌّ على التفكير والتدبر, حتى يتبين المُخاطَب وجه الخطأ فيقلع عنه ويبتعد))[٣١٢], و أَعمل الإمام أُسلوب التوكيد بالقصر بإنَّما في خطابه الذي وجهه إلى معاوية, والقصر بإنَّما يكون للعالم بالأمر, لا لمن يجهله قال الجرجانيّ: ((اعْلم أنَّ موضوعَ إنَّما على أَن تجيءَ لخَبرٍ لا يجهله المخاطَب ولا يدفع صحته، أَو لما يُنزَّلُ هذه المنزلة, تفسيرُ ذلك أَنكَ تقولُ للرجل: إِنَّما هو أَخوك, و إِنَّما هو صاحبك القديم لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفَع صحته، و لكن لِمن يَعْلَمُه ويُقِرُّ به إِلاَّ أَنَّك تريد أَنْ تُنَبِّهَهُ للذي يجب عليه من حقِّ الأَخِ, وحُرْمةِ الصاحبِ))[٣١٣]، وهذا يوضح لِمَ أَعمل الإمام هذا الأُسلوب من دون غيره؛ لأَنَّ فيه ما يبعث على التوجيه للقيام بالطاعة وترك النفاق والكذب.

واتخذت أَفعال الأمر في خطابه (عليه السلام) صورة للأمر المباشر, باستثناء الفعل (هات) الذي سبقت الإشارة إليه, إذ تضمن معنى التعجيز, وتمثل ذلك بقوله :(فادخُل في طاعتي ثم حاكِم القوم).

والإخبار كان تمثيلاً صادقاً، ودقيقاً, ووصفاً لأَحداث وقعت بالفعل, وقد عبّر سيرل عن ذلك بقوله ((هي أن نُقدم الخبر تمثيلاً لحالة موجودة في العالم))[٣١٤], ويدخل في الإخبار الوصف, والتصنيف, والتفصيل للأَحداث, وقد تجلى ذلك بقول أَمير المؤمنين:(إِنَّ أَهلَ الشامِ هُم الحُكماءُ

---

(٣١١) علم المعاني، عبد العزيز عتيق:١٠٠.

(٣١٢) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيود:١٤٠/٢.

(٣١٣) دلائل الإعجاز: ٣٢٧-٣٢٨.

(٣١٤) العقلو اللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي: ٢١٧.

على الناس، فإن سَمَّيتَ كَذّبَكَ المُهاجِرونَ و الأَنصار، ...) فكل ما ذكره الإمام كان وصفاً وتصنيفاً دقيقاً, ومعاوية يعلم كل هذه الأَشياء, فيكون الإخبار بها قد خرج من معناه الذي وضع له؛ ليدخل فيما يُسمى عند علماء البلاغة بـ(لازم فائدة الخبر)[٣١٥], أي إنَّ المُخاطب يعلم فحوى الخبر, لكنه متعنت, أو مستبد برأيه, وهذا ما أَراده الإمام في إِخباره لمعاوية بحقائق معلومة؛ لينزل على حكم ولي أمر المؤمنين، ويذعن لطاعته.

والفعل الكلامي الرابع هو القَسم, وقد ورد في كتاب الإمام (عليه السلام) في موضعين وذلك في قوله:(فَلِعَمري ما الأَمرُ هُناكَ إِلاّ واحِد؛ لأَنَّها بَيعةٌ عامّة, ... , فَلِعمري لو استطعتُ دَفعَهُ لدفعته).

والقسم عند علماء البلاغة العربية يدخل ضمن مؤكدات القول, قال ابن الأَثير:((وإنما يرد القسم في موضع يؤكد به المعنى المراد، إما أَنَّه ممّا يشك فيه، أَو مما يَعز وجوده، أَو ما جرى هذا المجرى))[٣١٦], وعلى وفق ما تقدم يكون القَسم الأول في خطاب الإمام للتأكيد على أَنَّ بيعته كانت بيعة حقّة و واجبة، دخل فيها كلُّ المسلمين, فكان لزاماً على معاوية أَن يدخل فيها أما القَسم الثاني فهو يدخل فيما يعزُّ وجوده ويستحيل, وهو التنصل من القرابة برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم), فهذا الأَمر لا يمكن إنكاره, أَو التبرؤ منه بحال من الأَحوال, وهذا ما أراده امير المؤمنين (عليه السلام).

ويلحظ من الكتاب المرسل لمعاوية أَنَّه مشتمل على أربعة أَفعال كلامية أَعطى صورة مجملة عن فعل كلامي واحد على وفق رؤية فان دايك, هو فعل الأَمر المتمثل بالتوجيه نحو طاعة ولي أمر المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) الخليفة الشرعي بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

ثانياً: فعل كلامي إجمالي يدل على الوعيد:

كتب (عليه السلام) كتاباً إلى الخارجين عن طاعته من أَهل اليمن جاء فيه:((**مِنْ عَبدِ اللهِ عليّ أَميرِ المؤمنين إِلى مَنْ شَاقَّ وَغَدَرَ مِنْ أَهلِ الجُندِ وَصَنعاء, أما بَعدُ, فإِنَّي أَحمد اللهَ الذي لا إِلهَ إِلاّ هُو, الذي لا يُعقَبُ لَهُ حُكمٌ, وَ لا يُرَدُّ لَهُ قَضاء, وَ لا يُرَدُّ بأَسُهُ عَن القومِ المُجرمين، وَ قَد بَلَغَني شِقاقُكُم وَ إِعراضُكُم عَن الدينِ بَعدَ الطاعةِ, وَ إِعطاءِ البَيعةِ فَسألتُ أَهلَ الدينِ الخالص, وَ الوَرَعِ الصّادِق, وَ اللُبِّ الراجح، فَحُدِّثْتُ عَن ذلكَ بِما لَم أَرَ لَكُم في شيءٍ مِنهُ عُذراً مُبيناً، وَ لا**

(٣١٥) ينظر: مفتاح العلوم:١٦٦.

(٣١٦) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأَثير، تح: أحمد الحوفي و بدوي طبانة :٢/٢١٤.

مَقالاً جَميلاً, وَ لا حُجَّةً ظاهرةً، فإذا أَتاكُم رَسولي فَتَفرقوا وَ انصرفوا إلى رَحالِكُم، أَعفُ عَنكُم, وَ أَصفَحُ عَن جاهِلكُم, وَ أَعمَلُ فِيكُم بِحُكمِ الكِتاب، وَإنْ لَم تَفعلوا, فاستَعدوا لِقدومِ جَيشٍ جَمّ الفُرسانِ، عَظيمِ الأَركانِ, يَقصدُ مَن طَغى وَ عَصى؛ فَتُطحَنوا طَحنَ الرَّحى، فَمَن أَحسَنَ فَلِنَفسِهِ, وَ مَن أَساءَ فَعَلَيها ﴿ ﴾ **[فصلت: ٤٦]))**[٣١٧].

تضمن خطاب أمير المؤمنين (عليه السلام) مجموعة من أَفعال الكلام تنوعت بين الأمر, والوعد, والإخبار, وقد برزت معالم الخطاب وفحواه من مقدمته التي دلت على الوعيد, وذلك في قوله :(مِنْ عَبدِ اللهِ عليٍ أَميرِ المؤمنين إِلى مَنْ شَاقَّ وَغَدَرَ مِنْ أَهلِ الجُندِ وَصَنعاء) فالقرائن السياقية هي من أعطى دلالة الوعيد لهذا الخطاب, وإذا ما تأملنا فيها وجدنا أُناساً خرجوا عن طاعة ولي الأمر, وأرادوا تقويض دولة الإسلام[*], وإثارة الفتنة فكان هذا الرد من أَمير المؤمنين, الذي بدأَ أَوله بالوعيد, والتنبيه لهم مما وقعوا فيه من الفتنة, ثم تلى أَمير المؤمنين خطاباً يصنف من التعبيريات وهو قوله:(فإنَّي أَحمد اللهَ الذي لا إِلهَ إلاّ هُو, الذي لا يُعقَبُ لَهُ حُكمٌ, وَ لا يُرَدُّ لَهُ قَضاء, وَ لا يُرَدُّ بأَسُهُ عَن القومِ المُجرمين), إذ ينضوي تحت صنف التعبيريات (السلام, والحمد, والشكر, والتعزية والثناء...), فالمتكلم بمجرد التلفظ بألفاظ مخصوصة متعارف عليها في مجتمعٍ لغوي, وفي سياق خاص يكون قد أنجزَ فعلاً كلامياً من صنف التعبيرات, وتتضمن خطابات الوعد أساليب كثيرة, والسياق هو الفيصل في تحديد ماهية ذلك الوعد, فقد يكون وعداً بالمجيء إذا قال أحدهم سآتي غداً, لكنَّ هذا الخطاب نفسه قد يكون وعيداً, إذا ماقيل في سياق آخر, كأَن يُقالَ بعد مشاجرة بين شخصين, والسياق الذي سبقت الإشارة إليه يدلُّ بوضوح لاشكَّ فيه أنَّ الإمام (عليه السلام) كان يهدد متوعداً الخارجين عن طاعته, وقد ضمن قوله إشارة بذلك وهو قوله :(وَ لا يُرَدُّ بأَسُهُ عَن القومِ المُجرمين) قال أَبو هلال العسكريّ:((الإشارة أن يكون اللفظ القليل مشاراً به إلى معانٍ كثيرة، بإيماءٍ إليها ولمحة تدل عليها))[٣١٨], والإشارة والإيماء لا يدلان على خفاء تام[٣١٩], بل يجعلهما المتكلم دليلين على ما يريد إيصاله إلى المتلقي, وهذا ما أراده أَمير المؤمنين من معنىً

---

(٣١٧) مستدرك نهج البلاغة: ١٩٠-١٩١.

(*) لابد من الإشارة هنا إلى مناسبة النص, وسياق الخطاب, إذ إنَّ بعض أهل اليمن خرجوا عن طاعة أمير المؤمنين, وقد ذكر ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة ما يخص هذه الحادثة بقوله: ((إنَّ قوماً بصنعاء اليمن كانوا من شيعة عثمان يعظمون قتله ، لم يكن لهم نظام و لا رأس ، فبايعوا لعلي عليه السلام على ما في أنفسهم ، و عامل أمير المؤمنين على صنعاء يومئذ عبيد الله بن العباس ، و عامله على الجند سعيد بن نمران، فلما اختلف الناس على علي عليه السلام بالعراق و قتل محمد ابن أبي بكر بمصر ، و كثرت غارات أهل الشام ، تكلموا و دعوا إلى الطلب بدم عثمان)): ينظر شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة : ٤/٢.

(٣١٨) الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال العسكريّ، تح: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم:٣٤٨.

(٣١٩) ينظر: مفتاح العلوم :٤١١.

تضمنه الخطاب, فما تضمنه الخطاب من إشارات, وعبارات صريحة تشكل محوره الأَساس في بيان الوعيد قال أَحمد المتوكل: ((نُذَكِّرُ بأَنَّ الوظيفة التداولية المحور, هي الوظيفة التي تُسنَدُ حسب مُقتضيات المقام إلى الحدِّ الدال على الذات التي تُشكل محط الحديث))[٣٢٠], فعلى وفق هذا تتضح ماهية الخطاب من عتبته الأُولى وهو الوعيد.

والإخبار فقد تجلى بقوله (عليه السلام): (وَ قَد بَلَغَني شِقاقُكُم وَ إعراضُكُم عَن الدينِ بَعدَ الطاعةِ, وَ إعطاءِ البَيعةِ فَسألتُ أَهلَ الدينِ الخالص, وَ الوَرَعِ الصّادِق, ...), مما لاشكَّ فيه أَنَّ وظيفة الإخبار تتضمن وصفاً تاماً لما يريد المتكلم بيانه وينضوي تحتها التصنيف, والتفسير[٣٢١], وبيان الحقائق, والتعليل, وقد أَوضح الإمام (عليه السلام) في هذا الإخبار رأيه في خروج أَهل اليمن على حكومته, ووصفه بأَنَّه شقاق وخروج عن الدين, وطاعة ولي الأَمر, وقد حَمَّلَ إَخباره وظيفة تدلُّ على الوعيد, إذ أَظهر ما سيؤول إليه أَمرهم, بعد مشاورة أَهل الدين والصلاح, بأَن يكون القتال هو الحل الذي سيقطع دابر هذه الفتنة.

وتضمن فعل الوعد والوعيد في قوله (عليه السلام): (فإِذا أَتاكُم رَسولي فَتَفرقوا وَ انصرفوا إلى رَحالِكُم، أَعفُ عَنكُم, وَ أَصفَحُ عَن جاهِلكُم, وَ أَعمَلُ فِيكُم بِحُكمِ الكِتاب, وَإِنْ لَم تَفعلوا فاستَعدوا لِقدومِ جَيشٍ جَمّ الفُرسانِ، عَظيمِ الأَركانِ, يَقصدُ مَن طَغى وَعَصى؛ فَتُطحَنوا طَحنَ الرَّحى، فَمَن أَحسَنَ فَلِنَفسِهِ, وَ مَن أَساءَ فَعَلَيها), وقد اجتمع الوعد والوعيد في صورة أُسلوب الشرط المُصرّح به في خطابه (عليه السلام), وما يُلحظُ في الوعد والوعيد أَنَّهُ أُسلوبٌ يعمل على الاستقبال, أَي ما سيأتي من الزمان, لأَنَّ وقوعه مقترن بما ينتج من الطرف الآخر من قول أَو فعل, قال السبكي: ((أَما (إنْ و إذا) فقال: إنَّ كُلاً منهما للشرط في الاستقبال, يعنى أَنَّ فعل الشرط فيهما لا بد من أَن يكون مستقبل المعنى سواء كان ماضي اللفظ أَم مضارعه))[٣٢٢], فالجزاء بالوعد الذي تجلى بقوله:(فإِذا أَتاكُم رَسولي فَتَفرقوا وَ انصرفوا إلى رَحالِكُم، أَعفُ عَنكُم, وَ أَصفَحُ عَن جاهِلكُم, وَأَعمَلُ فِيكُم بِحُكمِ الكِتاب) يمثل فعلاً كلامياً إنجازياً ناجحاً على وفق مقاييس التحليل التداولي؛ إذ إِنَّ من أَهم عناصر نجاح الفعل الكلامي شرط الصدق في المحتوى, وكل القرائن تثبت ذلك, والأَمر الآخر إذا تأملنا التركيب النحوي للخطاب نجد أَنَّ إِذَا تُفِيدُ تأكيد مضمون الشرط، زيادة على صيغة الشرط وما تضمنته من تأكيد للفعل الكلامي, فنجد أَفعالاً بصورة مباشرة من صنف الانفاذيات، أَو الأمريات, وهي صيغ الأَمر في قوله:(فَتَفرقوا, انصرفوا) مثلت هذه الصيغ مقدمة لفعل الوعد الذي

---

(٣٢٠) اللسانيات الوظيفية مدخل نظري: ٢٥٢.

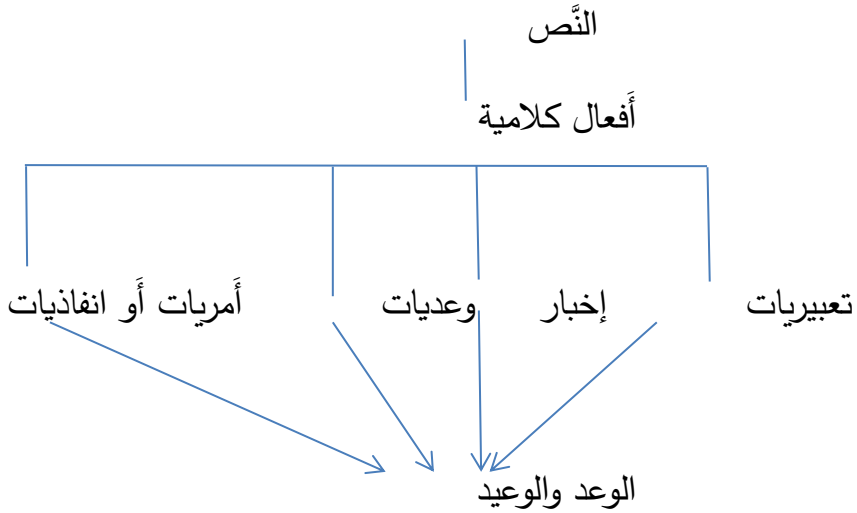
(٣٢١)العقل و اللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي: ٢١٧.

(٣٢٢) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكيّ، تح: د. عبد الحميد هنداوي:١/٣٢٢.

جاء بعدها في قوله:(أَعفُ عَنكُم, وَ أَصفَحُ عَن جاهِلِكُم وَأَعمَلُ فِيكُم بِحُكمِ الكِتاب), فهذا الخطاب هو فعل كلامي يمثل فعل الوعد الصريح لهم بالعفو والصفح عن المذنبين منهم, والعمل فيهم بما أَراد الله.

وقوله (عليه السلام):(وَإِنْ لَم تَفعلوا فاستَعدوا لِقدومِ جَيشٍ جَمّ الفُرسانِ، عَظيمِ الأَركانِ يَقصدُ مَن طَغى وَ عَصى؛ ...)، فيمثل محور الخطاب, فالقرينة السياقية تدل على ذلك؛ لأَنَّهم عصوا وخرجوا على حكم خليفة المسلمين, فجاء هذا الخطاب في صورة تهديد ووعيد لهم على ما اقترفت أيديهم من العصيان, وبما أَنَّ هذا الصنف من الأَفعال الكلامية, أي الوعديات هي مما يُلزم المتكلم نفسه للقيام بعمل ما في المستقبل[٣٢٣], فالفعل الكلامي ناجح من حيث الإنجاز على وفق الظروف المقامية.

ويمكن على وفق ما تقدم أن نُجمل عملية تأدية الفعل الكلامي المُنجز من مجموعة أَفعال على وفق الخطاطة الآتية:



ثالثاً: فعل كلامي إجمالي يدل على الترغيب:

صعد أَمير المؤمنين (عليه السلام) المنبر، فخطب الناس؛ ليدعوهم إلى الجهاد، فبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم قال:((**إِنَّ اللهَ أكرَمَكُم بِدينِهِ, وخَلَقَكم لِعبادتِهِ, فَانصِبوا أَنفُسَكُم في أَداءِ حَقِهِ, وتَنَجَّزوا مَوعدَهُ, وَاعلَموا أَنَّ اللهَ جَعَلَ أَمراسَ الإِسلامِ مَتينةً, وَعُراهُ وَثيقَةً، ثُمَ جَعَلَ الطاعَةَ حَظَّ**

(٣٢٣) ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة، عادل فاخوري:١٢٠.

الأَنفُسِ, وَغَنيمَةَ الأَكياسِ عِنْد تَفريطِ العَجَزةِ, وَنَحنُ سائرونَ- إِنْ شاءَ اللهُ - إلاّ مَنْ سَفَه نَفسَهُ, وَتَناولَ ما لَيسَ لَهُ، وإلى جُندِهِ الفئةِ الطّاغيةِ الباغيةِ يَقودُهُم إبليس, وَيَبرقُ لَهُم بِبارقِ تَشويقهِ وَيَدُلُّهُم بِغُرورِهِ, وَأَنتُم أَعلَمُ الناسِ بالحَلالِ وَالحَرامِ فَاستَغنوا بِما عَلِمتُم، وَاحذروا ما حَذَّرَكُم اللهُ مِنَ الشَّيطانِ، وارغَبوا فيما عِندَ اللهِ منَ الأَجرِ والكرامةِ واعلموا أَنَّ المَسلوبَ مَن سُلِبَ دينُهُ وَأَمانَتُهُ، والمغرورُ مَن آثر الضلالةَ على الهُدى، فَلا أَعرِفَنَّ أَحداً مِنكُم تَقاعَسَ، وقَالَ في غَيري كِفايةٌ، فإنَّ الذَّودَ إلى الذَّوْد إبْل، والنَّصْرُ مِنَ اللهِ))[٣٢٤].

ضمن هذا النمط من أَفعال الكلام يجعل المتكلم قوله يُحدِثُ تغيراً في الواقع, فينتقل الحال من السلام إلى الحرب مثلاً, ونجد أَمير المؤمنين بدأَ خطابه بالإِخبار, وقد يقترن الإِخبار بفعل الأَمر, سواء تقدم الفعل على الإِخبار أَو تأخر عنه؛ لغاية يقصدها المتكلم ويعمد إليها, نحو قوله تعالى: ﴿ لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾ [آل عمران: ١٣٣], وعلى وفق ما تقدم فقد أَعمل الإِمام (عليه السلام) هذا التداخل ما بين الفعل الكلامي المتمثل بالإِخبار, وبين الفعل الكلامي المتمثل بالطلب في صورة الأَمر, جاء ذلك في مواضع عدّة في خطبته فقوله (عليه السلام):(إِنَّ اللهَ اصطَفاكُم بِدينهِ, وخَلَقَكم لِعبادتهِ, فَانصِبوا أَنفُسَكُم في أَداءِ حَقهِ وتَنَجَّزوا مَوعدَهُ, وَاعلَموا أَنَّ اللهَ جَعَلَ أَمراسَ الإِسلامِ مَتينةً, وَعُراهُ وَثيقَةً), فقد بدأَ الإِمام بالإِخبار عن اصطفاء الله تبارك وتعالى لمن أَطاع الله ورسوله(صلى الله عليه وآله وسلم), وسار على نهج الإِسلام, وهذا الإِخبار ليس بخافٍ على المتلقين, لكنَّه (عليه السلام) أَراد أن يشجع جنده ومن والاه لملاقاة العدو, وبث الثبات في نفوسهم, فالمقام يشير إلى الفتنة التي انقسم فيها المسلمون بين مؤيد ومعارض لهذه الحرب, فكلا الفريقين يّدَّعون أَنَّهم على الحق, فكان هذا الإِخبار يمثل طمأَنةً لنفوس المرتابين والمتشككين في قتال جيش معاوية, فيكون القصد من الإِخبار رفع الشك والارتياب .

ثم إِنَّه (عليه السلام) أَعمل أَفعال الأَمر كقوله:(فَانصِبوا, تَنَجَّزوا, اعلَموا), وفعل الأَمر هنا أكثر تأكيداً للمعنى الذي يريده المتكلم, قال ابن الأَثير:((وكذلك يرجع عن الفعل الماضي إلى فعل الأَمر، إلاّ أَنَّه ليس كالأَول، بل إِنَّما يفعل ذلك توكيداً لما أُجري عليه فعل الأَمر لمكان العناية بتحقيقه)) [٣٢٥]، فأفعال الأَمر التي سُبِقَت بالإِخبار إِنَّما يُرادُ بها تأكيد استجابة المتلقين لجهاد الفئة الباغية المتمثلة بمعاوية وجنده, التي سيأتي ذكرها في خطابه, فقوله (عليه السلام): (فَانصِبوا أَنفُسَكُم في أَداءِ حَقهِ), فمن أَداء حق الله على العبد أَن يُقيمَ حدود الله, ومن ذلك حق الجهاد في سبيل الله, ومحاربة الفئة الباغية, قال تعالى:﴿ □ □ □ □ □ □ بج بحبخ ﴾ [الحجرات: ٩], وقوله (عليه السلام):(وتَنَجَّزوا مَوعدَهُ) فالتنجز هو الوفاء بالوعد, قال ابن منظور:((وَقَدْ أَنْجَزَ الوعدَ,

---

(٣٢٤) مستدرك نهج البلاغة: ١٤٣، وينظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة،أحمد زكي:١/٣٢٤.

(٣٢٥) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:٢/١٤٥.

ووَعْدٌ ناجِزٌ, ونَجِيزٌ وأَنْجَزتُه أَنا ونَجَزْتُ بِهِ)) [٣٢٦], أي أَوفوا بعهدكم الذي عاهدتم الله عليه, وهو إقامة حدوده والجهاد في سبيله, وفي سبيل رفعة دينه, وقوله(عليه السلام):(وَاعلَموا أَنَّ اللهَ جَعَلَ أَمراسَ الإِسلامِ مَتينةً) تضافر فيه فعل الأَمر مع الإخبار, وهذا التضافر فيما ترى الباحثة يُراد منه فعلٌ غير مباشر يقصد به الإخبار عن أَمرٍ ما, ربما أراد(عليه السلام) أن يقول إِنَّ الله تبارك وتعالى أَعزَّ دينه بكم وبأمثالكم, وهذا معنى قوله (أَمراسَ الإِسلامِ مَتينةً) فالأمراس جمع مرس وهو الحبل, قال الخليل:((المَرَسُ: الحَبْل، ويُسَمَّى مَرَساً لكثرةِ مَرْس الأيدي إيّاه))[٣٢٧], وهو ما أراده (عليه السلام) في خطابه, أي إن لم تنهضوا لنصرة دين الله ينصره الله بغيركم, وهذا فيما أَرى نمطاً من الاستلزام الحواري الذي يفهمه المتلقي من السياق, فاللغة تحمل من المرونة والاستدلال ما يجعلها تتجاوز الدلالة الظاهرة للخطاب الذي يتلفظ به المتكلم, لكنها تحمل وجهاً آخر يفهمه المتلقي ويستدل عليه من سياق الخطاب[٣٢٨], ثم تلا الإمام خطابه بالإخبار, وتمثل ذلك بقوله: (ثُمَ جَعَلَ الطاعَةَ حَظَّ الأَنفُسِ, وَغَنيمَةَ الأَكياسِ عِنْد تَفريطِ العَجَزةِ, وَنَحنُ سائرونَ– إِنْ شاءَ اللهُ – إلاّ مَنْ سَفَه نَفسَهُ, وَتَناولَ ما لَيسَ لَهُ، وإلى جُندِهِ الفئةِ الطّاغيةِ الباغيةِ يَقودُهُم إبليس, وَيَبرقُ لَهُم بِبارقِ تَشويقِهِ وَيَدُلُّهُم بِغُرورِهِ, وَأَنتُم أَعلَمُ الناسِ بالحَلالِ وَالحَرامِ).

فالإمام (عليه السلام) يُخبر لا لأَجل الإخبار, إنَّما أَراد أن يستنهضهم لما فيه صلاح الإسلام، والمحافظة على بيضته، وأشار إلى ذلك بقوله: (وَغَنيمَةَ الأَكياسِ) فالرجلُ الكيِّس هو من يقوم بذلك, ويسرع إليه, قال أبو هلال العسكري: ((الْكيس هُوَ سرعَة الْحَرَكَة فِي الْأُمُور وَالْأَخْذ فِي مَا يَعْنِي مِنْهَا دون مَا لَا يَعْنِي, يُقَال غُلَام كيس إِذا كَانَ يسْرع الْأَخْذ فِي مَا يُؤمر بِهِ وَيتْرك الفضول))[٣٢٩], وهذا ما أَراده الإمام منهم, وهم يعلمون هذا الأَمر فيكون الإخبار قد خرج إلى غاية أُخرى, هي التوجيه والأَمر غير المباشر للترغيب بالجهاد في سبيل الله ثم أَخبر(عليه السلام) أَنَّ معاوية وجنده هم الفئة الطاغية الباغية, وفي كلامه (عليه السلام) مصداق واضح، وإشارة بينة يعرفها المسلمون, وهي حديث رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) الذي خصَّ به عمار بن ياسر (رضي الله عنه) وبين فيه أَنَّ عماراً يُقتَلُ على يد الفئة الباغية[*], وهذه مدخرات حجاجية في

---

(٣٢٦) لسان العرب (نجز):٤١٣/٥.

(٣٢٧) العين (مرس) :٢٣٥/٧.

(٣٢٨) ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة: ١٧.

(٣٢٩) الفروق اللغوية:٨٥.

(*) عَنْ أَبِى نَضْرَةَ، عَنْ أَبِى سَعِيدٍ، قَالَ: (أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ، فَجَعَلْنَا نَنْقُلُ لَبِنَةً لَبِنَةً، وَكَانَ عَمَّارٌ يَنْقُلُ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَتَتَرَّبَ رَأْسُهُ، قَالَ: فَحَدَّثَنِى أَصْحَابِى، وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، أَنَّهُ جَعَلَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ، وَيَقُولُ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ سُمَيَّةَ، تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ) :ينظر: المسند الجامع: حققه ورتبه وضبط نصه، محمود محمد خليل:٤٨٣/٦.

الخطاب, القصد منها إقناع المتلقي, وزيادة ذلك الإقناع بذكر الحقائق التي لا مراء فيها, ولا تشوبها شائبة, وهو النص النبوي المقدس.

وأخبر الإمام (عليه السلام) أَنَّ هذه الفئة هي جيش إبليس؛ لأَنَّهم منغمسون في الضلالة ويقودهم البغي والفتنة, والخطاب يكشف الوظيفة التلاؤمية ما بين البغي والضلالة, وبين إسناد قيادة جيش معاوية إلى إبليس, فالجامع بين هذه وتلك الضلالة والكذب التي كان معاوية يسيطر بها على جند الشام, ويقودهم بها لقتال أَمير المؤمنين, بحُجة المطالبة بدم عثمان(*), ثم أَنَّ الإمام (عليه السلام) أَخبر أَصحابه أَنَّهم أَعلمُ الناسِ بالحلالِ والحرامِ وهذا الإخبار يتضمن جانبين, أما الجانب الأول مرتبط بما سبقه, أي إنَّكم تعلمون أَنَّ معاوية وجنده على باطل, ومطالبتهم بدم عثمان وتخاذها حُجّة للقتال وسفك دماء المسلمين هو مطلب حرام, وأنتم تميزون بين الحلال والحرام, والحقّ والباطل فكونوا مع الحقّ, أما الجانب الآخر للخطاب فهو وجه حِجاجيّ, اتخذ من صيغة أفعل التفضيل صورة من صور الارتقاء بالحُجج المقدمة للمتلقي؛ لإقناعه بالخروج للقتال واعطاء خروجه مشروعية مقدسة, من الربط بين ما هو حلال حقّ, وما هو باطل محرم, فالإمام في هذا المقام يوجه حُجةً إلى إصحابه أَنَّكم على بينة وهدى من أَمركم فلا يدخل الشك والارتياب إليكم في قتال معاوية وجنده؛ لأَنَّهم على باطل وأنتم على حقّ.

وبعد الإخبار وجّه أمير المؤمنين (عليه السلام) جملة من أَفعال الأَمر اتكأت على الإخبار السابق, وتمثل ذلك بقوله:(فَاستَغنوا بِما عَلِمْتُم، وَاحذروا ما حَذَّرَكُم اللهُ مِنَ الشَّيطانِ وارغَبوا فيما عِندَ اللهِ منَ الأَجرِ والكرامةِ, واعلموا أَنَّ المَسلوبَ مَن سُلِبَ دينُهُ وَأَمانَتُهُ والمغرورُ مَن آثر الضلالةَ على الهُدى، فَلا أَعرِفَنَّ أَحداً مِنكُم تَقاعَسَ).

فقوله (عليه السلام) : (فَاستَغنوا بِما عَلِمْتُم) مسبوق بإخبار وهو قوله: (وَأَنتُم أَعلَمُ الناسِ بالحَلالِ وَالحَرامِ) وهذا التواشج بين الإخبار والأمر يأخذ دور السبب والنتيجة المستخلصة منه, وهو بما أَنَّكم أَعلم الناس بالحلال والحرام, فالقتال واجب حلال عليكم, والدليل على ذلك قوله: (فَاستَغنوا بِما عَلِمْتُم) أي إنَّ قتالكم لهؤلاء القوم عن حقيقة وعلم وبيِّنة, وقوله: (وَاحذروا ما حَذَّرَكُم اللهُ مِنَ الشَّيطانِ وارغَبوا فيما عِندَ اللهِ منَ الأَجرِ والكرامةِ) مسبوق بإخبار وهو قوله: (يَقودُهُم إبليس, وَيَبرقُ لَهُم بِبارقِ تَشويقِهِ وَيَدُلُّهُم بِغُرورِهِ), فخطاب التحذير المتمثل بفعل الأمر سُبِقَ بإخبار عن الشيطان

(*) (وَمَضَى الرَّسُولُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ الطُّومَارَ، فَفَضَّ خَاتَمَهُ فَلَمْ يَجِدْ فِي جَوْفِهِ كِتَابَةً، فَقَالَ لِلرَّسُولِ: مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: آمِنٌ أَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ الرُّسُلَ آمِنَةٌ لا تُقْتَلُ، قَالَ: وَرَائِي أَنِّي تَرَكْتُ قَوْمًا لا يَرْضَوْنَ إِلا بِالْقَوَدِ، قَالَ: مِمَّنْ؟ قَالَ: مِنْ نَفْسِكَ، وَتَرَكْتُ سِتِّينَ أَلْفَ شَيْخٍ يَبْكِي تَحْتَ قَمِيصِ عُثْمَانَ وَهُوَ مَنْصُوبٌ لَهُمْ، قَدْ أَلْبَسُوهُ مِنْبَرَ دِمَشْقَ، فَقَالَ: أَمِنِّي يَطْلُبُونَ دَمَ عُثْمَانَ أَلَسْتَ مَوْتُورًا أَكْرَهُ قَتْلَ عثمان)) ينظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك : جمال الدين الجوزي ، تح: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا:٥/٧٦.

وإغوائه للناس, ثم الترغيب بما عند الله تبارك وتعالى من الأَجر والمثوبة, ويكشف التحليل التداولي للخطاب الأَبعاد المضمرة المتجسدة بتضافر الإخبار والأَمر, وكأنَّه (عليه السلام) يذكرهم بقوله تعالى: ﴿ تخ تم ته ثم جم حم خم سم ﴾ [البقرة: ٢٦٨] , ثم تلا قوله بتحذيرهم أَنَّ المسلوب من سُلِبَ دينه وامانته, وقال اعلموا وقد خرج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معنى الوعظ والتوجيه, ثم أخبر (عليه السلام) أَنَّ المغرور من فضل الضلالة على الهدى, وهو تحذير لهم أَن لا يسيروا في طريق الشيطان وهو إِخبار متضمن معنى الأمر بالنهي, وقوله التالي وهو إخبار :(فَلا أَعرِفَنَّ أَحداً مِنكُم تَقاعَسَ) متضمن معنى الأَمر, فالسياق يدلُّ بوضوح على أَنَّه (عليه السلام) أراد قيامهم معه للجهاد في سبيل الله, لكنَّه لم يعبر عن ذلك بطريقة مباشرة فالخطاب الإخباري تكفل بصيغ الأَمر غير المباشرة في الخطاب ((والسبب في دلالة الجملة الخبرية على الأمر أحياناً بمساعدة القرائن، ليس من استعمال الصيغة الخبريّة في معنى الأمر، ولكنَّ هذه الدّلاَلة آتيةٌ من دلالة اللّزُومِ الفكري))[٣٣٠], فالقرائن السياقية والتحليل التداولي للخطاب يشير إلى استعمال الإمام لوسائل الإخبار والأمر لتوجيه أَصحابه للجهاد في سبيل الله .

ويُلحظ أَنَّ الفعل الكلامي الناتج من هذه السلسلة المترابطة من أَفعال الكلام هو فعل إعلان الحرب على معاوية . ويرى سيرل أَنَّ التصريحات تُحدِثُ التغييرات في العالم إذا كان أَداؤها أداءً ناجحاً[٣٣١], ومن أَهم عوامل نجاح هذه الأَفعال أَنَّ الإمام ولي أمر المؤمنين يمكنه أَن يؤدي هذا الفعل أداءً ناجحاً, فهو صاحب سلطة بولايته لأمر المؤمنين بعد رسول الله. قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): ((مَنْ كُنْتُ مَولَاه فَعليّ مَولاه))[٣٣٢]. وهذه الأفعال لا تكون ممكنة إلاّ بسبب وجود مؤسسات خارج اللغة, تكون هي مسؤولة عن مثل هذه الأَفعال التي تتعلق بالأَفعال الإيقاعية مثل الزواج والحرب[٣٣٣], لكن إذا ما نظرنا إلى خطاب الإمام (عليه السلام), وإلى ظروفه المقامية نجد أَنَّ الإمام هو من يُسير المؤسسة الدينية, وعلى وفق هذا يكون الفعل الكلامي ناجحاً من جهة الإنجاز والأَداء.

---

(٣٣٠) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، عبد الرحمن حسن حبنَّكة الميداني:١/١٧٦.

(٣٣١) ينظر: العقل و اللغة و المجتمع الفلسفة في العالم الواقعي: ٢٢٠.

٣٣٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: محمد عبد القادر عطا: ١/٢٥٣.

(٣٣٣) ينظر: العقل و اللغة و المجتمع الفلسفة في العالم الواقعي : ٢٢٠, واللسانيات الوظيفية مدخل نظري: ٣٥٢.

رابعاً : فعل كلامي إجمالي يدل على التعبير:

قال أَمير المؤمنين(عليه السلام) في كتاب له إلى أَبي موسى الأَشعريّ :((**أَمّا بعد فَإِنَّكَ امرؤٌ ضَلَّكَ الهَوى, واستَدرَجَكَ الغُرورُ, فَاستَقِلِ اللهَ يَقِلكَ عَثرَتَك، فَإِنَّ مَنْ استَقالَ اللهَ أَقالَهُ، وَإِنَّ أَحَبَّ عِبادِهِ إِليهِ المُتَّقون**))[٣٣٤].

وفي هذا النوع من أَفعال الكلام يعبرُ في المتكلم عمّا يشعر به تجاه الآخرين والواقع ويتمثل الغرض الإنجازي في ((تعبير المتكلم عن الموقف النفسي تعبيراً يتوافر فيه شرط الإخلاص))[٣٣٥], ويمثل هذا الصنف من أَفعال الكلام: الترحيب, والتهنئة, والشكر والتعزية, والرفض, والتهكم, والإنكار, والاعتراض ...., فالمتكلم عند التلفظ بأَلفاظ مخصوصة متعارف عليها في مجتمعٍ لغوي، وفي سياق خاص يكون قد أَنجزَ فعلاً كلامياً من صنف التعبيرات, وعلى وفق رؤية فان دايك لأَفعال الكلام الكُبرى التي تنطلق من تواشج البنية الدلالية مع البنية التداولية[٣٣٦], يمكن أَن نقول إِنَّ الإمامَ (عليه السلام) قد أَنجز فعلاً كلامياً من صنف التعبيرات, أَو ما يسميها بعض الباحثين البوحيات,و باستحضار القرائن(*) المؤدية إلى إنتاج الخطاب, يمكن القول إِنَّ الفعل الكلامي هو فعل العتاب، واللوم، والتقريع, وهي أفعال تعبيرية تعبر عن حالة نفسية تجاه الآخرين, وإذا تقصينا محتوياته التركيبية نجد أَنَّ الخطاب يتكون من مجموعة أَفعال كلامية تنوعت بين الإخبار, والأَمر.

وأَمّا الإخبار ففي قوله:(فَإِنَّكَ امرؤٌ ضَلَّكَ الهَوى, واستَدرَجَكَ الغُرورُ), فالإخبار هنا ليس شيئاً يجهله المتلقي, إِنَّما هو بيان لحقيقة الشبهة التي وقع فيها الأَشعريّ, وإيضاح لما وقع فيه من حبائل الغرور, التي جعلته يتكلم باسم المسلمين, فأَبو موسى يعلم أَنَّ ضلالته من هواه, وغروره, والإمام (عليه السلام) يعلم ذلك, فيكون الإخبار قد خرج لغاية يقصدها الإمام, وهي التقريع، واللوم.

والفعل الكلامي الآخر هو ما يندرج في تصنيف التوجيهات أَو الأَمريات, وهو فعل الأَمر في قوله (عليه السلام):(فَاستَقِلِ اللهَ يَقِلكَ عَثرَتَك), فمن الناحية التركيبية هو فعل أَمر يوجهه الإمام إلى أَبي موسى, لكنه يتضمن شيئاً مضمراً في الخطاب فـ((بعض العناصر قد يُحذَف في جملة ما؛

---

(٣٣٤) مستدرك نهج البلاغة:١٧٧.

(٣٣٥) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر :٥٠.

(٣٣٦) ينظر: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي:٣٢٣-٣٢٤.

(*) وذكروا أنه لما بلغ عليا كتاب أبي موسى رق له، وأحب أن يضمه إليه، فكتب إليه: أما بعد، فإنك امرؤ ضللك الهوى واستدرجك الغرور، فاستقل الله يقلك عثرتك، فإنه من استقال الله أقاله، إن الله يغفر ولا يغير ، وأحب عباده إليه المتقون ، والسلام. فلما انتهى كتاب علي إلى أبي موسى هم أن يرجع، ثم قال لأصحابه: إني امرؤ غلب علي الحياء، ولا يستطيع هذا الامر رجل فيه حياء. ينظر: الإمامة والسياسة:١/١٦٠.

لأَنَّ السياق المقالي أَو المقامي قد دَلَّ عليه))[٣٣٧], وقد قصد الإمام أَنَّهُ قد سامحه وعفى عنه, لكنّه يوجهه إلى طلب العفو من الله تبارك وتعالى بما أقدمَ عليه من شق عصا المسلمين، وإثارة الفتنة بينهم, والدليل على ذلك بعض التعبيرات العرفية في المجتمع التي تدل على العفو والصفح, كأن يقول أَحدهم: سامحك الله, لمن أَخطأَ في حقه, ويرى محمد العبد ثمة عبارات لغوية تصلح أن تكون قوالب معيارية لأَفعال الكلام غير المباشرة [٣٣٨], ويمكن أن نَعُدَّ قول الإمام المتمثل بالإخبار قرينة دالة على ما ذكرته, وقد تجلى ذلك بقوله:(فَإِنَّ مَنْ استَقَالَ اللهَ أَقالَهُ، وَإِنَّ أَحَبَّ عِبادِهِ إِليهِ المُتَّقون), فهو فعل كلامي إخباري بفعل الأَمر المُشار إليه في الخطاب الذي يحمل الأَمر غير المباشر للمتلقي, فهو يدل على إضمار فعل الأَمر (اتق الله), أو (كن مع المتقين) .

ويلحظُ مما سبق أَن الخطاب بما تضمنه من الإخبار والأَمر قد تسلسل في خلق فعل كلامي واحد من صنف التعبيرات, يقول فان ديك:((تبين أَنَّ معنى الخطاب يرتبط ارتباطاً وثيقاً بفعل الكلام الذي يُنجز بواسطة التلفظ بذلك الخطاب في سياق التحاور, ويتضح ذلك بشكل خاص في إجراءات كبرى من شأنها أَن تؤدي إلى إنتاج معنى شامل لمقطع أو لخطاب كلي))[٣٣٩], ويلحظ أيضاً أَنَّ دلالة الخطاب تتضمن العفو, والصفح, والعتاب والتقريع, وهو ما يسمى بالفعل الكلامي الأَكبر أَو الكلي.

خامساً: فعل كلامي إجمالي يدل على الإعلان:

قال أَمير المؤمنين(عليه السلام) في كتاب بعثه إلى الأَشعث بن قيس, وكان والياً لعثمان على أذربيجان: ((**أَمّا بَعدُ، فَلولا هَنَاتٌ كُنَّ فِيكَ كُنتَ المُقدم في هذا الأَمر قَبلَ الناسِ وَلَعلَّ أَمراً يَحمِلُ بَعضَهُ بَعضاً, إِنْ اتَقيتَ اللهَ، وَقَد كانَ مِن بَيعةِ الناسِ إِيايَ ما قَد بَلَغَكَ وَكانَ طَلحَةُ وَالزُبيرُ أَولَ مَن بايعني، ثُمَّ نَقضا بَيعتي على غِيرِ حَدَث، وَأَخرجا أُمَّ المُؤمنينَ إِلى البَصرةِ، فَسرتُ إِليهِما مِن المُهاجِرينَ وَالأَنصار، فَدَعوتُهُما إِلى أَنْ يَرجِعا إِلى ما خَرَجا مِنهُ، فَأَبيا, فَبالَغتُ في الدُعاء، وَأَحسَنتُ في اللقاءِ، وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيسَ لَكَ بِطُعمَةٍ، وَلكنَّهُ أَمانَةٌ في عُنُقك، وَالمالُ مالُ اللهِ، وَأَنتَ مِن خُزّاني عَلَيهِ حَتّى تُسلِّمهُ إِليَّ إِن شاءَ الله، وَعَليَّ أَن لا أَكونَ شَرَّ وُلاتِك**))[٣٤٠].

---

(٣٣٧) الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية: ١٣٧.

(٣٣٨) ينظر: النص والخطاب والاتصال: ٢٩٣.

(٣٣٩) النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي:٣٢٣ .

(٣٤٠) مستدرك نهج البلاغة: ١٨١.

ويُشتَرَطُ في هذه الأَفعال أَنَّ يمتلك المتكلم شواهد، أَو أُسساً، أو مبررات تُرَجِّحُ صحة الإخبار وصدقه[٣٤١], والغرض الإنجازي فيها هو وصف المتكلم لوقائع معينة, ويتمثل شرط الصراحة فيه بنقل ذلك الحدث, أَو الوقائع نقلاً صادقاً؛ لذلك يُعَرِفها سيرل بقوله: ((هي أَن نُقدم الخبر بوصفه تمثيلاً لحالة موجودة في العالم))[٣٤٢].

وإذا تأملنا الخطاب نجد أَنَّه خطاب إخباري , فهو يخبر عن أَحداث ووقائع صادقة, ومطابقة لما ذكره الإمام (عليه السلام), لكن يبقى السؤال ما الغاية من إخبار قد علمه المتلقي؟ والقرينة الدالة على علم المتلقي هي قول الإمام (عليه السلام): (ما قَد بَلَغَكَ), يبدو أَنَّ غاية الخطاب قد خرجت إلى أَمر آخر غير ما تظهره البنية التركيبية والدلالية, إذ يرى فان دايك أَنَّ ما يَهم في مضمون الخطاب لا يتعلق بالبنية الدلالية الظاهرة, وإنَّما يتحدد من الوظائف التداولية للخطاب[٣٤٣], وإذا اتكأنا على مجموعة القرائن السياقية, والتأويلية سنجد الخطاب يتضمن الآتي: الإعلان, التهديد الذي يدخل ضمن أفعال الوعد, الأَمر.

أَمّا ما يتضمن الإعلان فقد تجلى في قوله (عليه السلام):(فَلولا هَنَاتٌ كُنَّ فِيكَ كُنتَ المُقدم في هذا الأَمر قَبلَ الناسِ, وَلَعلَّ أَمراً يَحمِلُ بَعضَهُ بَعضاً, إِنْ اتَقيتَ اللهَ) فقوله هذا يمثل فعلاً كلامياً غير مباشر يدل على إقالة الأَشعث من منصبه, لأَنَّهُ يتصف بصفات سيئة, وعلى هذا تدل كلمة هنات, قال ابن فارس: ((وَفِي فُلَانٍ هَنَاتٌ، أَيْ خَصَلَاتُ شَرٍّ وَلَا يُقَالُ فِي الْخَيْرِ))[٣٤٤], فالإمام (عليه السلام) بقوله هذا قد أَعلن[٣٤٥] للأَشعث عن عزله, لكن بطريق التلطف في القول, وحسن الإشارة.

وقد تضمن خطابه (عليه السلام) نوعاً من التهديد بطريقة غير مباشرة, وتجلى ذلك في قوله: (فَسرتُ إِليهِما مِن المُهاجِرينَ وَالأَنصار، فَدَعوتُهُما إِلى أَنْ يَرجِعا إِلى ما خَرَجا مِنهُ فَأَبيا, فَبالَغتُ في الدُعاء، وَأَحسَنتُ في اللقاءِ), فبعد أَن أَخبر عن حال أَهل البصرة, ذكر ما آلت إليه الأُمور, وانتصاره (عليه السلام) في تلك الواقعة, والمتلقي عالم بهذه الأَحوال, لكن الخطاب يحمل في طياته تهديداً للأَشعث أَنْ اترك أَمر الولاية, وإلاّ سيكون حالك كحال من خرجوا على أَمر ولي

---

(٣٤١) ينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب:٣٠, و الأنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية:٥٠٦, و آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٤٩.

(٣٤٢) العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي:٢١٧.

(٣٤٣) ينظر: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي:٣٢٣ .

(٣٤٤) مقاييس اللغة (هنا):٦٨/٦.

(٣٤٥) ينظر: العقل و اللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي: ٢١٩.

أمرهم, وما يؤيد ما أذهب إليه قول السبكيّ: ((التهديد خبر دل على إرادته القرينة والعلاقة))[٣٤٦], فالقرائن تكشف عن انتفاء رضا أمير المؤمنين عن هذا الرجل؛ ولذا عزله.

وقد يُرادُ من المتلقي تنفيذ أَمر معين من دون اللجوء إلى صيغ التعبير المباشرة, كما في قول الإمام (عليه السلام):(وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيسَ لَكَ بِطُعمَةٍ، وَلكنَّهُ أَمانَةٌ في عُنُقك، وَالمالُ مالُ اللهِ، وَأَنتَ مِن خُزّاني عَلَيهِ حَتّى تُسلِّمهُ إِليَ إِن شاءَ الله).

وتضمن قوله (عليه السلام) فعل أَمر غير مباشر, وهو أَمرٌ بإرجاع المال المؤتمن عليه إلى بيت مال المسلمين؛ لأَنَّه لم يكن أَهلاً للثقة على أَموال المسلمين, وقد جاءت القرينة الدالة على ذلك في بداية الخطاب, والقرينة الأُخرى قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (طعمة) إذ تدل هذه اللفظة على من يجمع مالاً بكل طريقة, وذكر ابن منظور: ((وَفُلَانٌ خبيثُ الطِّعْمَةِ إِذَا كَانَ مِنْ عَادَتِهِ أَنْ لا يأْكل إِلَّا حَلالًا أَو حَرَاماً))[٣٤٧], فالأَمر المتضمن في الخطاب يتجلى بإعادة المال ؛لأَنَّه عامل عليه, ولأَنَّه مال الله , ولأَنَّه مؤتمن عليه وليس صاحبه, فما يُلحظ في هذا الخطاب أَنَّ الأَشعث عالم بما ذكره الإمام, مدرك لذلك, فتكون دلالة الإخبار قد خرجت عن معنى إيصال العلم إلى المُخبر, إلى دلالة الأمر غير المباشر, والقرينة التي تتضمن كل ذلك هي قرينة العلاقة بين طرفي الخطاب ((فنوع العلاقة بين المتكلم والمخاطب يؤثر في تحديد وشكل الخطاب الذي يتناسب معها, وتتجلى فائدتها في الخطاب الذي له بنية تركيبية واحدة, وهو يحتمل أَكثر من معنى, فَيكونُ تَعَرُّفُ درجة العلاقة بين طرفي الخطاب قرينة كاشفة عن قصد المُتكلم))[٣٤٨], فالعلاقة بين أَمير المؤمنين والأَشعث, هي علاقة عامل بخليفة, يعطي دور التوجيه لأَمير المؤمنين فهو الآخذ بزمام التوجيه والأَمر في هذا الخطاب.

فالفعل الكلامي الأَكبر المتحقق من الإخبار هو فعل الأَمر, ويرى فان دايك أَنَّ تحليل أَفعال الكلام يفضي إلى نتيجة واحدة وهي ((أَنَّ معنى الخطاب يرتبط ارتباطاً وثيقاً بفعل الكلام الذي يُنجز بواسطة التلفظ بذلك الخطاب في سياق التحاور))[٣٤٩], وهو ما أداه الإمام (عليه السلام) في هذا الخطاب, بذكر مجموعة من الأَفعال الكلامية التي تفضي إلى نتيجة واحدة, تجلت بفعل الأَمر غير المباشر باستعمال أُسلوب الإخبار.

---

(٣٤٦) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح:١/٤٦٤.

(٣٤٧) لسان العرب (طعم):١٢/٣٦٦.

(٣٤٨) القصدية وأثرها في توجيه الأَحكام النحوية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، د. حيدر جاسم جابر الدنيناوي:٢٣٦.

(٣٤٩) النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي:٣٢٣ .

الخاتمة

في ضوء هذه الدراسة التحليلية في الخطابات التي تداولها الإمام عليّ (عليه السلام) وبعدما أَظهرت الثقافة الغربية الدور الذي تؤديه اللغة, التي تجاوزت مجال الوصف إلى إنجاز أَفعال مختلفة بوساطة الكلام, فضلاً عن دورها التأثيري, يمكن رصد أَهم النتائج التي تَوَصَّلَت إليها الدراسة فيما يأتي :

١- تباينت نسب الأَفعال الكلامية في كتاب المستدرك الذي جمعه الشيخ هادي كاشف الغطاء, والمتمثلة بالأصناف الإنجازية الخمسة: الإخبارية, والتوجيهية, والإلزامية والتعبيرية, والإعلانية, والأَفعال الكلامية المباشرة, وغير المباشرة التي غلب عليها طابع الإنجاز المفرد-على الأَقل- فضلاً عن ورود الأَفعال الكلامية الإجمالية(النصّية) التي تُعدُّ مُكملة لهذه النظرية؛ إذ لا يكاد يخلو الكلام من متوالية أَفعال يُعبر بها الإمام عن حال معينة .

٢- أَوضحت الدراسة أَنَّ خطابات الإمام علي (عليه السلام) لم تقف عند حدود الوظيفة الإبلاغية المحضة, بل تعدت تلك الوظيفة إلى تحقيق عمل إنجازي تأثيري على مستويات الخطاب كافة: السياسي, والديني, والاجتماعي, والنفسي, وقد أوضحت الدراسة أَنَّ لتباين القصد أَثراً واضحاً في اختياره (عليه السلام) نوع الإستراتيجية في تلك الخطابات, سواء على مستوى الإنجاز المفرد, أَو النصّي المُستخلص من مجموعة أَفعال مفردة مباشرة كانت أَم غير مباشرة .

٣- أَوضحت الدراسة أَنَّ من أَكثر الأفعال التوجيهية التي تقع ضمن دائرة الإنشاء الطلبي استعمالاً في خطاباته (عليه السلام), هما فعلا الأَمر والنهي الحقيقيين؛ لما تتطلبه المواقف الإتصالية المستمدة من أثر السلطة, والمقام الذي يُشكل الإطار العام للخطاب.

٤- ورد استعمال الأَفعال الكلامية غير المباشرة بفعل الإخبار في أَكثر مواضع النصح والإرشاد, في حين كان الغالب على استعمال فعل الاستفهام في موضعي الإنكار, وحمل المتلقي على الإقرار؛ إذ بهما أنجز (عليه السلام) أفعالاً تحمل معانٍ ضمنية لها أثر على المتلقي, فأنتج خطابه غير المباشر بناءً على فرضية المعلومات المشتركة ما بين الطرفين .

٥- لم ترد الأفعال الإلزامية، والأفعال التعبيرية، والأفعال الإعلانية بصورة غير مباشرة في خطابات الإمام (عليه السلام) ، ولعلَّ مردّ ذلك يعود إلى طبيعة هذه الأفعال نفسها؛ فالمتكلم في الأفعال الإلزامية يتعهد بإلزام نفسه بإنجاز فعل معين، وفي التعبيرية انعكاس أثر نفسي أو شعوري؛ إذ هي في حقيقتها بوحيّات، أمَّا الإعلانية فمفادها التغيير، فالمتكلم فيها يوقع بالقول فعل مباشر، ومن هذه المسّلمة اقتصر تقسيم الفصل الثاني المتعلق بالأفعال غير المباشرة على الخبر والإنشاء (الأفعال التوجيهية) .

٦-أَوضحت الدراسة أَنَّ القراءة الشاملة للنصوص هي التي تُعينُ القارئ على معرفة الموضوع الإجمالي, أَو النصي المُستَخلَص من توالي الأَفعال المُنجزة داخل النص الواحد, فضلاً عن معرفة الدور الثانوي الذي يؤدِّيه كلّ فعل من تلك المتوالية؛ لذا عمدت هذه الدراسة إلى وضع مبحث يتعلق بمحددات الفعل الإجمالي, فعلى وفق هذه الآلية يمكن للمتلقي الخروج بفعل كلامي واحد من مجمل النصّ؛ بوصفها قرائن تسهم في استخلاص الفعل المقصود, ومن بين أَهم تلك المحدّدات: السياق, وهيمنة الفعل الرئيس بتكراره, وآلية ذكر الهدف ضمناً, إذ لم تكن هذه المحددات المدروسة في المبحث هي كل ما وردت به من الأَنواع التي تسهم في استخلاص الفعل الإجمالي (النصّي) .

٧- أَوضحت الدراسة أَنَّه لا يمكن دراسة أية عيِّنة إلاّ بعد التميّز ما بين الفعل الكلامي المفرد الذي جاء به مؤسساً نظرية الأَفعال الكلامية (جون أوستن و جون سيرل), والفعل الكلامي النصي؛ لاختلاف الغاية, فأغلب الدراسات التي تناولت الموضوع وقع فيها خلطاً ما بين الرؤيتين، ولا شكَّ في وجود فارق دلالي تداولي في استعمال كلّ منهما, فبالجملة يكون القصد واضحاً ومحدداً؛ لاستعمال فعل كلامي واحد, أَمّا في النص فيلجأ المتكلم إلى مبدأ ازدواجية الأَفعال الكلامية؛ ليشتقَّ منه موضوعاً واحداً, يكون هو القصد من وراء هذه المتوالية, الأَمر الذي جعل الباحثة تخصّص فصلاً كاملاً يتعلق بالفعل الكلامي الإجمالي (النصّي), بوصفه أَكثر حضوراً قياساً مع الأفعال الكلامية المفردة .

٨- انقسمت موضوعات الأَفعال الكلامية الإجمالية في خطابات الإمام علي (عليه السلام) على قسمين: أحدهما ذُكِر ذكراً صريحاً داخل النص, سواء أ كان الموضوع بعينه, أَو ذكر الهدف منه, والآخر ما لم يُذكر داخل النص, بل تجاوز الموضوع الإجمالي الأفعال الصريحة داخل النص؛ ليعطي موضوعاً إجمالياً, مستشفّاً من ذكر تلك الأَفعال المتوالية .

٩- أَنَّ لكلِّ فعل كلامي داخل النصّ الواحد وظيفة معينة, إذ أَوضحت الدراسة أَنَّ هذه المتوالية هي بمثابة عوامل تساعد على تقوية القوة الإنجازية للموضوع الكلي للنص, لا تكاد تخلو من عنصر التأثير في المتلقي .

١٠-تفاوتت استراتيجيات الإقناع والتأثير لدى الإمام علي(عليه السلام)، ومنها استعماله الأَفعال بصورتها الشكلية المباشرة التي طابقت صورتها محتواها, ومنها استعماله الأفعال غير المباشرة التي مثّلت الغاية المقصودة بأدق تعبير.

١١- تنوعت أساليب التوكيد في خطابات الإمام (عليه السلام), ومنها التوكيد بالأدوات نحو: قد، وإنَّ، ولام التوكيد، ومنها التوكيد بتكرار الفعل الإنجازي نحو تكرار فعل الأمر في الخطاب الواحد، وهذا ما يسهم في تقوية المقاصد التي أرادها(عليه السلام) فضلاً عن دورها في تأثيرها في المتلقي.

١٢-إنَّ لواقع المجتمع الذي عاش فيه الإمام(عليه السلام) أَثراً في استعمال بعض الأَساليب, التي عبَّر فيها عن حالات معينة, نحو إظهار الشكاية لله (سبحانه وتعالى), أَو بيان ظلامته..., وظهرت أَغلب هذه الإستعمالات في الأَفعال التعبيرية, والأَفعال غير المباشرة, والأَفعال الإجمالية(النصّية) التي عبّر بها بمجموعة من الأَفعال الإنجازية أَظهر بوساطتها تعبيره عن حالته الشعوريّة, والنفسيّة.

الخاتمة

في ضوء هذه الدراسة التحليلية في الخطابات التي تداولها الإمام عليّ (عليه السلام) وبعدما أَظهرت الثقافة الغربية الدور الذي تؤديه اللغة, التي تجاوزت مجال الوصف إلى إنجاز أَفعال مختلفة بوساطة الكلام, فضلاً عن دورها التأثيري, يمكن رصد أَهم النتائج التي تَوَصَّلَت إليها الدراسة فيما يأتي :

١٣- تباينت نسب الأَفعال الكلامية في كتاب المستدرك الذي جمعه الشيخ هادي كاشف الغطاء, والمتمثلة بالأصناف الإنجازية الخمسة: الإخبارية, والتوجيهية, والإلزامية والتعبيرية, والإعلانية, والأَفعال الكلامية المباشرة, وغير المباشرة التي غلب عليها طابع الإنجاز المفرد-على الأَقل- فضلاً عن ورود الأَفعال الكلامية الإجمالية(النصّية) التي تُعدُّ مُكملة لهذه النظرية؛ إذ لا يكاد يخلو الكلام من متوالية أَفعال يُعبر بها الإمام عن حال معينة .

١٤- أَوضحت الدراسة أَنَّ خطابات الإمام علي (عليه السلام) لم تقف عند حدود الوظيفة الإبلاغية المحضة, بل تعدت تلك الوظيفة إلى تحقيق عمل إنجازي تأثيري على مستويات الخطاب كافة: السياسي, والديني, والاجتماعي, والنفسي, وقد أوضحت الدراسة أَنَّ لتباين القصد أَثراً واضحاً في اختياره (عليه السلام) نوع الإستراتيجية في تلك الخطابات, سواء على مستوى الإنجاز المفرد, أَو النصّي المُستخلص من مجموعة أَفعال مفردة مباشرة كانت أَم غير مباشرة .

١٥- أَوضحت الدراسة أَنَّ من أَكثر الأفعال التوجيهية التي تقع ضمن دائرة الإنشاء الطلبي استعمالاً في خطاباته (عليه السلام), هما فعلا الأَمر والنهي الحقيقيين؛ لما تتطلبه المواقف الإتصالية المستمدة من أثر السلطة, والمقام الذي يُشكل الإطار العام للخطاب.

١٦- ورد استعمال الأَفعال الكلامية غير المباشرة بفعل الإخبار في أَكثر مواضع النصح والإرشاد, في حين كان الغالب على استعمال فعل الاستفهام في موضعي الإنكار, وحمل المتلقي على الإقرار؛ إذ بهما أنجز (عليه السلام) أفعالاً تحمل معانٍ ضمنية لها أثر على المتلقي, فأنتج خطابه غير المباشر بناءً على فرضية المعلومات المشتركة ما بين الطرفين .

١٧- لم ترد الأفعال الإلزامية، والأفعال التعبيرية، والأفعال الإعلانية بصورة غير مباشرة في خطابات الإمام (عليه السلام) ، ولعلَّ مردّ ذلك يعود إلى طبيعة هذه الأفعال نفسها؛ فالمتكلم في الأفعال الإلزامية يتعهد بإلزام نفسه بإنجاز فعل معين، وفي التعبيرية انعكاس أثر نفسي أو شعوري؛ إذ هي في حقيقتها بوحيّات، أمَّا الإعلانية فمفادها التغيير، فالمتكلم فيها يوقع بالقول

فعل مباشر، ومن هذه المسّلمة اقتصر تقسيم الفصل الثاني المتعلق بالأفعال غير المباشرة على الخبر والإنشاء (الأفعال التوجيهية) .

١٨- أَوضحت الدراسة أَنَّ القراءة الشاملة للنصوص هي التي تُعينُ القارئ على معرفة الموضوع الإجمالي, أَو النصي المُستَخلَص من توالي الأَفعال المُنجزة داخل النص الواحد, فضلاً عن معرفة الدور الثانوي الذي يؤدِّيه كلّ فعل من تلك المتوالية؛ لذا عمدت هذه الدراسة إلى وضع مبحث يتعلق بمحددات الفعل الإجمالي, فعلى وفق هذه الآلية يمكن للمتلقي الخروج بفعل كلامي واحد من مجمل النصّ؛ بوصفها قرائن تسهم في استخلاص الفعل المقصود, ومن بين أَهم تلك المحدّدات: السياق, وهيمنة الفعل الرئيس بتكراره, وآلية ذكر الهدف ضمناً, إذ لم تكن هذه المحددات المدروسة في المبحث هي كل ما وردت به من الأَنواع التي تسهم في استخلاص الفعل الإجمالي (النصّي) .

١٩- أَوضحت الدراسة أَنَّه لا يمكن دراسة أية عيّنة إلاّ بعد التميّز ما بين الفعل الكلامي المفرد الذي جاء به مؤسساً نظرية الأَفعال الكلامية (جون أوستن و جون سيرل), والفعل الكلامي النصي؛ لاختلاف الغاية, فأغلب الدراسات التي تناولت الموضوع وقع فيها خلطاً ما بين الرؤيتين، ولا شكَّ في وجود فارق دلالي تداولي في استعمال كلّ منهما, فبالجملة يكون القصد واضحاً ومحدداً؛ لاستعمال فعل كلامي واحد, أَمّا في النص فيلجأ المتكلم إلى مبدأ ازدواجية الأَفعال الكلامية؛ ليشتقَّ منه موضوعاً واحداً, يكون هو القصد من وراء هذه المتوالية, الأَمر الذي جعل الباحثة تخصّص فصلاً كاملاً يتعلق بالفعل الكلامي الإجمالي (النصّي), بوصفه أَكثر حضوراً قياساً مع الأَفعال الكلامية المفردة .

٢٠-انقسمت موضوعات الأَفعال الكلامية الإجمالية في خطابات الإمام علي (عليه السلام) على قسمين: أحدهما ذُكِر ذكراً صريحاً داخل النص, سواء أ كان الموضوع بعينه, أَو ذكر الهدف منه, والآخر ما لم يُذكر داخل النص, بل تجاوز الموضوع الإجمالي الأَفعال الصريحة داخل النص؛ ليعطي موضوعاً إجمالياً, مستشفّاً من ذكر تلك الأَفعال المتوالية .

٢١-أَنَّ لكلِّ فعل كلامي داخل النصّ الواحد وظيفة معينة, إذ أَوضحت الدراسة أَنَّ هذه المتوالية هي بمثابة عوامل تساعد على تقوية القوة الإنجازية للموضوع الكلي للنص, لا تكاد تخلو من عنصر التأثير في المتلقي .

٢٢-تفاوتت استراتيجيات الإقناع والتأثير لدى الإمام علي(عليه السلام)، ومنها استعماله الأَفعال بصورتها الشكلية المباشرة التي طابقت صورتها محتواها, ومنها استعماله الأَفعال غير المباشرة التي مثّلت الغاية المقصودة بأدق تعبير.

٢٣- تنوعت أساليب التوكيد في خطابات الإمام (عليه السلام), ومنها التوكيد بالأدوات نحو: قد، وإنَّ، ولام التوكيد، ومنها التوكيد بتكرار الفعل الإنجازي نحو تكرار فعل الأمر في الخطاب الواحد، وهذا ما يسهم في تقوية المقاصد التي أرادها(عليه السلام) فضلاً عن دورها في تأثيرها في المتلقي.

٢٤-إنَّ لواقع المجتمع الذي عاش فيه الإمام(عليه السلام) أَثراً في استعمال بعض الأَساليب, التي عبَّر فيها عن حالات معينة, نحو إظهار الشكاية لله (سبحانه وتعالى), أَو بيان ظلامته..., وظهرت أَغلب هذه الإستعمالات في الأَفعال التعبيرية, والأَفعال غير المباشرة, والأَفعال الإجمالية(النصّية) التي عبّر بها بمجموعة من الأَفعال الإنجازية أَظهر بوساطتها تعبيره عن حالته الشعوريّة, والنفسيّة.

المصادر

- **القرآن الكريم**
- **الكتب المطبوعة:**

(الألف)

- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أَحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، (د. ط)، ٢٠٠٦م .
- الأخبار الطوال، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢هـ)، تح: عبد المنعم عامر، ود. جمال الدين شيال، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.
- الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسيّ(ت٦٢٠هـ)، الأعلمي للمطبوعات، مؤسسة أهل البيت ، بيروت- لبنان، (د. ط)،(١٤٠١هـ-١٩٨٢م).
- الأَدب الجاهلي في آثار الدارسين قديماً وحديثاً، د. عفيف عبد الرحمن، دار الفكر، عَمّان،(د. ط)، (د.ت).

- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أَبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبريّ البغداديّ المعروف بالشيخ المفيد(ت٤١٣هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، (١٤٢٩هـ- ١٩٩٥ م).
- الأساليب الانشائية في النحو العربي, عبد السلام محمد هارون، الخانجي، القاهرة، ط٥،(١٤٢١هـ-٢٠٠١م).
- أساليب الطلب عند النّحويين والبلاغيين، د. قيس إسماعيل الأوسي ، الناشر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، (د.ط)،١٩٨٨م .
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية, عبد الهادي بن ظافر الشهريّ، دار الكتاب، بيروت، ط١،(٢٠٠٤ م) .
- الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها, العياشي أدراوي، دار الأمان، الرباط ، ط١، ٢٠١١م .
- الأُصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج(ت٣١٦هـ)، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣،١٩٩٦ م.
- أُصول الكافي، محمد بن يعقوب الكلينيّ(ت٣٢٩هـ) ، منشورات الفجر، بيروت- لبنان، ط١، (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧ م).
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعيّ، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط٨، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م).
- الأَعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركليّ الدمشقيّ (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢ م .
- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري(ت٢٧٦هـ)، تح: علي شيري، دار الأَضواء، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٠م.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، مطبعة أَمير المؤمنين، قم – إيران ، ط١، ٢٠٠١هـ .
- الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية، د. خالد ميلاد، المؤسسة العربية للتوزيع: منوبة – تونس، ط١، ٢٠٠١م .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاريّ (ت٧٦١هـ)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد ، منشورات المكتبة العصرية: صيدا – بيروت،(د. ط)، (د.ت).

(الباء)

- البداية والنهاية, أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقيّ (ت٧٧٤هـ)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- البراجماتية اللغوية، ستيفن.ك. ليفنسون، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط١ ،٢٠١٥ م .
- البراجماتية وليام جيمس، ترجمة محمد علي العريان, تقديم وزكي نجيب محمودة، المركز القومي للترجمة ، ٢٠٠٨م .
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشيّ (ت ٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت٨١٧هـ)، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت –لبنان، (د. ط)، (د. ت).
- البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني اسرائيل، د. قدور عمران، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١٢م .
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، عبد الرحمن حسن حَبَنَّكَة الميداني، دار القلم- دمشق، الدار الشامية- بيروت ، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .
- البلاغة فنونها وأفنانها، د. فضل حسن عباس ، دار الفرقان للنشر، إربد–الأَردن، ط٤، ١٩٩٧.
- بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، أ.د. يوسف حسين بكار، دار الأندلس، بيروت–لبنان، ط٢، ١٩٨٣م .
- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، محمد تقي التستريّ، تح: مؤسسة نهج البلاغة، دار أَمير كبير للنشر، طهران ، ط١ ،١٩٩٧م .

(التاء)

- تاج العروس من جواهر القاموس, السيد محمّد مرتضى الحسينيّ الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تح: عبد الستار أَحمد فراج، مطبعة الكويت، ١٣٨٥هـ -١٩٦٥ م.

- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تح: عمرو بن غرامة العمرويّ، دار الفكر ، بيروت–لبنان، (د. ط)،١٤١٥هـ–١٩٩٥م .
- تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبريّ(ت٣١٠هـ)، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف–مصر، ط٢ ، ١٩٦٨ م .
- تجديد المنهج في تقويم التراث, د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت–لبنان، ط٢، (د.ت).
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي, أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوريّ (ت ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت ،(د.ط)، (د.ت).
- تحقيقات فلسفية, لودفيغ فتغنشتاين، ترجمة عبد الرزاق بنور، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت– لبنان، ط١، ٢٠٠٧ م .
- تحليل الخطاب، باتريك شارودو, دومنيك منغو، ترجمة : عبد القادر المهيريّ, حمّادي صمّود، دار سيناترا، تونس،(د.ط)، ٢٠٠٨م.
- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية, عمر بالخير، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، رغاية– الجزائر، (د. ط)، ٢٠٠٣م.
- التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد, صلاح إسماعيل عبد الحق، دار التنوير للطباعة والنشر بيروت – لبنان، ط١ ، ١٩٩٣ م .
- التداوليات علم استعمال اللغة, حافظ اسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، اربد–الأردن، ط١، ١٤٣٢هـ–٢٠١١م .
- التداوليات وتحليل الخطاب, جميل حمداوي، ط١ ، (د.ت).
- تداولية الاقتباس دراسة في الحركية التواصلية للاستشهاد، د. منتصر أمين عبد الرحيم، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع _ عمّان، ط١،١٤٣٥هـ _ ٢٠١٤م.
- التداولية بين النظرية والتطبيق, أحمد كنون، دار النابغة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٣٦هـ–٢٠١٥م.
- التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراويّ، دار النابغة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٣٦هـ–٢٠١٥م

.

- التداولية في البحث اللغوي والنقدي، أ. د. بشرى البستاني، مؤسسة السياب- لندن، ط١، ٢٠١٢م .
- التداولية في الدراسات النحوية، عبد الله جاد الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠١٤م .
- التداولية مقاربات في المفهوم والتأصيل، محمد امطوش، دار نيبور للطباعة والنشر، العراق، ط١، ٢٠١٤م .
- التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا- اللاذقية، ط١، ٢٠٠٧م .
- التداولية وتحليل الخطاب الروىء والتمثلات، د.باسم خيري خضير، دار النابغة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
- التداولية اليوم علم جديد في التواصل, آن روبول و وجاك موشلر :ترجمة ، د.سيف الدين دغفوس د.محمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٣.
- التذكرة الحمدونية، أبو المعالي بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغداديّ (ت ٥٦٢هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ .
- التَّفْسِيرُ البَسِيْط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحديّ النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ) تح: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد ابن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه: الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ .
- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، (د.ط)، (د.ت).
- تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير أَو مفاتيح الغيب)، محمد فخر الدين الرازيّ(ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط٣ ،١٤٢٠ هـ .
- تيارات في السيمياء, عادل فاخوري ، دار الطليعة للباعة والنشر، بيروت ، ط١، ١٩٩٠م .

(الجيم)

- جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين بن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تح: عبد القادر الأرنؤوط والتتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة دار البيان، ط١، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

- الجدول في إعراب القرآن ، محمود بن عبد الرحيم صافي ، دار الرشيد دمشق – مؤسسة الإيمان ، ط ٤ ،١٤١٨ هـ
- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية ـ بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- جواهر المطالب في مناقب الإمام علي(عليه السلام)، شمس الدين أبو البركات محمد ابن أحمد الدمشقي الشافعي، تح: الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع أحياء الثقافة الإسلامية، ط١، ١٤١٥هـ.

(الحاء)

- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعيّ (ت ١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م .
- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، د. سامية الدريدي ،عالم الكتب الحديثة،إربد الأَردن، ط٢، ٢٠١١ م.
- الحجاج في القرآن الكريم من خلال أَهم خصائصه الأُسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت ـ لبنان، ط٢، ٢٠٠٧ م.
- الحوار وخصائص التفاعل التواصلي دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية, محمد نظيف، مطابع أفريقيا الشرق– الدار البيضاء،٢٠١٠م .

(الخاء)

- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم المطعنيّ، مكتبة وهبة ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م .
- خطاب الحكاية بحث في المنهج، جيرار جينيت، ترجمة: محمد معتصم, وعبد الجليل الازدي, و عمر حلى ، المشروع القومي للترجمة، الاشراف الفني، محمود القاضي، الهيئة العامة للمطابع الاميرية، ط ٢ ، ١٩٩٧ م .
- الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، مؤيد عبيد آل صوينت، مكتبة الحضارات، بيروت– لبنان، ط١، ٢٠١٠م.
- الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، د. أحمد المتوكل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت– لبنان ، ط١،٢٠١٠ م.

- الخلاصة النحوية، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة – مصر، ط١، ٢٠٠٠ م .

(الدال)

- دائرة الأعمال اللغوية مراجعات ومقترحات، شكري المبخوت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٠م .
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة ، ط٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
- ديوان الطرماح، تح: د. عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت–لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ–١٩٩٤م .

(السين)

- السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، علي آيت أُوشان، مطبعة النجاح الجديدة، ط١، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م .

(الشين)

- شرح الأُصول الخمسة ، عبد الجبار بن أحمد ، تح: د.عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة – القاهرة ، ط٢ ،١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .
- شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قان يونس– بنغازي، ط٢، ١٩٩٦م .
- شرح أصول الكافي، مولى محمد صالح المازندرانيّ(ت ١٠٨٦هـ)، تح: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبطه وصحّحه: السيد علي عاشور، ط١، ١٤٢١هـ _ ٢٠٠٠م .
- شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافيّ(ت٣٦٨هـ)، تح: أحمد حسن مهدلي, وعلي سيد علي ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ، ٢٠٠٨م .
- شرح المفصل , موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصليّ (ت ٦٤٣هـ)، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م .
- شرح نهج البلاغة لابن أَبي الحديد ، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه ، ط٢، ١٣٨٥هـ–١٩٦٥م .

- الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ (ت ٢٧٦هـ)، تح: أَحمد محمد شاكر، دار المعارف القاهرة، ط١ ،١٣٧٧هـ- ١٩٥٨هـ .

(الصاد)

- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهريّ (ت ٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤ ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م
- صيغة (فَعَّلَ) في القرآن الكريم دراسة صرفية دلالية، د. أَحلام ماهر محمد حميد، دار الكتاب العلمية، بيروت–لبنان، ط١ ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م .

(العين)

- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكيّ، تح: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت ، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣.
- العقد الفريد، احمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسيّ(ت ٣٢٨هـ)، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤٠٤ هـ -١٩٨٣م.
- العقل واللغة والمجتمع، جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٦ م .
- العلاماتية وعلم النص، إعداد وترجمة, د. منذر عياشي ، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٤م .
- علم النّص مدخل متداخل الاختصاصات، تون أ.فان دايك، ترجمة وتعليق، سعيد حسن بحيري، ط١، دار القاهرة، ١٤٢١هـ _ ٢٠٠١م .
- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات, د. سعيد حسن بحيري، الشركة المصرية العالمية للنشر–القاهرة ، ط١ ،١٩٩٧م .
- علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .
- علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيود، مكتبة وهبة –القاهرة ، (د. ط)، (د.ت) .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه: أبو على الحسن بن رشيق القيروانيّ الأزديّ (ت ٤٦٣ هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل،ط٥، ١٤٠١ هـ- ١٩٨١م.
- العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عز الدين الناجح، دار نهى، صفاقس–تونس، ط١، ٢٠١٢م.

- عيار الشعر، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا الحسني العلويّ (ت ٣٢٢هـ)،تح:عبد العزيز بن ناصر المانع، دار العلوم للطباعة والنشر–الرياض، (د.ط)، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م .
- العين، أَبو عبد الرحمن الخليل بن أَحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ)،تح:د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار الحرية للطباعة, بغداد ،١٩٨٥.

(الغين)

- الغارات أَو الاستنفار والغارات، أَبو اسحاق ابراهيم بن محمد المعروف بأبن هلال الثقفيّ، حققه وعلق عليه، السيد عبد الزهراء الحسينيّ، دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٧ م.

(الفاء)

- الفروق اللغوية، أَبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ)،تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر،١٩٩٧، (د.ط)، (د.ت) .
- فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، د. رجاء عيد، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية–مصر، ط٢، (د.ت).
- الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة ، الزواوي بغور، دار الطليعة – بيروت بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥ م .
- في أُصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢ ، ٢٠٠٠م .
- في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، علي محمود حجي الصراف، دار الشرق مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.
- في اللسانيات المعاصرة، خالد إسماعيل حسان، مكتبة الآداب، ط١، ٢٠٠٨م .
- في ظلال القرآن، سيد قطب ، دار الشروق–القاهرة ، ط٧، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م .
- في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات, د. عبد الله صولة ، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، ط١، ٢٠١١ م.

(القاف)

- القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وآن روبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين: إشراف عز الدين المجدوب، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط٢، ٢٠١٠م.

- القصدية وأثرها في توجيه الأَحكام النحوية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، د. حيدر جاسم جابر الدنيناوي، دار الوضاح للنشر- عمّان- الأردن، ط١ ،٢٠١٦م .

(الكاف)

- الكامل في التاريخ، ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م .
- الكتاب، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت١٨٠هـ)،تح: عبد السلام محمد هارون ،مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، ط٣، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، أَبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري(ت ٣٩٥هـ)، تح: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧١هـ- ١٩٥٢ م .

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار احياء التراث العربي، بيروت –لبنان، ط٢، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(اللام)

- لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر بيروت- لبنان، ط٣ ، ١٤١٤هـ.
- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط٣، ٢٠١٢ م.
- اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، د. أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديدة المتحدة: بنغازي- ليبيا، ط٢، ٢٠١٠ م.
- لغة القرآن الكريم دراسة لسانية للمشتقات في الربع الأَول، بلقاسم بالعرج، دار العلوم للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦م .
- اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي ، العمدة للطباعة ، الدار البيضاء المغرب، ط١، ٢٠٠٦ م .
- اللغة والفعل الكلامي والاتصال مواقف خاصة بالنظرية اللغوية في القرن العشرين، زيبيلة كريمر، ترجمة:أ.د.سعيد حسن بحيري، دار الشرق –القاهرة، ط١، ٢٠١١م .

- اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٧م .

(الميم)

- ماضي النجف وحاضرها، العلامة المحقق جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، دار الاضواء – بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م .
- مبادئ اللسانيات، د. أحمد محمد قدور، دار الفكر- دمشق، ط٣، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأَثير (ت ٦٣٧هـ)، تح: أحمد الحوفي و بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة – مصر، ط٢، (د.ت).
- مجمع الأمثال، أبو الفضل الميداني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، (د. ط)، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م .
- محاضرات في فلسفة اللغة، عادل فاخوري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي- ليبيا، ط١، ٢٠١٣ م .
- المخصّص ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تح: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان ، ط ١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦ م.
- المدارس اللسانية المعاصرة، د. نعمان بو قرة، مكتبة الآداب- القاهرة ، (د. ط)، (د.ت).
- مدارك نهج البلاغة ودفع الشبهات عنه، هادي كاشف الغطاء، تح: مؤسسة كاشف الغطاء العامة، النجف الأَشرف- العراق، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م .
- مدخل إلى علم اللغة النصي ، فولفجانج هاينه من ، وديترفيهفيجر، ترجمة د. فالح بن شبيب العجمي، مطابع جامعة الملك سعود،(د.ط)، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
- مدخل إلى اللسانيات، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة- ليبيا، ط١ ،٢٠٠٤م .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعوديّ (ت٣٤٦هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط٥، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- مستدرك نهج البلاغة, الشيخ هادي كاشف الغطاء، تح: مؤسسة كاشف الغطاء العامة، أبو علي الموسوي البغداديّ، منشورات مؤسسة كاشف الغطاء العامة، ط١، النجف الأشرف ، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م .

- مسند الإمام أحمد بن حنبل(ت ٢٤١هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
- المسند الجامع، حققه ورتبه وضبط نصه, محمود محمد خليل، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
- مصباح المتهجد، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسيّ(ت٤٦٠هـ)، صحّحه وأشرف على طباعته: الشيخ حسين الأعلميّ، مؤسسة الأعلمي، بيروت _ لبنان،ط١٩٩٨،١م.
- معارف الرجال في تراجم العلماء والأُدباء، الشيخ محمد حرز الدين، تعليق محمد حسين حرز الدين، مطبعة الولاية- قم ،(د.ط)، (د.ت) .
- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل الزَّجّاج (ت ٣١١هـ)، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- المعتمد في أصول الفقه، محمد بن علي الطيب أبو الحسين البصري المعتزلي(ت٤٣٦هـ)، تح: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ.
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزّيّات، حامد عبد القادر، محمد النجار،تح: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية،ط٤، ١٤٢٥هـ _ ٢٠٠٤م .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري(ت ٧٦١هـ)، تح: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت- لبنان، (د.ط)، ٢٠١٠ م.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكيّ (ت ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م .
- المقاربة التداولية، فرانسواز ارمينكو، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، (د.ط)، ١٩٨٦ م .
- مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا(ت٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، (د. ط)، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٥هـ)، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط١٩٩٤،٣م.
- المقدمات الأَساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب الجديع العنزيّ، مركز البحوث الإسلامية ليدز – بريطانيا، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

- مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي، د. حسن محمد وجيه، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب _ الكويت، ١٩٩٤م .
- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة- ليبيا: ط١ :٢٠٠٤م .
- من بلاغة القرآن: أحمد بدوي، مكتبة نهضه مصر – القاهرة،(د.ط)، ٢٠٠٥م .
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزيّ (ت ٥٩٧هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م .
- من وحي القرآن، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة المطبوعات العربية، بيروت _ لبنان، ط١، ١٤٠١هـ _١٩٨١م .
- موسوعة عبد الله بن عباس حبر الأُمة وترجمان القرآن، السيد محمد مهدي السيد حسن الموسويّ الخُرسان، اعداد مركز الأبحاث العقائدية، دار إحياء التراث العربي، ط١ ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

(النون)

- نحو النصّ نقد النظرية وبناء أُخرى, د. عمر محمد أبو خرمة ،عالم الكتب الحديث: اربد- الأردن، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .
- نسيج النصّ بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً, الأزهر زناد ، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٣م .
- النص والخطاب والاتصال, د. محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة مصر، ط١،٢٠٠٥م .
- النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة عبد القادر قنينيّ، أفريقيا الشرق-المغرب ، (د. ط)، (د.ت) .
- نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة: د. محمد العمري، أفريقيا الشرق، (د. ط)، ١٩٩٦.
- نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، أُوستين، ترجمة عبد القادر قنيني، أَفريقيا الشرق، (د. ط)، ١٩٩١ م .

- نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطبطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، (د.ط)، ١٩٩٤ م .
- النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة في المفاهيم والنشأة والمبادئ، د.محمود عكاشة، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ط١، ٢٠١٣م .
- نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء ، ط٢، ٢٠٠٦م .
- نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي، هشام عبد الله خليفة ،مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٧م .
- نظرية المعنى في الدراسات النحوية، كريم حسين ناصح الخالدي، دار صفاء للنشر والتوزيع- عمّان الأردن ، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م .
- نظرية النص وموضوع النحو، هورست إيزنبرج، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق –القاهرة، ط١ ، ٢٠١٢ م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن ابراهيم بن عمر البقاعيّ (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة، (د. ط)،(د.ت).
- نهج البلاغة، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية، صبحي الصالح، دار الكتاب المصري، ط٤، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤ م .

(الهاء)

- هل يوجد نصّ في هذا الفصل؟ سلطة الجماعات المفسرة، ستالي فيش، ترجمة أحمد الشيمي، مراجعة : محمد بريري، المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة، ط١ ، ٢٠٠٤م .

(الواو)

- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفديّ (ت ٧٦٤هـ)، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت،(د. ط)،١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- الوظائف التداولية في اللغة العربية، د. أحمد المتوكل، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م .
- وقعة صفين، أبو الفضل نصر بن مزاحم بن سيار المنقري(ت ٢١٢هـ)، مكتبة آية الله المرعشي، قم ـ إيران،ط٢، ١٤٠٣هـ.

(الرسائل والأطاريح)

- آليات الانسجام النصّي في خطب مختارة من مستدرك نهج البلاغة, للهادي كاشف الغطاء، آمنة جاهمي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي مختار عنابة- الجزائر، ٢٠١١م -٢٠١٢ م .
- الأبعاد التداولية في المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية للشاطبيّ(ت٧٩٠هـ)، أحمد حسين حيال (أُطروحة دكتوراه)، الجامعة المستنصرية- بغداد،١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م .
- الأَبعاد الحجاجية في شعر محمد العيد آل خليفة، وافية بو لفعة، (رسالة ماجستير)، المدرسة العليا للأَساتذة- الجزائر، ٢٠١٢-٢٠١٣ م .
- أساليب البديع في نهج البلاغة دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية، خالد كاظم حميدي،(أُطروحة دكتوراه)، جامعة الكوفة- العراق، ٣٢ ١٤هـ - ٢٠١١ م .
- الاستراتيجيات الخطابية في شعر ابن هانئ الأَندلسيّ المغربيّ مقاربة تداولية، بلاخيط تركية، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدبها، جامعة عمار ثليجي الاغواط-الجزائر
- تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف انموذجاً: حياة دحمان:(رسالة ماجستير): جامعة الحاج لخضر باتنة -الجزائر: ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م .
- تداولية النص الشعري جمهرة أَشعار العرب نموذجاً, شيتر رحيمة: (أطروحة دكتوراه) جامعة الحاج لخضر باتنة ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية - الجزائر:٢٠٠٨م-٢٠٠٩م.
- التناسب ودوره في الإعجاز القرآني، إقبال وافي نجم، (رسالة ماجستير)، كلية الفقه- جامعة الكوفة -العراق ،١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م .
- الحِجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام)، عايد جدوع حنون، (أُطروحة دكتوراه)، كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة البصرة-العراق ، ٢٠١٣م.
- الدراسات النحوية عند آل كاشف الغطاء، باسم خيري خضير، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب جامعة القادسية-العراق، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .

الدوريات:

- أَلفاظ اللباس في القرآن الكريم دراسة لغوية معجمية، بشير سعيد سهر المنصوري، مجلة آداب البصرة، العدد:٤٧ ، لسنة ٢٠٠٨م.
- تداولية الحدث الكلامي –شعر أبي نواس أنموذجاً– ، م.د. علي متعب جاسم , و م.م حسين عمران محمد، مجلة ديالى، العدد: ٦٧، لسنة ٢٠١٥م.
- الحجاج في الدرس اللغوي الغربي، بوزناشة نور الدين ، مجلة العلوم الانسانية، العدد:٤٤ ، لسنة ٢٠١٠م.
- الطباق في العربية ، رحيم جمعة الخزرجيّ، هدى عبد الحميد السامرائيّ، الجامعة المستنصرية كلية التربية الأساسية، مجلة كلية التربية الأساسية ،العدد: ٧٦، لسنة٢٠١٢م.
- ظاهرة الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني العربي، كادة ليلى، منشورات المركز الجامعي بالوادي، مجلة علوم اللغة وآدابها، العدد:١ ، لسنة ٢٠٠٩م.
- القصدية الإنجازية في مضمون الخطاب النحوي في كتاب سيبويه، هيثم محمد مصطفى، مجلة أبحاث التربية الأَساسية ، المجلد:١١، العدد:٣ ، لسنة ٢٠١٢م.
- النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص مثل من كتاب سيبويه، د. يوسف سليمان عليان، المجلة الاردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد:٧، العدد: ١، لسنة ٢٠١١م.
- نحو النص وتطبيقاته على نماذج في النحو العربي، عبد المهدي هاشم الجراح، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد: ٣٣، العدد: ١، لسنة٢٠٠٦م.
- النقد الموضوعاتي الأُسس والمفاهيم، محمد لبلوحي، مجلة الموقف الأدبي العدد:٤٣٩، لسنة: ٢٠١٢م.

(المواقع الالكترونية على شبكة الانترنت)

- الجملة والخطاب قراءة في علوم القرآن: د. محمد عبد الباسط عيد: http://www.arrafid.ae/arrafid/p15_8-2011.html
- مباحث حول نحو النص، أ.د عبد العظيم فتحي خليل، جامعة الأزهر– كلية اللغة العربية،مصدرالكتاب:

www.alukah.net/books/files/book_8360/bookfile/nas.pdf

- محاضرات في اللسانيات التداولية، خديجة بو خشة، مصدر الكتاب: http://lisaanularab.blogspot.com/2017/02/blog-pos